

الأدب الشعبي

في



تأليف

عبدالله بن محمد بن خميس

الطبعة الثانية

١٤٠٢ هـ

الإهــــــداء

إلى الذين يعمرون أنديتهم بأمجاد الجزيرة ، وبطولاتها ، ويرون فيها مثلهم الأعلى ، وقدوتهم الحسنة ، ويعملون على ربط حاضرهم بماضيهم ، ويجعلون من ذلك قنطرة يعبرون عليها إلى حياة فاضلة كاملة ، تحياها الامة العربية ، ما تعاقبت الأيام والأعوام . . .

إلى أولئك أهدي كتابي هذا .

عبد الله بن محمد بن خميس


بسم الله الرحمن الرحيم



مقـــــدمة

لا مراء في أن الأدب الفصيح بماله من مميزات وخصائص في لغته وأسلوبه ، يرتفع نسبياً عن مدارك الطبقة الشعبية العامة ، وليس في مقدوره – مهما حاول أصحابه الدنو والليونة – أن يكسب الشعب طابع الفهم ، والإحاطة ، ومن ثم التنوير ، والتأثير .. بخلاف الأدب الشعبى ، فان له النفوذ الطبيعى على كافة الطبقات ، والسمة المعروفة لدى كافة الأوساط ، وان كان في كل أمة يدور في فلكها فقط ، وليس له صفة الأمتداد والذيوع .

لذلك أدركت الأمم العريقة في المدنية والحضارة ، ما لهذا اللون من الأدب من أثر في حياة الشعوب ، وفعالية في توجيهها ، وقيادتها ، فانشأت له المعاهد ، وألفت فيه الكتب ، وانشأت له صحافة خاصة وأصبحت له مدارس ، واتجاهات معروفة .. فلم تكن القوميات في دول أوربا الناهضة ، لتبلغ ما بلغت بدون أن تلعب تيارات الأدب الشعبى أو (الفولكلور) – كما يسمونه – دوراً خطيراً في توجيهها ، ولم يكن (شلنج)

و (هجل) و (فرانسزجروت) وغيرهم من أَعلام الأَدب الغربي ليبلغوا ما بلغوا لولا كلفهم بالأَدب الشعبى ، ومواجهة الطبقات الشعبية به وجهاً لوجه ، يقول (هويتمان) :
« الأَدب الشعبى ينبعث من عمل أَجيال عديدة من البشرية ، من ضرورات حياتها ، وعلاقاتها ، من أَفراحها وأَحزانها ، وأَما أَساسه العريق فقريب من الأَرض التى تشقهـا الفئوس ، وأَما شكله النهائى فمن صنع الجماهير المغمورة ، المجهولة ، أُولئك الذين يعيشون لصق الواقع » .

ولم تكن جهود هذه الأَمم لتقتصر على دراسات الفنون الشعبية ، في بلدانها ، بل لقد دفعها حب الكشف ، والاستطلاع من جهة ، والمطامع السياسية ، والاستعمارية من جهة أَخري ، لأَن تولى هذه الناحية في سائر الأَمم عنايتها ، والأَحاطة بها . فكان نصيب الأَدب العربي من دراسات المستشرقين نصيباً وافياً ، لأَدراكهم ما وراء فهم هذه الجوانب في الأَمم ، من كسب في شتى المجالات مما حدا بـ (البارون سلفستردوساس) أَن ينشر ما يزيد عن مائتى مؤلف في علوم الشرق ولغاته [1] ومن أَهم ما عنى به هؤلاء (قصص أَلف ليلة وليلة) فقد تناولها بالطبع ،

(١) فنون الأدب الشعبي لأحمد رشدي صالح ج ١ ص ٢٤ .

والترجمة ، والنسج على منوالها ، وتحقيقها ، ودرس أَجزاء ونواح منها ، ومناقشات في مقدمتها ، وموطنها الأَصلى .. الخ ما يزيد على عشرين مستشرقا ، من بينهم (انطوان جالان) المستشرق الفرنسى ، و (كوسان دوبر سيفال) ، و (أَدوارد جوليتيه) وغيرهم [1] .

ومثلها سيرة عنترة ، وأَبي زيد ، وغيرهما ، أَما ما استقلوا به من مؤلفات في هذا الجانب فكثير ، مثل (قصص شعبية مجهولة من وادي النيل) لـ (يعقوب أَرتين) و (الأَمثال العربية) لـ (ج . ل . بركهاردت) و (الأَغاني الشعبية) لـ (جاستور ما سبيرو) و (أَصول اللغة العربية العامية) لـ (هرين) و (لغة بغداد العامية) للدكتور (ما يسنر) ، وغير هذا كثير ، عدا ما تحفل به المجلات والصحف من هذا النوع ..

ولم يكن لأَدباء العروبة في القاهرة ، وبغداد ، ودمشق ، وغيرها ، ليتركوا المجال لهؤلاء المستشرقين وحدهم ، بل لقد أَصبح لهم مشاركات ، وآثار ، أَبلوا فيها بلاء حسنا ، أَمثال

---

(١) فنون الأدب الشعبي ١ ص ٢٥ .

الياس بقطر في مؤلفه (معجم العامية في مصر والشام والمغرب)[1] و (معجم الألفاظ العامية) لطنوس الشدياق[2] و (الصحيح بين العامى والفصيح) لخليل اليازجى[3] و (مميزات لغة العرب وتخريج اللغات العامية عليها) لحفنى ناصف[4] و (اللغات المحلية في لبنان وسورية) للدكتور فيليب حتى[5] و (الشعر واللغة العامية) لجبور عبد النور[6]، وغير هذا من الدراسات، والبحوث المستفيضة في هذا المجال .. إلى جانب ما خلفه قدماء المؤلفين، من بحوث، وآثار، مثل (نزهة النفوس ومضحك العبوس) لابن سودون، و (هز القحوف شرح قصيدة أبي شادوف) للشربيني، و (المستطرف في كل فن مستظرف) للابشيهى، وما قبلها، وما بعدها، من تآليف وبحوث، لا تخلو من فوائد، وإن اشتملت على شيء من الاسفاف والتدني.

وإذا جئنا نبحث عن الأدب الشعبى في قلب الجزيرة

(١) طبع في باريس عام ١٨٦٤ م وفي القاهرة عام ١٨٧٢ م.
(٢) مخطوط وقد اشارت إليه المجلة الاسبوعية الألمانية في مجلدها التاسع صفحة ٢٦٩.
(٣) مخطوط ونشرت بعض بحوثه منفردة.
(٤) طبع بالقاهرة عام ١٨٨٦ م.
(٥) طبع في بيروت عام ١٩٢٢ م.
(٦) لم يطبع بعد.

العربية ، قديما وحديثاً ـ وهو أدب خصب ، ذا فعالية ونفوذ ـ وجدناه يكتنفه الغموض والإبهام ، حتى خفى علينا كثير من معالمه ، واشتبه علينا كثير من صواه ، وأسدل ستار الترك والنسيان على كثير من آثاره ، وأخباره ، وظل مطموراً إلى أن يهىء الله له من يبعثه من مرقده ..

والأسباب والدواعى متوفرة لأهمال ما هو ـ في نظر الكثير ـ أهم وألزم ، فكيف بما لا يعبأ به ، أو يرى الاشتغال به ضربا من العبث ، يحسن برجل العلم الترفع عنه .

لذا كان الأدب الشعبى في جزيرة العرب نسياً منسياً ، وقد كانت دواوينه صدور الرواة ، ودراسته في مجالس العامة ، وعلى ظهور الإبل .. والآن قد انقرض الرواة أو كادوا ، وانصرف العامة في مجالسهم إلى شئون ، وشجون أخري ، وأصبح ركوب الإبل نادراً ، وظل هذا الأثر في التقلص والاضمحلال ! ! ..

وعذر الأدباء والعلماء القدامى أنهم ـ حتى في نظرتهم للأدب العربي الفصيح ـ لا يروونه وينقلونه للدراسة ، والتحليل والنقد ، والوقوف من خلاله على البيئآت ، وعادات أهلها ، ووصف أحوالهم ، وتصوير مشاعرهم .. كما هو شأن الدراسات الأدبية الحديثة ... وانما يسردونه سرداً ، ويجمعون شتاته

كنص فقط ، للمحافظة عليه ، وصيانته !! على أن هذا لايمنعنا من أن نعترف بفضلهم ، ونرى إن ذلك حسنة ، ومأثرة ، أبقت لنا هذا التراث ، لنقوم من جانبنا – إذا وفقنا – بدراسته ونقده ، وتحليله ، على ضوء الدراسات الأدبية الحديثة .

وعذر أدباء العروبة المعاصرين ، في عدم تعرضهم لهذه الدراسات في جزيرتنا ، لا إخاله إلا غرابة الأدب الشعبى عليهم وعدم فهمهم لحقائقه ، ودقائقه ، في بيئتنا .. .والدراسة والنقد ، والتحليل ، لا تكون إلا عن فهم ، واحاطة ، وتذوق ، وهو شيء مفقود بالنسبة إليهم ... ولا غضاضة أن جهلوه ، فاللغة الشعبية ، وفهم البيئآت ، والتقاليد في كل شعب ، وقف على أهلها ... إلا من جرد نفسه وتخصص في ذلك ، وهو أمر من الصعوبة بمكان ! !

وإذا فالمسئولية تقع على عواتق أدباء الجزيرة ، الذين ، يدركون قيمة هذا النوع من الأدب ، في بلادهم ، وما لدراسته من الأهمية ، وهو جزء من آثار البلاد ، وأمجادها ، التى يجب عليهم تنوير الرأي العام العالمى عنها ..

وهذا ما أدركه الدكتور طه حسين ، في بحثه عن الأدب في جزيرة العرب ، حيث يقول :

« ولسوء الحظ لا يعنى العلماء في الشرق العربي بهذا الأَدب الشعبى عناية ما ، لأَن لغته بعيدة عن القرآن ، وأَدباء المسلمين لم يستطيعوا – بعد – أَن ينظروا إلى الأَدب على أَنه غاية تطلب لنفسها ، وإنما الأَدب عندهم وسيلة إلى الدين .. » [١]

وكل ما قام به أَدباؤنا – في هذا المجال – هو نتف ، وخطرات ، تنشر في الصحف ، وسرعان ما تذهب نسياً منسياً .. اللهم إلا ما قام به الأَستاذ المغفور له (خالد الفرج) من عمل يعد فيه جامعاً ، لا دارِساً ، ومنتقياً ، لا مستقصيا .. فقد أَورد جملة من عيون الشعر النبطى ، لشعراء محدودين ، ووضع عليها تعليقات تحل رموزها ، وتقرب بعيدها ، ولكنها مجة من لجة ، ونزر من بحر .

وخرجت بعد خالد مجموعات من الشعر النبطى ، نهج فيها نهجه ، ونسج على منواله ، إلا أَنه حشد فيها الشعر حشداً ، فاتسمت بالفجاجة والضحولة ..

وعلى كل فهذه محاولات ، وبداية شعور بالمسئولية ، وفهم لقيمة هذه الدراسة على ضوء ما يوحى به الأَدب المعاصر في نظرته إلى الحياة ..

---

(١) الحياة الأدبية في جزيرة العرب للدكتور طه حسين ص ٢٥ .

فبناء القصيدة متشحة بألفاظ التهويل ،والتدبيج ، ورصفها على نمط تقليدي ، يستوحى من شعر القرون الخالية .. لا يعبأ به الأدب المعاصر ، ولا يقيم له وزنا ، بقدر ما يحفل بالقصيدة ، أو القطعة ، تنبض بروح المجتمع ، وتتفاعل معه ، وتذوب فيه ، حتى ليسرف بعضهم ، فيغض عن الهنوات تخدش الفصحى ، وتخل بالوزن ، في جانب أنتظامها في سلك هذه الأغراض ، ونهلها من معين مجتمعها ... ومن أجل ذلك أصبح للأدب الشعبى – في نظر الأدب المعاصر – قيمة لا يستهان بها ، لانه وحي المجتمعات ، والسفير بين دارس أحوال الأمم ، وبين مجاهلها ومنعطفاتها ، سواء منها دواوين الملوك والأمراء ... أو الأكواخ ، والكهوف ... مما حدي بالدكتور طه حسين ، ليجعل هذا الأدب الشعبى – في جزيرتنا – قسيما للأدب العربي الفصيح ، إذ يقول :

« .. وعلى كل حال فان في جزيرة العرب أدبين مختلفين ، أحدهما شعبى يتخذ لغة الشعب أداة للتعبير لا في جزيرة العرب وحدها بل في البوادي العربية كلها ، في الشام ومصر ، وأفريقيا الشمالية ، وهذا الأدب – وإن فسدت لغته – حى قوي ، له قيمته الممتازة ، من حيث انه مرآة صافية لحياة الأعراب ،

في باديتهم ، وهو في موضوعاته ، ومعانيه ، وأساليبه ، مشبه كل الشبه للأدب العربي القديم ، الذي كان ينشأ في العصر الجاهلى ، وفي القرون الأولى للتاريخ الاسلامى ، ذلك لأن حياة العرب في البادية لم تتغير بحال من الأحوال ؛ فحياة القبيلة الاجتماعية والسياسية والمادية الآن كما كانت منذ ثلاثة عشر قرنا . .

فطبيعى أن يكون الشعر المصور لهذه الحياة ، كالشعر الذي يصور الحياة القديمة ، وإن كان موضوعه ما يقع بين القبائل من حروب ، ومخاصمات تدعوا إلى الفخر ، والمدح ، والهجاء ، والرثاء ، وما يثور في نفس الأفراد من أنواع الآلام ، واللذات التى تدعوا إلى الغناء بالشكوى حيناً ، والحب حيناً آخر ، والعتاب مرة ثالثة .. »

ويمضى الدكتور طه حسين في ذكر الخطابة ، والخطباء الشعبيين ، إلى أن يقول : « وهذا الأدب العربي الشعبي يرويه في البادية جماعة من الرواة يتوارثونه عن أبائهم ، ويورثونه لابنائهم ، ويكسبون بروايته حياتهم المادية ، ومكانتهم الممتازة أحياناً ... » (١)

---

(١) الحياة الادبية في جزيرة العرب ص ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ .

وهذا الذي قاله الدكتور طه حسين بعض مما ينبغي أن يفهم عن الأَدب الشعبى في جزيرة العرب عموماً ، وعن الشعر النبطى خصوصاً ، فقد لعب هذا الشعر في الجزيرة العربية دوراً ربما يصل إلى درجة الغرابة والاستبعاد ، عند من لا يعرف حقيقة المجتمع في هذه الجزيرة ، وينظر – بطبيعة الحال – إلى هذا الشعر على أنه شعر شعبى ، خاص بالسوقة ، والطبقة الدنيا من الناس ، يقطعون به فراغهم ، ويعمرون به مقاهيهم وأنديتهم ، ويستعين به أَصحاب المهن على مهنهم ، يلحنونه ، ويتغنون به .. وهكذا شأن هذا اللون من الشعر لدى المجتمعات الأَخرى ... أما أَن يحفل به الملوك ، والامراء ، والقادة ، ويستمع إليه علية القوم ، وصفوة المجتمع ، وأما أن يلهب أَحساس الامة ويذكى فيها نار الانفعال ، والتذمر ، وأما أَن يتخذه العاشق الولهان أَداة للتعبير عن شجونه ، ووسيلة لنشر مكنونه .. أَو على الأَصح يستعمل كما كان الشعر العربي الفصيح يستعمل ، في أَغراضه ، واتجاهاته ، ومناحيه .. أَما أَن يكون بهذه المثابة ، فليس إلا ما كان في جزيرة العرب ، فلقد أَثاب الملوك عليه وأَكثروا ، وأَمعنوا في العقاب عليه وأَهدروا ، ولطالما أَصاخت المحافل للشاعر يتربع عن يمين الملك أَو الأَمير ، أَو يحتل الصدارة في المنتدى الكبير ، ويبدو في غطرسته وكبريائه

كما يبدو أبو الطيب ، أو البحتري وكأن لسان حاله يقول :

أجزني إذا أنشدت شعراً فانما
بشعري أتاك المادحون مردداً

ودع كل شعر غير شعري فانني
أنا الصائح المحكى والآخر الصدى

حتى ليحكى عن العوني[*] (شاعر الحماسة ، ومشعل الحروب) انه إذا طلب منه أن ينشد أو يقص فلا بد أن ينصت كل من في المجلس كثروا ، أو قلوا ، وإذا ندت من أحدهم كلمة ، أو همسة ، ترك القصص ، أو الإنشاد وربما غادر المجلس ! .

والعوني هذا - بحكم اتجاهه الشعري الخاص بالحماسة ، والهاب شعور المجتمع - لعب دوراً لا يستهان به في الظرف

(*) هذا الشاعر هو محمد بن عبد الله العوني ، أشهر شاعر شعبي في الحماسة ، وأكبرهم شخصية لدى الملوك ، والأمراء ، والرؤساء ، لعب دوراً لا يستهان به في الجزيرة العربية إبان اضطرابها وتأرجحها ، وأهله شعره لمكانة اجتماعية ، لا تدانى ، رغم خمول نشأته من إحدى قرى القصيم الصغيرة ، وهي قريه (الربيعية) وقد رزق مع هذه الشاعرية الاستفزازية المتدفقة شخصية قوية نابهة ، ورأياً صائباً حكيما ، لولا ما داخله من غرور جعله يصادق هذا تارة ويتنكر له أخرى ، ويمدحه تارة ويؤلب عليه أخرى ... فاكتشف الملك عبد العزيز آل سعود هذه الخطة فرمى به في سجن الأحساء حتى هلك فيه عام ١٣٤٢ هـ .

الذي كانت فيه الجزيرة العربية تغلي غليان المرجل ، بالفتن والحروب ، وكانت الحرب بين ابن سعود وابن رشيد قائمة على قدم وساق ، وكانت سجالا بينهما ، وكان وطن العوني بلد القصيم ، وكان حينذاك متأرجحاً بين ابن سعود وابن رشيد ، بحكم توسطه بينهما ، وما يمتاز به من ثروة في المال والرجال ، وفوق أن للعوني تأثيراً كبيراً على كثير من سكان الجزيرة ، فله مكانة اجتماعية في وطنه ، لذا فان كلا من المتحاربين ينظر إليه كما ينظر إلى زعيم روحى ، أو سياسى ، يقود الجماهير ، ويوجهها ، حتى صار كل منهما يخطب وده ، ويرغب استمالته إليه ، ومن ثم جعل العوني يلعب على الحبلين ، وأدركه داء أبي الطيب ، ومن على شاكلته ، فجعل يمدح هذا تارة ، ويهجوه أخرى ، ويؤلب عليه تارة ، ويدعو له أخرى ، ويؤثر عنه انه يقول : « ليست العبرة بالذي يدبر الجيوش ، ويقودها ويحارب في الميادين ... بل العبرة بالرجل الجالس أمام موقد قهوته ، ويستطيع وهو في جلسته هذه أن يشعلها حرباً ضروساً ، بين من يشاء من القبائل ! ! » .

ونحن إذا نظرنا إلى حالة الجزيرة العربية في ذلك الزمن ، وما هى فيه من فتن ، واضطرابات ، شغلتها عن كثير

من شئون حياتها ، ندرك من خلال هذا ما لهذا اللون من الشعر من تأثير عليها آنذاك ، حيث استطاع العوني صاحب هذا الاتجاه ، وزعيم الشعر الحماسى ، أن يضرب على الوتر ، ويستغل غفوة الدهر ، يقول فيسمع لقوله ، وينشد فيترك في الدنيا دوياً هائلاً ، وليس أدل على ذلك من قصيدته المسماة (الخلوج[1]) وقصتها ان عبد العزيز بن متعب آل الرشيد حاكم حائل آنذاك ، أناخ بكلكله على القصيم وجعل يقتل ، ويخرب ، ويفسد ، كما هى عادته ، وسياسته التى لا تعرف للحكم معنى إلا عن طريق قعقعة السلاح ، وفوران الدماء ، فانتضى العوني سلاحه ، متمثلا في مقول يطبق المحز ، ويصيب شاكلة القول ، فبعثها صرخة مدوية لمهاجري قومه في سورية ، وكانوا إذ ذاك من الكثرة والقوة بمكان ، حيث يتزعمون تجارة الجزيرة العربية في الإبل والخيل والغنم هناك ، وشراء ما تحتاجه من تلك البلاد ، ويطلق على هذا الصنف من الناس اسم « عقيل »يستهل قصيدته بذكر ناقة فقدت ولدها بين قطعان الماشية ، فجعلت ترجع الحنين ، وتكسر العبرات :

---

(١) الخلوج : الناقة فقدت ولدها .

خلوج تجذ القلب بأعلى عوالها
تكسر بعبرات تحطم سلالها (١)

تهيض مفجوع الضمائر بحسها
إلى طوحت صوت تزايد هجالها (٢)

ويمضي في قصيدته هذه نادباً شاكياً باكياً مستصرخا إلى أن قال :

لا تتبعون الهون والعجز والعسى
أو ربما أوليت يتعب سؤالها (٣)

تري مركب الأخطار هو مصعد العلى
ولا يدرك العليا غيور شكى لها (٤)

وتصل إليهم هذه القصيدة ، فتدب فيهم روح الغيرة ، ويتملكهم شعور الثأر ، وحماية الذمار ، وينادي فيهم منادي الرحيل ، وتقوم هناك سوق السلاح ، وترتفع أثمان الإبل ،

---

(١) تجذ : تقطع . عوالها : حنينها . تكسر : ترجع . سلالها : جمع سلة وهي السيوف والخناجر مجردة عن الاغماد ونحوها .

(٢) تهيض : تشجي . حسها : صوتها . إلى : بمعنى إذا . طوحت : ارسلت الصوت . هجالها : اضطرابها .

(٣) العسى : أي التعلل بعسى . يتعب سؤالها : لا يفيد التعلل بها إلا التعب .

(٤) ترى : كثيراً ما ترد هذه الكلمة في الشعر النبطي ومعناها : إنّ . مركب : ركوب . شكى لها : أي أشتكي من وعورة طريقها .

ويسود دمشق جو من الحركة ، والتأثر ، وبعد مدة وجيزة ، تخرج حمراء ململمة ، جيشاً ، وخيلا ، وتحناناً ، وتصهالا ، فيصلون إلى بريدة ، ويلتف حولهم من التف ، وينازلون ابن الرشيد في (الطرفية) ويكون يوم يشيب وليده ، وما النصر إلا من عند الله .. وهكذا تكون هذه القصيدة النبطية مثار حرب طاحنة يموت فيها المئات من البشر .

ويمضى العوني على هذا المنوال كلما المت بمن حوله نازلة ، أو ضيق عليه الخناق ، أرسلها شعلة ملتهبة تفعل مالا تفعله الجيوش ، يقول مستنفراً قبيلة شمر حينما حوصر ابن الرشيد في (ياطب) .

وين الطنايا وين شرابة الهيل
وين الجمال إلى تشيل الثقايل [١]

وين السيوف إلى تعدل عن الميل
وين الرماح إلّى نحت كل عايل [٢]

---

(١) وين : بمعنى أين . الطنايا : الغُير ، وهي ندبة لشمر ، شرابة الهيل ، كناية عن انهم أهل كيف ، وهو دليل على السماحة والكرم . إلى : التي . تشيل الثقايل : تحمل الاثقال . والمراد هنا الصبر والجلد .

(٢) إلى نحت : التي صدت وابعدت . كل عايل : كل معتد غادر .

نشرب بهم صافي القراح الشهايل

ونزل بهم غصب على كل طايل(1)

غلبـــا ترى بلدانكم لبست النيـــل

تنخى الرجال ومكرمين الاصايـــل (2)

وله قصيدة أخري في نفس الغرض ، حينما حاصر الملك عبد العزيز حائلا ، مطلعها :

مضى الليـــل وانحن النجوم وقام

لظى الصبح يجلى عن سناه ظلام(3)

وقصيدة ثالثة في آل سعدون :

تقولـــون دنيـــانا علينـــا تغـيرت

تغيرتـــوا انتم ما عرفتـــوا غيورها(4)

الايام هى الايام ما زاد عـــدها

سنينها هـــذي وهـــذي شهورها(5)

---

(1) نشرب بهم : لا نُمنع عن الماء بوجودهم . صافي القراح الشهايل : الماء العذب البارد . ننزل بهم : من أجلهم . غصب : رغم . كل طايل : كل مكان عال .

(2) غلبا : ياغلبا وهي ندبة لقبيلة شمر ايضاً . ترى : إن لبست النيل : أي لبست سواد الذل . تنخي : تندب . مكرمين الاصايل : الخيول الاصيلة .

(3) انحن : انحدرن للمغيب.قام : بدأ ، وفاعله لظى.يجلي : يجلو . سناه:نوره .

(4) تغيرتوا : تغيرتم . غيورها تغيراتها .

(5) عدها : نظامها الذي تسير عليه .

لا شك غـيركم هماليـج مبغض

وذل حشا لبـاتكم في صدورها [1]

ماتا نفـون العـار والذل والردي

انعوا نساكم يوم ضاعت بزورها [2]

ونهاية هذا الشاعر الفحل أن يجره شعره ، وما أكسبه من شهرة جعلته في صفوف الرجال الخطرين القمنين باحداث الانقلابات والفتن ... ان يجره ذلك إلى غياهب السجون يتهري لحمه فيها ، ثم يشيع منها إلى مقره الأخير ! ! ..

أما عبد العزيز بن عيد صاحب (البرة[*]) المسمى با (العزِّي) فله هو الآخر صولات وجولات ، في هذا الميدان

---

(١) لا شك : ترد هذه العبارة كثيراً في الشعر النبطي ، وهي ليست على معناها اللغوي بل معناها عندهم : (لكن) . هماليج : وسوسة ونفثات . حشا : ملأ . لباتكم : جمع لبة وهي اسفل العنق مما يلي الصدر والمراد اترع الذل صدوركم .

(٢) تانفون : تستنكفون . الردى : عندهم الخسة والجبن . انعوا : ابكوا ضاعت : ظلت . بزورها : أولادهن .

(*) هو الشاعر عبد العزيز بن عيد من آل عجلان اهل (البرة ، ورغبة) ، الهذليين وهو شاعر مجيد ولكنه مقل، اشتهر بجزالة الشعر ورصانته ، وحسن ديباجته ، ومن شعره :

لا تامن الدنيـا ولا ترتهي به تقبل وتعطي عند الاقفاي عرقاب

ان ادبرت قصت محوص قطيبة وان اقبلت فادني شريط لها جاب

ولو لم يكن من شعره إلا هذان البيتان لكفاه فخراً ، كيف وقد ابدع في المدح والاعتذار ... الخ .

أهدر دمه من أجلها ، وكان له اعتذار بلغ من القوة والجزالة الحد الكبير ، ولشعره على وجه العموم تأثير جيد ، فلقد مدح (الجرباء) أحد مشائخ بادية شمر [1] بقصيدة منها :

يا الزير يا الزحار يا النمر يا الذيب
يا الليث يا اللايوث يا الشبل يا الداب [2]

نطاح طابور العساكر إلى هيب
بالسيف لا رقاب المناعير قصاب [3]

عيبه إلى من قالوا الناس به عيب
للسمن فوق مفطح الحيل صباب [4]

ويقال إنه لما أمعن في إيراد هذه الألفاظ الجزلة بهذا الأسلوب الشعري القوي ، وكان (الجرباء) متمنطقاً بمنطقة ذهبية ، وبها خنجر ثمينة ، شعر الممدوح بالزهو والإعجاب ،

---

(١) وتروى لغيره .

(٢) الزير ، والزحار ، والليث ، واللايوث ، والشبل : كلها من اسماء الأسد عندهم . الداب : ايه .

(٣) نطاح : صيغة مبالغة ومعناها مبارز . طابور : الكوكبة من الجنود . إلى : إذا . لا رقاب المناعير : لرقاب الشجعان . قصاب : جزار .

(٤) إلى من : إذا ما . مفطح : عجز . الحيل : الغنم التي لم تحمل مدة سنة أو سنين . صباب : صيغة مبالغة في كثرة الصب .

وتعاظم حتى لم تقو هذه المنطقة على تحمله فانبترت وكانت أولى هباته للشاعر ! !

وبالجملة فالشعر النبطى كانت له لدينا مكانة لا تبارى ، فهو إذ ذاك صحافتنا ، وهو أدبنا ، وهو أداة التعبير لدينا ، فحتى العلماء يتذوقونه ، ويحفظون مليحه ..

ويندر أن يوجد أحد من ملوك الجزيرة السابقين ، وأمرائها ، وقادتها ، وزعمائها ، ليس له شعر ، بل لقد اسهموا في هذه الناحية وتركوا لنا فيها تراثاً جزلا .. ولا سيما في مجالى الفخر ، والحماسة ، وعند معمعان الحروب ، وبعد الانتصارات والادلال بالنفوس ، والاعتداد بها ، وسوف نتعرض لشعر هؤلاء في فصل خاص ، من كتابنا هذا .

ونقول – ولا نستثنى – إن هذا النوع من الشعر قد تبوأ في الجزيرة العربية المكان الذي تبوأه الشعر الفصيح سواء بسواء ، مئات السنين ، غير ان النهضة الحديثة قد أخذت تنقصه من أطرافه ، وتطوي ظله ، ونرجو أن يحل محله شعر يستقى امتداده من معين الفصحى ، ويتمثل فيه الشعر العربي الناضج في أوزانه ، وقوافيه ، وأغراضه ، ومناحيه . وأن ينبعث عن بيئتنا ويستقى من مجتمعنا ، لا أن يكون شعراً تقليدياً ،

استوردت معانية ، وأوزانه ، وأغراضه ، ونماذجه ، مع كل ما نستورده من غث وسمين ..

ولقد كان لى في عهد الصبا ولع بهذا الشعر ، وتشبث فيه ، فكنت أحفظ جيده ، وأحتك بشعرائه ، ورواته ، وتجري لى معهم مساجلات ومذاكرات فيه ، وكنت أقرضه ، وأي خلل يظهر في أي وزن من أوزانه ، أدركه بسرعة ، ولكنى شغلت عنه – ولا أسف – بغيره ، فأخذ يتلاشى من ذاكرتي ويتقلص مع مرور الزمن ، حتى لم يبق منه إلا صبابات في تضاعيف الذاكرة ، ولكن ما أدركه من قيمة لهذا اللون من الشعر في ذلك العهد ، ومن أثر بالغ لدي تلك الأوساط وما يفرضه عليَّ الواجب – ككاتب حذق ذلك الجانب وعرف ما للأدب الشعبى من قيمة – وما أدركته من عزوف أدبائنا عن المشاركة في هذا المجال . كل ذلك كان حافزاً لى على تأليف هذا الكتاب ، ولا شك أنه الأول من نوعه في بلادنا ، وسيري القاريء أن ما بذل فيه من جهد ، ووقت ، وبحث ، وتنقيب .. عمل ليس باليسير . ومجهود جد خطير لا سيما إذا أدركنا أن مادته لا تستقى من أصل سبقنا إليه ، ولا تعود إلى مهيع سلكه غيرنا ! ! .

هذا ولا ندعى أننا لم نترك مقالا لقائل ، وأننا أصبنا شاكلة القول ، وطبقنا المحز ، فتلك شنشنة المغرورين ، وهجيري المهوسين .. ولكننا نثبت حقيقة سوف لا يغمطها التاريخ ، ولا يجحدها المنصفون ، وهى تبرز في نماذج البحوث ، وأمثلتها وشواهدها ، تلتقط من أفواه الرواة ، ومن نصوص مبعثرة مشوشة ، أخنى عليها التحريف ، والخلط ، واختلال الأوزان ..

ولما كان مثل هذا البحث يفتقر إلى إعطاء القاريء إلمامة موجزة عن نشأة الشعر العربي ، وتطوره ، وامتداده ، وعلاقته باللغة ، ثم ما جد عليه من ترف وليونة في مبانيه ومعانيه .. كان لابد لنا من تناول هذه النواحى كتوطئة للدخول على صميم الموضوع . وكان لابد لنا من أن نعرف كلمة (نبط) ومن أين جاءت ، وما علاقتها بهذا الشعر ، ومتى وأين وجدت .. الخ ومتى ، وأين نشأ الشعر النبطى ، وعلى أي صفة تلقفته الجزيرة العربية ووجد منها أهلا ، وموطئا سهلا ، ثم ما يقوم عليه هذا الشعر من قواعد ، ومميزات ،وخصائص ، تكون عوناً للقاريء على فهمه وتذوقه ، أردفناه بشرح قصيدة كاملة كأنموذج بين يدي الدارس ، تشف عن منهج هذا الشعر وأسلوبه ..

وسيري القاريء نماذج من شعر الملوك ، والأمراء ، والقادة الذين كلفوا بهذا الشعر وخلدوه ، وعلاقة هذا الشعر بالشعر العربي ، في أغراضه ، من مدح وهجاء ، ووصف وغزل ، ورثاء وحكمة .. الخ .

ثم إلى أسلوب القصيدة في هذا الشعر ، وعلى أي مثال تأتي ومدي تقليد هذا الشعر لصنوه العربي ، ثم تصوير البيئة ، ومقدار ما يعطّى هذا الشعر فكرة عن أمة في حياتها الاجتماعية والمادية والدينية .. الخ وكيف يلتقى مع الشعر العربي في طرق المعاني ، والتوافق فيها بدون سرقة أو تقليد ، وأحيانا باتفاق المعاني والألفاظ ، من باب توارد الخواطر ، ثم نزوع الشعر النبطى إلى العربي ، وكيف يوجد كثير من بيوته ، مستقيمة اللغة والوزن والقافية ، بدون أيما تحوير أو تغيير .

وسيجد أن الشعر النبطى غنى بالصور البلاغية معانيها ، وبيانها ، وبديعها ، في ما يمر في هذا الباب من نصوص ، وأمثلة ، وشواهد ، كما وأنه قد أدركه ما أدرك الشعر العربي من ترف ، تجد أن شعراءه ، أطلقوا العنان لأنفسهم في الطلاء ، والقشور التى تخرج بهذا الشعر عن متانته ، ورصانته !!

ثم علاقة هذا الشعر باللهجات في الجزيرة ، وادراك لهجة كل قوم أو أقليم من شعرهم ، وإيراد شواهد على ذلك . وكما يقتضي البحث الإلمام ولو بشيء يسير عن هذا الشعر في الأقطار العربية الأخرى ، وتباين ما بينها في ذلك .. وكيف أن هذا الشعر في كل قطر ـ غالباً ـ يحمل طابعا خاصا ..

وسيري أن هذا الشعر له أدوار ، وأصوات ، ومقاطع ، يختص كل قسم منها بحالة معينة ، على اختلاف الشعبيين في أدائه ، وأحواله التى يعرض فيها ، ومناسباته التى يساق إليها .. الخ .

ثم أننى أخذت على نفسى ألا يمر شاهد أو أنموذج إلا وشرحت ألفاظه اللغوية العامية شرحاً موجزاً ، في حين أننى لم أتعرض إلى المعاني ، وتركيب الجمل ، إلا نادراً ..

ولعل بعض القراء يأخذ عليّ استقصائى في شرح المفردات اللغوية العامية ، إذ أن بعضها واضح مفهوم ، ولا شلك أننى عند حسن ظنى بالقاريء ، ولكننى أثق أنه سوف يقرأ هذا الكتاب من هو بعيد كل البعد عن عاميتنا ، ولا أريده يقف أمام رموز لا يجد سبيلا إلى حلها ..

ولقد سميته « الأَدب الشعبى في جزيرة العرب » ، رغم أَن الأَدب الشعبى أَو « الفولكلور » – كما يسمونه – يشمل الشعر الشعبى ، والمثل الشعبى أَو الأَحدوثة – القصة الشعبية – إلا أَننى تجوزت في التسمية لأَمرين :

الأَمر الأَول : مالدي من عزم على تناول بقية ما يشمله هذا الاسم . بالتأَليف في شكل سلسلة ، يكون هذا الكتاب الحلقة الأَولى منها .

الأَمر الثاني : ان المثل ، والحكاية ، العاميين لا ينسبان إلى الشعر النبطى ، في قوه تأَثيره ، واحتفاء الجمهور به ، والمكانة التى وصل إليها في هذه الجزيرة العربية ، مما لا يصح معه ان نجعلهما قسيمين له ومما أَباح لنا التجوز في التسمية ...

وليلاحظ القاريء أَننى لم أَضمن هذا الكتاب من النصوص ، إلا ما تطلبه البحث ، أَو دعت إليه المناسبة ، إذ ليس من خطتى في هذا المؤلف حشد النصوص ، حتى ولو استملحتها ، واستجدتها لئلا نخرج بالكتاب عن غرضه ، وليعذرني القاريء حينما سيري ما أَوردته من النصوص جاء على غير القواعد العربية في الإملاء ونحوه ، فإننى لو حاولت التغيير والتبديل في بعض نصوصه المترادفة لاخضعها للقواعد الصحيحة ، لأَوقعت القاريء المتذوق

لهذا الشعر في لبس ، قصاري ما يقول عنه : أننى غير ملم بأوزان هذا الشعر وألفاظه ، وقد تناولت هذا الموضوع في باب خاص ، هو « من خصائص شعر النبط » . بما يكفى عن الاطالة هـنا .

عبد الله بن محمد بن خميس



نشـــأة الشعـــرالعـــربي

يجدر بنا أن نقدم بين يدي بحثنا عن « الأدب الشعبى في جزيرة العرب » شيئاً عن نشأة الشعر العربي ، وتطوره ، وأغراضه ، والعوامل التى اعتورته ، والمؤثرات التي طرأت عليه ، حتى رأينا منه لوناً خاصاً يدنو منه بوشيجة ، وينأى بأخري ، وهو ما نسميه : (الشعر النبطى) ، ولم يكن لنا من قصد نتوخاه إلا رد الفرع إلى أصله ، ونسب الماء إلى ينبوعه ..

يذهب كثير من الباحثين إلى أنه لا يعرف – على وجه التحديد – الزمن الذي بدأت منه أولية الشعر العربي ، ولا من هو أول من قرضه ، ولا البلاد التى نشأ فيها ، إلا أن مؤرخى الأدب يكادون يجمعون على أنه أقدم الآثار العربية عهداً ، ويعللون ذلك بأنه أقرب إلى طبيعة العربي الأول ، وألصق بعاطفته وأخيلته الساذجة المحدودة .

ومن جراء هذا الغموض الذي يكتنف أوليّة الشعر العربي ، يتردد في الأذهان سؤال حائر ، عن الكيفية التى بدأ بها الشعر ، والأطوار التى مر بها ، وهل كان نتيجة لتدرج العربي به على سبيل الترقي من الكلام المرسل ، إلى المسجوع ، إلى الموزون المقفى .؟

يرجح كثير من مؤرخى الأدب العربي هذا الرأي ، ويبدو أنه الأقرب إلى الحقيقة لما ندركه من أن الشعر يحتاج إلى التعمل ، واستدرار القريحة ، وتملق العاطفة ، بينما النثر المرسل ، يأتي عفو الخاطر ، وطوع الطبيعة ، ويقع السجع في مرتبة بين بين ، مما يدل على أن الشعر لم يصل إلى ما وصل إليه ، إلا بعد كد الذهن ، واجتياز مراحل الترقي . . وأيضاً فان ما أثر عن كهان العرب ، وحكمائها الموغلين في القدم ، من أسجاع قيدوا بها حكمهم ، وصوروا بها نتائج تجاربهم ، نراها جاءت في زمن يعتبر فترة انتقال من النثر المرسل إلى السجع ، لما له من وقع في النفس ، وتأثير على السامع ، يسمو عن مستوى النثر ، ويقل عن الشعر ، ويدل لذلك أن « قس بن ساعدة » أحد حكماء العرب ، وممن جاء قبيل الاسلام ، وبعد انتشار الشعر في بعض الأوساط العربية ، جمع في التعبير عن حكمه وتجاربة ، بين السجع ، والشعر .

على أن طبيعة الشعر نفسه ، قد تعطينا الدليل على هذا ، فالرجز ، وهو أخف أوزان الشعر العربي ، حفلت به دواوين الشعر الجاهلى ، ومثله سائر البحور التى هى سهله الأنقياد ، قريبة المتناول .

وظل الشعر يترقي في أَوزانه وأَساليبه وأَغراضه ، كلما أَمعن العربي في الأَحتفاء به ، والتنافس فيه ، حتى وصل إلى المنزلة المعروفة عنه ، وحتى أَوغل العرب في التلاعب بأَلفاظه ، وإدخال الصنعة عليه .

وأَيا ما كان ، فالحقيقة التى لا مراء فيها ، هى أَن هذا الشعر الذي حفظه الرواة ، ودونة المدونون ، عن عصور الجاهلية القديمة ، لم يكن إلا فيضاً من غمر ، ومجة من بحر ... وأَنه لم يوجد هكذا عفو السجية ، موزونا مقفى ، له حدود وقيود بل لا بد فيه من أَعمال فكرة ، وتردد نظرة بعد نظرة ، ولا بد أَن له محاولات عفى عليها الدهر ، ولم يدركها عصر الرواية ، والتدوين ، فذهبت فيما ذهب ، ومن ذهب .

وما حفظ من هذا الشعر يعطينا أَصدق دليل على نسبته إلى أَصل أَصيل ، ونبع ثر جليل . . يقول زهير بن أَبي سلمى :

ما أَرانا نقول إلا معاراً
أَو معاداً من لفظنا مكرورا

ويقول امرؤ القيس :

عوجا على الطلل المحيل لعلنا
نبكى الديار كما بكى ابن حذام

ومن مطلع لعنترة :

هل غادر الشعراء من متردم ... ...

أما أقدم شعر حفظته الرواة ، ونقل الينا مدوناً ، فقد جاء هو الآخر محفوفا بكثير من الخرافات ، والشبهات التى تجعلنا في شك من نسبته إلى قائليه ، فقد أثبت ابن جرير – وهو إمام المؤرخين – نقلا عن بعض الرواة بيتين من الشعر ، عزاهما إلى آدم عليه السلام ، قالهما حزنا على ابنه هابيل بعد قتله ، وهما :

تغيرت البلاد ومن عليها
فوجه الأرض مغبر قبيح
تغير كل ذي لون وطعم
وقل بشاشة الوجه المليح

كما قد أورد بيتين آخرين ، أجيب بهما آدم .

وذكر المسعودي في خبر وفد عاد على معاوية بن بكر سيد العماليق ، وكانوا يومئذ أهل البيت ، وكان في الوفد رجل يدعى (قيل بن عمرو) وكانت تغنيهم قينتان لمعاوية بن بكر مدة اقامتهم ، فاشفق عليهم معاوية وكانوا اخواله ، فأمر قينتيه – واسمهما الجرادتان – أن تغنياهم بهذه الأبيات :

أَلا يا قيـــل ويحكِ قـــم فهينم
لعـــل الله يمطـــرنا غمــامــا

فيسقى أَرض عـــاد ان عـــاداً
قــد امسوا لا يبينـــون الكلامــا

و أنــتم ههنـــا فيمـــا اشتهيتم
نهـــاركم وليلكـــم التمـــامــا

فقبـــح وفـــدكم من وفـــد قـــوم
ولا لقـــوا التحيـــة والسلاما [1]

ويروي أَيضاً شعراً نسبه إلى ملك سبأً ، حينما اجتاحهم سيل العرم ، وخرب سدهم . في أَسطورة زعموا فيها أَن الجرذ قلب من هذا السد صخرة لا يقلبها خمسون رجلا ! ! فتم انهيار السد بعد ذلك ، ومن هذا الشعر :

من جرذ كفحـــل خنزير الأَجـــم
أَو تيس صرم من أَفاويق الغنم

يسحب صخرا من جلاميد العـــرم
له مخـــاليب وأَنيـــاب قضم

(١) أخبار الزمان ص ٨١ .

وهناك روايات أخري ، كزعمهم نظم أحد العرب لسفر أيوب ، في نحو القرن العشرين قبل الميلاد ، على صورة الشعر التمثيلي .. وروايات أخري لا تقوم على أساس من الرواية ، بل تبدو عليها آثار الصنعة الساذجة في خيالها وتركيبها ومعانيها ..

وقصاري القول ، أننا لا يمكن أن نعتبر ما تجاوز حرب البسوس ، أو ما قبلها بقليل مما نقل إلينا .. سليما في روايته خاليا من الشكوك ، والشبهات .

ومن هذا نخرج بنتيجة ، وهى أننا لا يمكن أن نعرف أولية الشعر ، ولا الزمان والمكان الذي بدأت فيه هذه الأولية ، وأن ما تقدم حرب البسوس ، أو ما قبلها بقليل ، مما نقل إلينا ، لا نثق في صحة روايته ، ولا سلامته من الصنعة ...

تطور الشعر العربي

والشعر كفن ساير الأمم منذ عصورها البدائية ، إلى يومها هذا . . . لا بد وأن يتكيف معها ، ويتقمص مع كل زمن ما يناسبه ، ويرقى برقي أمته وينحدر بانحدارها ، وهكذا رأينا الشعر العربي يبدأ ـ أول ما بدأ ـ (وهذا على ما اخترناه من كيفية نشوء الشعر العربي) بالسجع ، وهى الجمل الموقعة ، سمي بهذا لأنه تشبه نغم الحمامة وتسجيعها ، وهى مما يقع تحت حس العربي الأول ، ومن هنا جاءت التسمية . . وكان ـ غالباً ـ محصوراً في الصوامع ، وأديرة الكهان ، وفي ما يتصل بالديانات والالاهيات ، ثم ينتقل من هذا المحيط ، إلى المغاني والمرابع ، وإلى ظهور الإبل ، وصهوات الجياد . . . فيتخذ شكلا آخر ، وهو الرجز ، يحدى به في الدوللأيانق ، فتحن إليه ، وتسيل بأعناقها النجاد ، والوهاد . .

وكما قالوا : إن السجع مأخوذ من سجع الحمامة . قالوا كذلك : إن الرجز مأخوذ من إرقال الناقة ، ووقع خطوها ، فكأن تقطيع الرجز يوقع على خطو الناقة .

ومن أساطير العرب ، أن أول من رجز (مضر بن نزار)

سقط عن جمله فانكسرت يده ، فجعل يردد ، وايداه ايداه ! ابصوت شجي ونغمة بارعة ، فالتفت حوله المطيّ ، وجعلت تطس الارض بمشافرها ، طرباً لهذا الصوت ، ومن ثم ركبوا على هذا الوزن ما سمى بالرجز ! !

والرجز هو أخف بحور الشعر العربي ، وأوقعها نغمة ، ولأجل خفته ومرونته ، أتخذه العلماء مطية ، لنظم المتون العلمية ، والوقائع التاريخية .. ويمضى الشعر في السمو والارتقاء ، يتلقفه جيل بعد جيل ، ويتبلور مع مرور الزمن ، وتتابع الأحداث ، حتى أصبح له بحور متعددة ، وأغراض مختلفة ، وحتى وجد سبيله إلى الحواضر ، والمدن ، وبلاطات الملوك ، ودواوين الأمراء ، وكان له في السياسة شأن وأي شأن . . يحدثنا الثعالبى في كتابه (يتيمة الدهر) عن أطوار الشعر العربي في عصوره التى مرت به ، وكيف وجد في كل عصر ، يزهو في حلة أبهى وأجمل من حلته في العصر الذي قبله ، فيقول :

« .. كانت أشعار الاسلاميين ، أرق من أشعار الجاهليين ، وأشعار المحدثين ألطف من أشعار المتقدمين ، وأشعار المولدين أبدع من أشعار المحدثين ، وكانت أشعار العصريين أجمع لنوادر المحاسن ، وأنظم للطائف البدائع ، من أشعار سائر

المذكورين ، لانتهائها إلى أبعد غايات الحسن ، وبلوغها أقصى نهايات الجودة ، والظرف ، تكاد تخرج من باب الإعجاب ، إلى الإعجاز ، ومن حد الشعر إلى السحر ، فكأن الزمان ادخر لنا من نتائج خواطرهم ، وثمرات قرائحهم ، وأبكار أفكارهم. أتم الألفاظ والمعاني ، استيفاء لأقسام البراعة ، وأوفرها نصيباً من كمال الصنعة ، ورونق الطلاوة ... [(١)] » .

يقول هذا الثعالبى وهو المتوفي في أوائل القرن الخامس الهجري ، فكيف لو رأي الشعر في بقية عصوره الزاهرة ! !

وعلى هذا فيمكننا القول ، بتطور أغراض الشعر ومعانيه مع تطور أوزانه ومبانيه ، وتجاوزه وصف الناقة والجواد ، والغيث والليل ، وما يقع تحت حس العربي الأول ، ويظهر في بيئته .. إلى وصف الحدائق ، والقصور ، والطيور ، والزهور ، ومن الفخر بالقبيلة والتغنى بأمجادها ، إلى معالجة المشاكل الاجتماعية ، وتوجيه المجتمعات نحو الفضيلة ، وبناء صروح الأمم .

وبالجملة فقد اتسعت دائرة الشعر العربي ، مع مرور الزمن وسما في خياله ، ومعانيه ، وأغراضه ، ومبانيه ، مع أننا لا ننكر

---

(١) اليتيمة ج ١ ص ٣ ، ٤ :

ما يعترضه من مد وجزر ، تبعاً للأحداث التى مرت بالأمة العربية ، والتيارات التى تعاقبت عليها ، وما كان للسياسة فيه من أثر بالغ ، استبد بكثير منه ، في كل زمان ومكان .. إلا أن ذلك كله لم يحل بين الشعر وتطوره وارتقائه ، حتى أصاب الأمة العربية ما أصابها ، من نكسة خضدت شوكتها ، وفلت حدها ، وأصاب علومها وفنونها ما أصابها ، من تلاش واضمحلال وفي مقدمتها الشعر واللغة ، وههنا سوف نبين حقيقة هذا التدهور ، وكيف حاول العربي أن يتمسك بالشعر ولو بلغة عامية ساذجة ! !

اللغة .. والشعر :

كلما اتسعت دائرة اللغة ، وحفلت بالمفردات ، واتسمت بالخصب ، والغناء .. كلما وجد أدبها ميداناً فسيحاً للتعبير عن مشاعر أهلها ، والاستجابه لارائهم ، وأفكارهم ، وخواطرهم ولغتنا بلغت العربية من وفرة المفردات ، وسعة الاشتقاق ، وكثرة المترادفات ، حداً لم تبلغه أي لغة أخري ، من لغات العالم فقد وسعت القرآن لفظه ، وغايته ، واتسعت لكتب التشريع الإسلامى ، وكان لأدبها ـ شعره ونثره ـ منزلة لا تداني .. ولقد بلغت مترادفات هذه اللغة لبعض مسمياتها حداً لا يتصوره

متصور ، فللناقة ٢٥٥ اسم ، وللبعير ١٠٠٠ اسم ، وله ستة جموع في أحد اسمائه وهو الجمل ، وللشمس ٥٢ اسما ، وللعسل ٨٠ اسما ، وللأسد ٣٥٠ وقيل ٦٧٠ ، وللحية ٥٠٠ ، إلى آخر ما هنالك مما سير أشعار أهلها ، وطير آدابهم في الآفاق ، وثبت عقولهم ، وزاد في مروءتهم (كما قال عمر بن الخطاب) ..

ومما جعل أحد علماء الغرب (أرنست رينان) في كتابه (تاريخ اللغات السامية) يقول عن هذه اللغة :

« من أغرب المدهشات ، أن تنبت تلك اللغة القوية وتصل إلى درجة الكمال ، وسط الصحارى ، عند أمة من الرحل . تلك اللغة التى فاقت اخواتها بكثرة مفرداتها ، ودقة معانيها ، وحسن نظام مبانيها ، ولقد كانت هذه اللغة مجهولة من الأمم ، ولكنها من يوم علمت ظهرت لنا في حلل الكمال ، إلى درجة أنها لم تتغير أي تغير يذكر ، حتى أنها لم يعرف لها في كل أطوار حياتها لا طفولة ، ولا شيخوخة ، ولا نكاد نعلم شبيهاً لهذه اللغة التى ظهرت للباحثين كاملة من غير تدريج ، وبقيت حافظة لكيانها ، خالصة من كل شائبة ... [١] »

(١) مجلة الأزهر ج ٤ ص ٣٤٢ نقلا عن كتاب (تاريخ اللغات السامية) .

هكذا يقول عن هذه اللغة خصومها ، والفضل ما شهدت به الاعداء ..

ولقد كان أهلها من قبل ينطقونها جميعاً خالصة نقية ، لا كلفة فيها ، ولا لوثة ، يستجيب أحدهم لقريحته ، فتفتر عن درة عصماء ، تتجاوز مائة البيت ، ثم لا تجد فيها مغمزا لغامز ، ولا وقفة لمتنطع ، وهو أعرابي في شملته ، لم يعرف من الحضارة إلا اسمها ، ولم يدر بخلده أن هذا الذي ينطق به عفو السجية ، وطوع الطبع ... سوف يسمى من أدرك بعضه بالتتبع ، والاستقراء والصنعة ... إماما ، كما سمي أخيراً ، سيبويه ، والكسائى ، والخليل ، وابن جنى ، والأخفش ، والزجاج .

ولم يدر بخلده أن يفنى عقبه أعمارهم ، في دراسة هذه الملكة ، التى تلقفها وهو يدرب مقول الطفولة على النطق .. وأنها ستقسم إلى علوم ، وفنون ، وتقام لها كليات ، ويؤلف بها أسفار .. إنه لم يدر بخلده كل هذا ، بينما يسمع طفلته الصغيرة ، التى لم تقو – بعد – على شد فم القربة ، تقول له : « يا أبت أدرك فاها ، غلبنى فوها ، لا طاقة لى بفيها » . ويسمع الأخري ترشد ابن سبيل إلى الماء العذب ، فتقول له : « يا صاح إن الماء أجاج ، وإن العذب خلف الباسقات » .

ويأتي راعية الغنم في الفلاة فتعزم عليه أن يكون ضيفاً لأهلها وتعطيه لهم امارة وتصف له مضربهم فتقول : « أرأيت الكثيب ، الذي خلف الهباء ، إن أهلي تحته ، ودونك عرجوني ، فسوف أمتع غروري واتبعك » .

أنها قاعدة الأسماء الخمسة ، التى قد دون لها باب خاص في كتب النحو ، وشرطوا لها شروطاً ، منها أن تكون مفردة وأن تكون مكبرة ، وأن تكون مضافة ، وأن تكون إضافتها لغير ياء المتكلم . . . الخ ثم ما ورد فيها من خلاف . . تأتي طفلة لما تقو – بعد – على شد فم القربة فتنطقها خالصة سليمة .. ثم يا صاح ، وأجاج ، والعذب ، والباسقات ، والكثيب ، والهباء ، والعرجون ، والغرور .. مفردات لها حلاوة ، ونغم لذيذ ، جاء القران بأكثرها ... أرأيت كيف صدرت من طفلة وراعية غنم ! ! إلا أنها الملكة التى لم يعكر معينها ، ولم يخدش حدها ! !

وليس من شك في أن هذه اللغة أفادها القرآن من وجهين ، فلقد أضفى عليها رونقاً ، وجمالا وجلالا ، وسعة في المفردات ، وكثرة في المشتقات ، من جهة ، وحفظها من التلاشي ، والانهيار والتأثر بالمؤثرات التى لحقت بناطقيها ، من جهة أخري ! !

فالعربية ـ اذن ـ بقى لها تراث ضخم ، حفظه القرآن ، ودونه أئمتها وأدباؤها .. أما هل يستعمل أبناؤها هذا التراث ، ويرجعون إليه في مخاطبتهم العامة والخاصة ، ويكتبون به ، وينشدون ، ويتعاملون ، ويتساءلون .. فهذا مالا وجود له ، إلا عند بعض علمائها ، وأدبائها ، وخاصتها ، في بعض ما ذكر على ما يعتوره من دخيل ، ويتطرق إليه من تسامح ، يجد فيه الباحث مغامز وهنات ! !

أما بقية الناطقين بها ، فقد تفشت فيهم العامية ، وغلبت عليهم اللكنات الأعجمية ، لأسباب كثيرة ، أهمها ، اتساع الفتوحات في العصور الإسلامية ، وامتزاج العرب بغيرهم من الأجناس الأخري ، والتزاوج معهم ، واستيطان بلدانهم ، وبذلك خرجت الجزيرة العربية من عزلتها ، فهاجر إليها من هاجر ، وجاب أرجاءها آخرون ، بقصد التجارة والحج والسياحة

ثم ما أصاب الأمة العربية ، من تغلب أعدائها عليها ، من الفرس ، والتتر ، والترك ، والإنجليز ، والفرنسيس .. وسائر أمم الفرنجة .. خضد شوكة الأمة العربية ، وفل حدها ، واستضعفها ، واستذلها ، وأصبحت لغة الدولة فيها لغه أجنبية ، وتتبعها ـ ولا شك ـ لغة المال ، والاقتصاد ، والأسواق التجارية

فوق أن الغالب ـ دائما ـ يُقلد في كل شيء :

أري الناس ـ مذ كانوا ـ عبيداً لغاشم
وخصما لمغلوب وجنداً لغالب

ولا يمكن ـ والحالة هذه ـ احتفاظ العربية بأصالتها ، ونقاوتها ، بل لابد مما وقع .. وما وقع سهم قتال ، موجه إلى قلب الأمة العربية .

فهذه العجمة التى تسربت إلى موطنها ، واكتنفت حدودها ، خليط من لغات شتى ، أخذ كل طرف من الوطن العربي بما مازجه ، وتشرب به ، وورثه الخلف عن السلف ، ومن ثم فقدت الوحدة التى تجمع اللسان العربي ، بالنسبة إلى سواد الناس ، ودهمائهم ، وأصبح النجدي لا يفهم عن العماني (بضم العين) إلا القليل ، بالاشارة ، والقرائن التى تدل على فحوي الحديث ، الحديث المتبادل المعروف ، أما غيره من الأغراض الخاصة ، المتعلقة ببيئة كلٍ ، فلا يكاد يفهم ، وقل مثل ذلك عن اليمنى مع الحجازي ، وعن البدوي مع الكل ، حتى ليشك الباحث في أنهم ينطقون لغة واحدة .

والعجيب أن قصار النظر من بعض كتابنا ، والمشرفين على شئون التربية والتعليم في بعض الأقطار العربية ، يتجاسر

بالدعوة إلى العامية ، بحجة أنها تسهل على الطالب فهم المصطلحات العلمية ، والبحوث الشائكة .. ومعنى هذا القضاء على هذه الوحدة ، التي تجمع شمل العرب ، واستقلال كل قطر بعامية لاتستند إلى أصل ، ولا ترجع إلى قاعدة ، وليس فيها نبض من روح ! !

ودعك من اللهجات ، فاننا نعلم أن كل اقليم – بله الممالك والشعوب الكبيرة – لا بد وأن يوجد بين سكانه تباين في اللهجات ، واختلاف في النطق ، ولكن ذلك لا يصل بهم إلى درجة استبهام النطق ، وتعذر الفهم ، فالأول هو الفارق بين اللهجات التي توجد بين شعوب الأرض ، والثاني هو العجمة ، ولوثة اللسان ، والبعد عن مقاييس اللغة ..

وأرجو أن أوفق إلى تناول موضوع اللهجات في جزيرة العرب ، في بحث مستقل ، أصل به هذه السلسلة ، وعسى أن يكون قريباً ، كما أرجو أن يتنبه رجال التربية والتعليم ، وقادة الفكر في العالم العربي ، إلى الخطر الذي ينطوي تحت هذا الخليط ، الشائن من النطق في الشعوب العربية ، وأن يحاولوا إرجاع الأمة العربية ولو على سبيل التدرج ، إلى مصدر عزتها ، وكرامتها ، وجامعة شملها – لغة القرآن – .

وبعد ، فما موقف الشعر العربي ، وقد بلغ الأمر بأداته التي يصدر عنها هذا المبلغ ، أيتلاشى ويضمحل ، وقد امتزج بلحم العربي ودمه ، وأصبح ضرورة لمجتمعه ، كضرورة النطق ، أم يستخدم لغته التي يزاول النطق بها ، للتعبير عن دخيلته ، ومشاعره ، وأفكاره ، على وجه خاص ، وبأسلوب يتمشى ومقدور هذه اللغة ؟ !

لقد أصبح الشعر ملكة عند العربي ، وجبلة مستحكمة ، ولسوف يتشبث به ، وينزع إليه ، ما دام يجد إلى النطق به سبيلا ، فكان أن وجد الشعر النبطي ! !

نبــــط ـ ـ وأنبـــاط ـ ـ

هذه المادة تحوِم كلها أو معظمها حول الاستخراج ، والاستحصال ، وربما غلبت على أدراك الماء في الأَرض واستخراجه منها ، ومما جاء في عموم دلالتها على الاستخراج قوله تعالى : « لعلمه الذين يستنبطونه منهم » وجاء في الحديث : « من غدا من بيته ينبط علماً فرشت له الملائكة أَجنحتها » وجاء في حديث آخر : « . . . ورجل ارتبط فرساً ليستنبطها » أي يطلب نسلها .

ومن دلالتها على استخراج الماء خاصة ، قول كعب بن سعد الغنوي :

قريب ثراه ما ينـــال عــــدوه
له نبطاً ، عنــد الهــوان قطوب

وتستعمل أَيضاً في الشية والعلامة البيضاء في إبط الفرس ، فيقال : فرس أنبط ، إذا كان كذلك ، قال ذو الرمة يصف انبلاج الصبح :

وقد لاح للساري الذي كمل السري

على أخريات الليــل فتــق مشهر

كمثــل الحصان الا نبط البطن قائما

تمايــل عنــه الجــل فاللون أشقر

وعلى معنى الاستخراج والاستحصال سمى الجيل الذين يقطنون سواد العراق « نبطاً » – كما جاء في اللسان – لاستنباطهم ما يخرج من الأرض ، أي أنهم حاضرة يعنون بالحرث والزرع ويسمون أيضا نبيطا ، وأنباطاً ، وإليهم ينسب الشعر النبطى ، الذي نحن بصدد الكلام عنه .

وقد ورد ذكرهم كثيراً في كتب السنة والأدب ! فقد جاء عن عمر : « تمعددوا ولا تستنبطوا » أي تشبهوا بمعد ، ولا تشبهوا بالنبط . وورد في حديث آخر : « لا تنبطوا في المدائن » ، والمعنى لا تشبهوا بالنبط في سكناهم ، واتخاذهم الضيع ، والعقار . وورد عن ابن عباس : « نحن معاشر قريش من النبط من أهل « كوثى ربا » قيل إن الخليل ولد بها ، وكان النبط سكانها .

ولما سأَل عمر بن الخطاب عمرو بن معد يكرب عن سعد بن أَبي وقاص – وكان يومئذ في العراق – قال : أَعرابي في حبوته ، نبطى في جبوته ، يريد أَنه في جباية الخراج ، وفلاحة الأَرض ، وعمارتها ، كالنبط ، في حذقهم لهذه المهنة .

ولما كان العرب – في سابق عهدهم بل إِلى وقت قريب – يمقتون الصنائع والحرف ، ويستنكفون من الحرث والزرع ، ويعيشون على الكر والفر ، ويستمطرون رزقهم من ظبات سيوفهم ، وعذبات رماحهم . . سئل الشعبى عن رجل قال لآخر : يا نبطى ، هل عليه من حد ؟ ! فقال : لا حد عليه كلنا نبط ! !

ومن كلام أَيوب بن القرية : « أَهل عمان عرب استنبطوا وأَهل البحرين نبيط استعربوا » .

ولما أَراد أَبو الطيب المتنبى أَن ينال من قدر أَبي الفضل بن حنزابة ، وزير كافور في قصيدته التى مطلعها :

أَلا كل ماشيـــة الخيـــزلى
فـــدا كل ماشيـــة الهيـــذبى

يهجوا بها كافورا ، قال في أبي الفضل :

ومـــاذا بمصـــــر مـــن المضحـــكات
ولكنـــــه ضحـــك كالبـــكى

بهـــا نبطى مـــن أهـــل الســـواد
يدرس أنساب أهـــــل الفـــــلا

ويقول المعري :

أين امـــرؤ القيس والعـــــذاري
إذ مـــال مـــن تحتـــه الغبيط

استنبط العـــرب في المـــوامى
بعـــــدك واستعـــــرب النبيـــــط

ويقول ذو الرمة يهجو قبيلة امريء القيس بن تميم أهل بلدة مراة .

ان امرأ القيس هـــم الأنبـــاط
زرق إذا لاقيتهـــــم سنـــــاط

ليس لهـــم في حسب ربـــاط
ولا إلى قصـــــد الهـــوي صراط

فالسب والعـــار بهم ملتـــاط

ومما تقدم ندرك أن النبط ليسوا عرباً أقحاحا ، وما جاء في أثر ابن عباس المتقدم يشير إلى أنه من العرب المستعربة الذينهم من ذرية إبراهيم عليه السلام ، وقد ولد في هذه القرية التى سكنها النبط وأما ما جاء في خبر الشعبى ، فيريد به الجوار والدار ، لا النسب والولادة .

بقى أن نعرف تاريخ هذا الجيل ومتى أطلق عليهم هذا الاسم ؟

تشير المراجع التى بايدينا إلى أنهم موغلون في القدم ، فقد جاء في مقامات الحريري :

« وإني أوصيك بما لم يوص به شيث الأنباط ، ولايعقوب الاسباط » .

قال شارح المقامات : « إن شيثاً هذا هو أفضل أولاد آدم ، وكان أحب بنيه إليه ، وولى عهده ، وهو الذي ولد البشر الموجودين بعد الطوفان .. « ثم قال : » والأنباط جمع نبط ، وهم قوم من العجم ، ينزلون البطائح بين العراقين ، وإنما سمى أولاد شيث انباطاً لأنهم نزلوا هناك .

وهذه القصة – وإن كنا نلمس فيها كثيراً من القلق ، إلا أنه – يستأنس بها في الاستدلال على قدم هذا الجيل ، سيما وهناك ما يعضدها .

وقد ورد في شعر الأعشى – وهو شاعر جاهلي – :

وطـوفت للمـــال آفاقـــه
عمـــان فحمص فأورشـــلم
أتيـــت النجـــاشي في داره
وأرض النبيط وأرض العجـــم

ويحدثنا التاريخ أن العرب حينما استولوا على دمشق ، كان ذلك في زمن الحارث الثالث ملك النبيط قبل استيلاء الرومان عليها ، وتخليصها من أيدي العرب الأوائل ، ثم استردها العرب منهم بعد وقعة اليرموك .

وفي حديث ابن أبي أوفي : « كنا نسلف نبيط أهل الشام .. » .

وتشير المراجع التى بأيدينا إلى أن أقدم ما عرف من تاريخ النبط يرجع إلى أوائل القرن الرابع قبل الميلاد ، وتقول :

انهم كانوا يكتبون بالأرامية التى نشأت عنها البابلية قبل وضع الحروف العربية ، وقد خمل تاريخهم حينما أصبحت ولايتهم رومانية في أوائل القرن الثاني للميلاد [1] .

وفوق أن هذه الأدلة تعطينا دليلا على قدم هذا الجيل ، فهى أيضاً ترشدنا إلى أنهم لا تنحصر سكناهم في العراق ، بل في الشام ، وعمان ، والبحرين وغيرها .

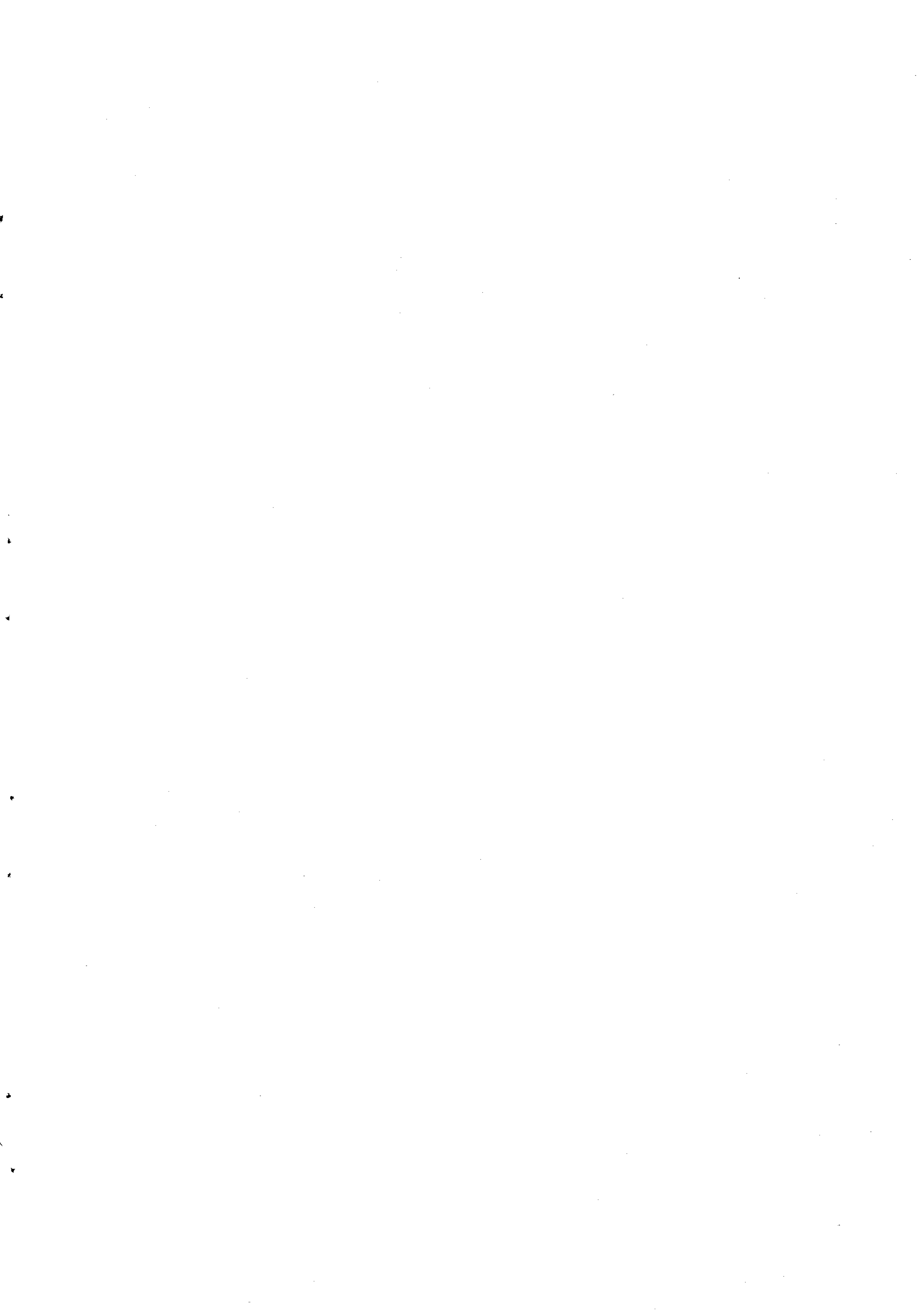
ومما تقدم ندرك : —

أولا : انتفاء عروبة هذا الجيل أصالة ، وإن كانوا ينطقون العربية ، إلا أنها مملوءة بالدخيل ، وممسوخة مشوهة ، وغثة غير متوقحة .

ثانيا : ندرك أن لهذا الجيل أثراً على من حولهم من العرب حتى استطاعوا أن يؤثروا في لغتهم وأدبهم ! !

---

(١) انظر تاريخ الأدب للرافعى ج ١ ص ٧٥ — ٧٦ .



بين يدي ..

شعر النبط

لم يزل الشعر منذ نشأته تمتد جذوره ، وتنتشر فروعه ، حتى بلغ أشده ، واستوى على سوقه ، ووقف عند أوزان عرفها العرب بالملكة ، وجروا على مهيعها بالطبيعة ، بدون أن يعرفوا لبحوره أسماء ، أو لأعجازه قوافي . . ولما جاء المولدون وأخذت تكثر في الشعر العربي السقطات ، والهنات ، باختلاط بعض الأوزان ببعض ، واختلالها بالكسر والتغيير ... ندب الخليل بن أحمد الفراهيدي المتوفي سنة (١٧٤ هـ - ٧٩١ م) نفسه لوضع أوزان ، ومقاييس ، وقواعد ، تحفظ على هذا الأثر العظيم من آثار العرب أصالته ، وسلامته ، من العبث والخلط والخبط ، فكان أن فتح الله عليه ، وكمل على يده اختراع هذا الفن الجليل ، والأثر الخالد الجميل .

وما قاله بعضهم من أن سبب وضع الخليل لهذا الفن ، هو انصراف قلوب الناس عنه - في علم العربية - إلى سيبويه ، فاراد أن يلفتهم إليه بوضع هذا الفن ، كما نظم هذا المعنى بعضهم بقوله :

علم الخليـــل رحمـة الله عليـــه

سببـــه ميـــل الـــوري لسيبويه

فان في هذا شيئا من الجفاء ، والوقوع في عرض الخليل ، بما هو غير لائق بشخصيته الفذة ، وصلاحه ، وفضله ، وعلمه . لا سيما وقد أفرغ في هذا الفن جهده واستجمع أفكاره ، وحواسه ، فوقع تفاعيله على الأنغام والإيقاعات الموسيقية ، وقاسى في سبيل ذلك المشقة ، والعناء .

قيل إن ابنه دخل عليه يوما وهو غارق في تأليف أجزاء أحد البحور ، وجمع تفاعيله ، بصوت مرتفع ، فلما رآه ابنه في حالة لا يعهدها منه ، وكأنه – في نظره – يهذي بكلام معتوه لا يفهم منه شيء ، خرج إلى السوق ، وأشاع أن أباه قد جن ، ولما انتشر هذا بين الناس ، وعلم الخليل استدعى ابنه فخاطبه بهذين البيتين :

لو كنت تعلم ما أقـــول عذرتنى
أو كنت تعلم ما تقـــول عذلتكا
لكن جهلت مقالتى فعـــــذلتنى
وعلمت أنك جاهـــل فعـــذرتكا

فتم للخليل رحمه الله ـ بالتتبع والاستقراء ـ حصر بحور الشعر التى قال عليها العرب في خمسة عشر بحراً هى كما يلى :

الطويل ، المديد البسيط ، الوافر ، الكامل الهزج ، الرجز ، الرمل ، السريع ، المنسرح ، الخفيف ، المضارع ، المقتضب ، المجتث ، المتقارب .

ثم أردف هذا بعلم القافية .

ثم أتي الأخفش معقباً على الخليل فوضع بحر (المتدارك) لأنه تداركه على الخليل ، وهو ليس ببعيد من بحر المتقارب ، الذي وضعه الخليل .

فتمت بحور الشعر ستة عشراً بحراً ، وهى تدور عليها جميع أوزان الشعر العربي الصحيح ، ولما استفحل شأن المولدين ، وطغت الحضارة العباسية ، وسرت الأنغام الموسيقية في الأوساط الشعبية ، من جراء احتكاكهم بالأعاجم رأوا (أي المولدون) أن مجال القول يضيق عن مواكبة هذه الأنغام ، بأوزان الشعر الموجودة ، فارادوا الخروج عليها ، واستحداث أوزان جديدة تتفق وهذه الأنغام ، ومما استنبطوه ستة أوزان على عكس

(١) المستطيل ، ومثاله :

لقد هاج اشتياقي غرير الطرف أحور

أدير الصدغ منـه على مسك وعنبر

(٢) المتوافر ، ومثاله :

ما أصابك يا فؤادي بعـــدهم

أين صبرك يا فـؤادي ما فعـــل

(٣) الممتد ، ومثاله :

صاد قلبى غزال أحـــور ذو دلال

كلمـا زدت حبـاً زاد منى نفـورا

(٤) المتئد ، ومثاله :

كـن لأخـلاق التصابي مستمرياً

ولأحـــوال الشباب مستحليـــا

(٥) المنسرد ، ومثاله :

على العقل فعول في كل شـان

ودان كل من شئت أن تـــداني

(٦) المطرد ، ومثاله :

ما على مستهام ريـــع بالصــد

فاشتكى ثم أبكاني مـن الوجـــد

واخترع الأندلسيون الموشحات ، والأزجال ، وأول من اخترع الموشحات مقدم بن معافر ، أحد شعراء الأمير عبد الله بن محمد المرواني في آخر القرن الثالث الهجري ، ثم انبري لهذا الفن (أحمد بن أحمد بن عبد ربه) صاحب (العقد الفريد) وبعدئذ كسدت بضاعة الموشحات ، إلى أن خرج (عبادة القزاز) ، فأعاد للموشحات ازدهارها ، ونفاقها ، وقد اشتهر – أول ما اشتهر – بموشحته التى منها :

بدرتم ، شمس ضحى ، غصن نقا ، مسك شم
ما أتم ، ما أوضحا ، ما أورقا ، ما أنم
لا جرم ، من لمح ، قد عشقا ، قد حرم

ثم أمعن الأندلسيون في الموشحات ، وذهبوا بها كل مذهب تبعاً لما هم فيه من انغماس في الحضارة ، وبلهنية العيش .

قال فى مناهل الأدب :

« وكان للغناء اليد الطولى في ازدهار فن الموشحات والاكثار من النظم عليها ، فان أسبانية كانت منذ عهد العرب – ولا تزال – موطن الموسيقى ، والرقص ، والطرب ، تنعقد مجالس اللهو في قصور الأمراء ، وفي البساتين ، وعلى ضفاف

الأنهر ، وفي البيوت الخاصة ، والعامة ، فما تمر بشارع أو دار إلا سمعت صوتاً مترنماً ، أو آلة مطربة [1] »

ومن ذاع صيته بعد القزاز بنظم الموشحات ، ابن سهل ، وابن الصابوني ، وابن عربي ، وابن حيان ، وأبناء زهر ... الخ.

أما الزجل فقد بدأ يظهر في الأوساط الشعبية بالأندلس ، بعد أن بلغت الموشحات القمة ، وقيل إن أول من اخترعه رجل اسمه (راشد) ، وقفاه ابن قزمان ، فأبدع فيه ، وأمتع ، وأوزان الزجل لا تحصى حتى قيل . « إن صاحب الف وزن ليس بزجال » ، وهو يشابه إلى حد كبير الشعر النبطى في أوزانه ، ولغته العامية ، حتى إن بعض الأدباء الآن يسمون الشعر النبطى زجلا ، ومن أمثلته :

اجتهد في الزرع تحصد ما زرعته
وبقاع البحر غوص لأجل اللآلى
واطلب المحبوب وان عاقك زمانك
عن وصاله ، اتخذ للوصل وصله
والنصيحة بثها في الخلق واجب
والرجوع للحق دين في كل ملة

(١) مناهل الأدب ج ١٨ ص ٥ الموشحات الأندلسية .

وكما اخترع الأندلسيون هذه الأوزان . فكذلك اخترع المشارقة أوزاناً أخرى . لاقت شيئاً من الرواج . والشيوع . وهى السلسلة . والدوبيت . والقوما . والكان وكان . والمواليا .

فالسلسلة : مثل قول بعضهم :

السحر بعينيك ما تحرك أَوجـال
الا ورماني من الغـرام بأَوجـال

يا قامة غصن نشأَ بروضة احسان
أيان هفت نسمة الدلال به مـال

الدوبيت : الدوبيت رغم أنه وزن فارسى إلا أن العرب قلدوه . ونسجوا على منواله . و « دو » : ترجمتها بالفارسية . اثنان . وعجز الكلمة : كما هو صحيح أي (بيت) والمعنى أنه مركب من بيتين بيتين ومن أمثلته :

يا من هجا المحب عمداً وسـلا
ورماه على اللظى قتيـلا وسـلا

ما القـول إذا سئلت عن قتـله
يا قاتـله بأَي ذنب قتـلا

القوما : اخترعه رجل يدعى (أَبو نقطة) للخليفة الناصر ، وأَصله مأَخوذ من قولهم (قوما نسحر قوما) ومن مشتقاته : الزهري ، والخمري ، والعتاب ، ومن أَمثلته :

في الدهر أَنت الفريد ـ وفي صفاتك وحيد
والخلق شعر منقح ـ وأَنت بيت القصيد

كان وكان : وهذا ـ غالباً ـ مختص بنظم الأَساطير ، والخرافات . ومن هنا جاءت التسمية . وقد استعمله مؤخراً الوعاظ في تحريك قلوب الناس ، وزجرهم ، ومن أَمثلته :

يا قاسى القلب مالك تسمع وما عندك خبر
ومن حرارة وعظى قد لانت الاحجار

المواليا : ويحكى أَن سبب اختراع هذا الوزن هو نكبة البرامكة . لما منع الرشيد الشعراء من رثائهم ، جعلت جارية من الجواري تتلهف ، وتقول : يا مواليا ، يا مواليا .

وهو في تقسيمهم ثلاثة أَنواع هى : رباعى ، وأَعرج ، ونعماني ، ومن أَمثلته في الاعرج :

يا عبد أَبكى على فعل المعاصى ونوح
هم فين جدودك أَبوك آدم وبعد نـــوح

دنيا غرورة تجى لك في صفة مركب
ترمى حمولة على شط البحر وتروح [1]

وكما قلنا : إن سبب هذه الاختراعات والتجديدات ،في الشعر العربي ، هو طلب التحرر من قيود القافية ، والأَوزان المحدودة . لأَجل الغناء ، والانغام الموسيقية ... فكذلك لابد أَن لحب التجديد ، والتفنن ، والايغال في ترف الشعر .. دخلا في ذلك ، كما وقع قبل هذا في تصرفهم في بحر الشعر العربي بما أَسموه : لزوم مالا يلزم ، والتشريع ، والتفويف ، والتسميط ، والاجازة ، والتشطير ، والتخميس ..

وبعد فهل كان سبب اختراع هذه الأَوزان ، والانصراف إلى هذه الأَلوان من الشعر ، يرجع إلى فساد اللغة العربية ، وسقم الذوق العربي ، حتى لجأُوا لذلك مرغمين . أَو أَنها شهوة التجديد ، وحب التحرر ، والانطلاق ، والميل إلى القرب من الطبقات الشعبية ، وكسب الشهرة لديها ، والامتزاج معها ؟ !

إن كانت الأَخيرة ، فما الذي يمنعنا لا نقول مثل هذا

---

(١) عولنا على كثير مما ذكرنا من الشواهد والأمثلة في هذا الفصل علي كتاب (ميزان الذهب) للسيد أحمد الهاشمي .

القول في عرب الجزيرة والشعر النبطي ، وفي عرب المغرب ، والاصمعيات ؟ !

قد يتبادر هذا إلى الفهم ، وقد يكون فيه شيء من المنطق . إلا أننا إذا أَنعمنا النظر في جوانب كل من الجهتين ، وجدنا أَن هذا الشعر (النبطي) أَو (الاصمعيات) يختلف عن سابقه من نواح عدة ! !

أَولا : كانت الموشحات والأَزجال وغيرهما من الفنون الآنفة الذكر تنبع من محيط غاص بالعلماء ، والأَدباء ، الذين ملأَوا الدنيا آثاراً ، واخباراً . وربما أَن معظم هذه الفنون المستحدثة في الشعر خرجت منهم أَنفسهم ! ! فكيف نحكم مع ذلك على عصرهم بفقر اللغة وفساد الذوق العربي ؟ !

أَما النبط فقد نشأَ في الجزيرة العربية ، وغيرها ، في عتمة الجهل ، حينما تضعضع سلطان اللغة . وبلغ سكينها العظم ، وقال عن الجزيرة قائلها :

تلاعب الجهل في أَفنائها زمناً
كما تلاعبت الصبيان بالأَكر [1]

---

(١) جمع كرة وهي كرة القدم المشهورة .

فما أبعدها ـ والحالة هذه ـ عن التعمل في القول ، والتذوق في الشعر .

ثانياً : أن الفنون المتقدمة الناشئة في ذلك الزمن ، تنحو منحى خاصاً ، وهو يتصل بالعزف ، والموسيقى ، والجمال ، والدلال ، والزهر ، والخمر ، وما إلى ذلك مما أسرف فيه أولئك ، أما شعر النبط فنكاد نلمس فيه حماس عنترة ، وغزل امريء القيس ، ووصف النابغة واعتذارياته ، وحكم زهير .. مما كان دافعة الفطرة ، وحاديه الطبيعة ... ولا تحس فيه للميوعة شيئاً ، وعلى هذا فهو بعيد كل البعد عن الأَسباب التى اكتنفت شعر المولدين والاندلسيين .

ثالثا : سلك شعر المولدين والاندلسيين في هذه الأَنواع من الشعر مسلك الخروج على الوزن ، والقافية ، والميل إلى ايقاعات خاصة ، وأَنغام متبعة ، فتجدهم ـ دائماً ـ مولعين بالبعد عن محيط الشعر العربي القديم ..

بينما نجد شعر النبط أو الاصمعيات (على الخلاف في التسمية) يميل جهده إلى القرب من الشعر العربي ، وإنك لتجد البيت يلفظ به بلهجة عامية ، ثم ترجعه إلى الوزن العربي واللغة العربية فتجده سليما مستقيما .

إلى غير ذلك من الفروق التى تقع بين هذا الشعر وذاك ..
وبهذا ينتفى اللبس وتبرز الحقيقة ..

نشأة الشعر النبطي

ليس لدينا من الأَدلة ما يمدنا عن نشأَة هذا الشعر في جيله الذي نشأَ فيه ، وهل بدأَ ـ أَول ما بدأَ ـ بهذه العامية التى تنتمى إِلى العربية ، أَو أَن له أَصلا آخر من لغات أَخرى ، حاكاه المستعربون من الانباط ، ونهجوا نهجه ، ثم تأَثر به العرب ، ونسجوا على منواله ؟ !

ثم هذا اللون من الشعر هل كان مصدره الوحيد هم الأَنباط وحدهم ، أَو أَن له في كل أَمة مصدراً خاصاً يرجع إِليه ، لانه ليس في جزيرة العرب ، وما جاورها فحسب ، بل شيوعه في المغرب وشمال افريقيا ، أَقدم وأَكثر من شيوعه في جزيرة العرب .

وهذا يحتاج إِلى معرفة مدي ارتباط الشعر باللغة ، وهل تتوفر عناصره ومقوماته في حالة نأَيه عن مقاييس اللغة وقواعدها ، وهل إِذا قلنا بانفكاك الجهة بين اللغة والشعر أَن هذا شيء اجماعى أَو اعتباري .

أَما ابن خلدون ـ في مقدمته ـ فيذهب إِلى أَن الشعر مستقل

كل الاستقلال عن حدود اللغة ، وقيودها ، وأنه ما دام هناك أداة صالحة للتعبير عن الأفكار ، والأحاسيس ، مفهومة للمجتمع فلا داعى لالتزام الفصيح في ذلك ، وهو أول من تكلم في هذا النوع من الشعر ، وعقد له فصلا في مقدمته ، وأورد نماذج كثيرة منه .

وها هى نفس عبارته في المقدمة :

« .. ثم لما كان الشعر موجوداً بالطبع في أهل كل لسان ، لان الموازين على نسبة واحدة ، في اعداد المتحركات ، والسواكن وتقابلها موجودة في طباع البشر ، فلم يهجر الشعر بفقدان لغة واحدة ، وهى لغة مضر الذين كانوا فحوله ، وفرسان ميدانه ، حسبما اشتهر بين أهل الخليقة ، بل كان (أهل كل) جيل ، وأهل كل لغة من العرب المستعجمين ، والحضر أهل الأمصار ، يتعاطون منه ما يطاوعهم في انتحاله ، ورصف بنائه ، على مهيع كلامهم ... فأما العرب أهل هذا الجيل المستعجمون عن لغة سلفهم من مضر ، فيقرضون الشعر لهذا العهد في سائر الأعاريض ، على ما كان عليه سلفهم المستعربون ، ويأتون منه بالمطولات مشتملة على مذاهب الشعر ، وأغراضه ، من النسيب ، والمدح ، والرثاء ، والهجاء ، ويستطردون في الخروج من فن ،

فن ، إلى فن في الكلام ، وربما هجموا على المقصود لأول كلامهم وأكثر ابتدائهم في قصائدهم باسم الشاعر ، ثم بعد ذلك ينسبون .. [1] »

والذي يجعلنا نشك في أن مصدر هذا الشعر هم النبط وحدهم أن هذه النسبة (النبطى) لا وجود لها إلا في جزيرة العرب ، أما في غيرها من الوطن العربي ، فله نسب أخرى ، وأسماء مختلفة من قديم الزمان ، مما يجعلنا نفضل أنه – بالنسبة إلى كل أمة – انطباع خاص ، وتأثر بيئى ، حمل عليه ما داخل اللغة من عجمة وفساد .

يقول ابن خلدون في هذا المعنى :

« .. فأهل أمصار المغرب من العرب يسمون هذه القصائد بالأصمعيات ، نسبة إلى الأصمعى راوية العرب في أشعارهم ، وأهل المشرق من العرب يسمون هذا النوع من الشعر بالبدوي ، وربما يلحنون فيه ألحاناً بسيطة ، لا على طريقة الصناعة الموسيقية ، ثم يغنون به ، ويسمون الغناء به باسم الحوراني نسبة إلى حوران ، من أطراف العراق والشام [2] » .

---

(١) مقدمة ابن خلدون صفحة ٥١٢ .

(٢) هكذا جاء في المقدمة وتركناه محافظة على أمانة النقل وإلا فليس (حوران) من أطراف العراق .

والذي يعضد هذا الرأي هو أن لكل منطقة من المناطق التى تقرض هذا الشعر نهجا خاصا ، وطريقة مباينة لما عليه أهل المنطقة الأخرى ، بل ربما لا يفهم بعضهم عن بعض إلا القليل ، وربما تنبوا أذواق كل منهم عما يستلذه الآخر ويطرب له . فكيف نقول مع هذا : إن مصدره جميعه هم الأنباط ؟ !

وشيء آخر وهو أن أقدم ما ورد من هذا الشعر هو ما أورده ابن خلدون في مقدمته ، وهو ـ وإن ذكر أن لأهل المشرق العرب شعراً من هذا النوع إلا أنه ـ وهو الخبير بهذا الفن ـ لم يذكر هذه النسبة (النبطى) ولم يفصل عن هذا الشعر عند المشارقة ، مما يدل على أنه إذ ذاك لا يزال في شكل بدائى .

وإذا لم نقل إن هذا الشعر قد هاجر من المغرب إلى الجزيرة العربية ، وما جاورها ، فليس يصح بحال أن نعكس الأمر .

بقى أن نعرف كيف ، ومتى نشأ الشعر النبطى في الجزيرة العربية ، وهل كان أول من تأثر به وقرضه هم حاضرة الجزيرة ، أو باديتها ، وهل كان العرب المصاقبون للأنباط مما يلى العراق هم أطول باعاً من غيرهم في هذا الشعر ـ بحكم القرب والاحتكاك ـ أو هم وغيرهم سيان في ذلك .. ! ؟

لانستطيع أَن نكيف الصفة التى نشأَ عليها الشعر النبطى في الجزيرة العربية ، ولا أَن نحدد الوقت الذي بدأَ فيه ، وليس بامكاننا الحصول على شيء منه قبل خمسة قرون ، من الزمان ، فأَقدم ما وصل إلينا هو ما يؤثر عن بنى هلال كما أَورده ابن خلدون في مقدمته ، ولكن معظمه ينزع إلى الشعر العربي وإلى الموشحات والأَزجال في كثير من أَوزانه ، ولغته وأَسلوبه مثل :

تقول فتاة الحى سعدي وهاضها
ولها في ظعون الباكين عويل

اياسائلى عن قبر الزناتي خليفة
خذ النعت منى لا تكون هبيل

تراه العالى الواردات وفوقه
من الربط عيساوي بناه طويل

قتيل فتى الهيجا ذياب بن غانم
جراحه كافواه المزاد تسيل

ومن غزلهم :

وكم رادح اسهرتنى ولا أَري
من الخلق أَبهى من نظام ابتسامها

وكم غيرهــا من كاعب مر جحنة

مطرزة الاجفــان باهى وشامهــا

ومن قولهم في بكاء الاطلال والدمن :

الاياربــوع كان بالأَمس عــامرة

(بيحى) و (حــلة) والقطين لمام

وغيــد تــدانى للخطا في ملاعب

دجى الليــل فيهــم ساهر ونيــام

واليــوم ما فيهــا سوى البــوم حولها

ينــوح على اطلال لهــا وخيــام

وقفنــا بهــا طورا طــويلا نسالها

بعينى سخيفى والدمــــوع سجــام

ولا صح لى منها سوي وحش خاطري

وسقمى من أَسباب عرفت أوهــــام

ومن بعــد ذا نــدى لمنصور أَبو على

ســلام ومن بعـــد الســلام ســلام

فهل كان هذا تــأَثراً من بنى هلال في اغترابهم إلى المغرب بالمغاربة ، والأَندلسيين ، ومنهم انجر هذا الشعر إلى الجزيرة

العربية ؟ أو أن ذلك كان في بداية قرض هذا الوافد الجديد ، فكان في بدايته إلى الفصيح أقرب ؟ ! هذا ما أرجحه لأننا لا نشك في أن هذا الشعر لم يأت دفعة واحدة ، ولا أن اللغة أخذت في التأثر تدريجيا حتى ارتضخت هذه العامية السائدة !! بدليل انه يوجد في شعر بنى هلال ما يشابه الشعر النبطى الموجود بأيدينا الآن ولا نكاد نفرق بينهما مثل ما ينسب إلى (عليا) حبيبة أبي زيد الهلالى في قولها :

يا ركب يالى من عقيـــل تقـللوا
على ضمر شروى الجريــد النحايــل

قولوا لابي زيــد تري الوادي امتلى
وتري كل شعيب من مغانيــه سايل

والله لولا البحــر بينى وبينـــه
جيتــه على عوصا من الهجن حايــل

يبيعــون لى باعوا ويشرون لى شروا
ولا غبن إلا بالنضــا والحلايــل

أما أقدم ما وصل إلينا من شعر النبط ، لغير بنى هلال فهو يرجع إلى القرنين العاشر والحادي عشر ، كشعر راشد الخلاوي ،

وأبي حمزة العامري ، من أَهل الأَحساء ، وقطن بن قطن ، من أَهل عمان ، ورميزان ، وجبر بن سيار ، من أَهل نجد [1] .

وهذا رغم ما ذكره ابن خلدون في مقدمته من اثبات هذا النوع من الشعر لعرب الجزيرة [2] ، وهو المتوفي سنة ٨٠٨ هـ ـ ١٤٠٦ م .

ويبدوا أَن حاضرة الجزيرة العربية ، كانوا أَقدم من باديتها تاثراً بالشعر النبطى ، لأَننا نجد الحاضرة سريعة التأَثر والتقليد للغير ، وذلك بحكم صلتها بالأَمم بوساطة التجارة ، والعلم والنقلة ... ومن جراء ذلك أَسرع الفساد إلى اللغة العربية ، في مدن الخلافة ، والحواضر الإِسلامية العربية ، فانتجع علماء اللغة مرابع العرب ، ومضاربهم ، ابتغاء اللغة الصافية السليمة ، ومن هناك دونوها ، أَو دونوا معظمها ..

ومن باب أَولى أَن تتلقف الحاضرة شعر النبط قبل البادية .

وربما يكون هذا موضع شك إذا أَدركنا مدى تمسك البدوي بلغته وانفته من تقليد الحضري ، وسخريته بلغته اللينة إلى يومنا هذا .

---

(١) مقدمة ديوان النبط للاستاذ خالد الفرج ص . ى .

(٢) مقدمة ابن خلدون صفحة ٥١٣ .

وإن تعجب فعجب انقياد البدوي لهذا النوع من الشعر ، واتخاذه هجيراه ، في التعبير عن أَحاسيسه ، وما يحيط ببيئته. بينما هو دخيل عليه ، وغريب عنه ! !

إلا أَننا نزعم أَنه مضى زمن ليس بالقصير ، صارع فيه البدوي هذا الدخيل وتنكر له .. وأَخيراً أَلفه ثم تغنى به وقرضه .

ثم رأَينا شعر البادية النبطى يتسم بسمة الشعر الجاهلى ، في أَساليبه ، وأَغراضه ، وتنم قصائده عن نفحات الشيح ، والقيصوم ، والعرار ، والخزامى ، والصبا ، والنعامى ، وذكر الأَظعان ، والتغنى بالأَوطان ، مثل ما نقرأَه لراكان بن حثلين ، ومخلد القثامى ، وحنيف بن سعيدان ، ودبيان السبيعى ، وغيرهم من شعراء البادية المجيدين .

أَما أَننا نجد ميزة للعرب المصاقبين للأَنباط في شمال الجزيرة عن غيرهم في الشعر النبطى ، فلا نحس من ذلك بشىء ، وربما أنه قد كان ذلك في أَول الأَمر ، ثم استوي فيه القاصى والداني حينما جاس خلال الجزيرة واكتشف مجاهلها ...

من خصائص شعر النبط

ينفرد هذا الشعر بخصائص تنأى به عن الشعر الفصيح ونظراً لأنه لم تقعد له قواعد ولم يوضع فيه دراسات يفهم على ضوئها ، وقد جانب كثيراً من قواعداللغة العربية واصطلاحاتها ، نحوية كانت ، أم صرفية ، أم إملائية ، أم عروضية ... لذا فانه من العسير على الدارس لهذا الشعر - وهو بعيد عن بيئته ، ومحيطه - أن يركز فهمه فيه ، أو يخرج منه بكبير فائدة ، ما لم يؤده الاداء الصحيح ، بلهجته الخاصة به ، ومن ثم يتذوقه ، ويتأثر به ..

وقد يكون في إمكاننا أن نعطى القاريء بعض فكرة عن خصائص هذا الشعر ومميزاته ..

فاولا .. لابد لدارس هذا الفن أن يكون لديه المام بلهجة الناحية التى يريد دراسة شعرها ، ولو ممن تذوق هذ الشعر في بيئته ، وتأثر به ، فما لم يكن كذلك . فانه سوف يجد نفسه غير منقادة إلى سماع هذا الشعر ، ودراسته ، فوق أنه لا يفهم منه إلا القليل .. ودعك من الاهتزاز لسماعه ، والتأثر بنغمه ..

وهذا نتيجة إلى استقلال كل ناحية بعامية خاصة ، مباينة لعامية الناحية الأَخري ، وقد راضوا شعرهم العامى على لهجتهم ، حتى صار جزءاً منها.

وسوف نعرض في مكان آخر من هذا الكتاب إلى ذكر شيء عن شعر بعض النواحى ، وإيراد نماذج منه ..

ثانياً .. لا تحاول وأَنت تقرأَ هذا الشعر أَن تسلك جادة اللغة الفصيحة ، فتسلط العوامل على معمولاتها ، وتحاول الرفع ، أَو النصب ، أَو الجر ، أَو السكون ، بالعلامات الأَصلية ، أَو الفرعية ، أَو الحذف ، أَو السكون ، أَو تحاول أَن تقول عن هذا الفعل : إنه مثال ، أَو عن الآخر إنه أَجوف ، أَو عن الثالث إنه ناقص ، أَو مهموز ، أَو واوي ، أَو يائى الخ ..

ولا عن هذا الاسم : إنه مقصور ، أَو منقوص ، أَو مؤنث حقيقى ، أَو معنوي ، ولا عن هذا الجمع ، أَو هذه التثنية : إنهما صحيحان ، أَو غير صحيحين ...

لا تحاول أَن تقرأَ هذا الشعر وأَنت مرتبط بشيء من هذا ، ولا أَن تقول إذا جئت تقرؤه لم هذا كذا ، أَو ليس هذا بصحيح . فالشاعر النبطى يريد أَن يخضع كل شيء من أَجل استقامة وزن بيته وكفى ! !

والعامى لا يعنيه من هذا البيت إلا أن يجده سليم الوزن ، مؤدياً للمعنى الذي يفهمه ، وإن كان لغرابة اللفظ ـ أي لفظ ـ وانتقائه ، وابتكار المعاني عندهم وزن ، واحتفاء ! !

وليس معنى هذا أنهم يسيرون دائماً في طريق مخالفة للغتهم ، ولكن قد تجد ما ذكرناه بين الفينة والأخرى ، وإلا فان كثيراً من ألفاظهم وأساليبهم سليمة ، أو ترجع إلى أصل سليم ، بل لربما تجد البيت ينطق به بلفظ عامى ، وإذا أرجعته إلى أصل عربي جاء على أحسن ما يرام لغة ووزناً ! !

ثالثاً .. يعترضك ألفا ظ ، وجمل باللغة العامية ، يريدها وزن البيت تكتب على صفة خاصة ، لا تمت بصلة إلى الرسم الإملائى ، وهنا يذهب فيها الكتاب كل مذهب ، ويرسمها كل على حسب ذوقه ، وإدراكه ، فمثلا قول القاضى :

يا مـــــل قلب كل ما لتم الاشفاق
من عام الاول به دواكيك واخفوق[1]

لو أردنا أن نكتب هذ البيت متبعين فيه قواعد الرسم لجاءهكذا ..

(١) يا مل قلب : أصلها يا من لقلب أى من الذي يغيث هذا القلب . كل ما لتم الاشفاق : أي كل ما أقبل الليل والتأم الشفق . عام الاول : العام الذي مضى منه سنة . دواكيك : أفكار وهواجس . خفوق : خفقان .

يا من لقلب كلما التم الأَشفاق
من العام الأَول به دواكيك وخفوق

ولكننا عندما نأْتي لقراءته على هذا الرسم نجد أَنه لم يبق فيه وجه شبهة تدل على أَنه بيت شعر ، ولو سمعه العامى على أَنه بيت شعر نبطى لضحك ملء رئتيه ..

أَما كتاب شعر النبط حيث لا يجدون قواعد يتبعونها ، ويستقيم معها وزن البيت ، فمنهم من يكتبه هكذا : يا مللقب كلما التم .. الخ ، وبعضهم يكتبه هكذا : ياما للقلب .. الخ ، وبعضهم يكتبه مثل ما كتبته . ولا تنس ما بين شاعر النبط وبين الهمز من عداء أَصيل ، لا يسيغه إلا في الضرورة ، ولا يمر به إلا لمام . ولا تعجب إذا وجدت الكلمة مشددة وهى غير كذلك أَو بالعكس ، أَو لم تجد تاء التأْنيث ، ولو من ذات حر – كما يقول ابن مالك – أَو وجدتها والكلام لا يتطلبها ، أَو صدع سمعك لغة البراغيث – وياما أَكثرها – أَو حصرت قاعدة الأَسماء الستة كلها في الواو رفعاً ونصباً وجراً . فلا تعجب فكل هذا فداء لسلامة وزن البيت ! !

رابعاً . . قل أَن تجد قصيدة نبطية إلا وهى مبنية على قافيتين ، قافية ملازمة لعجز الشطر الأَول ، من البيت ، ثم

القافية المعتادة ، غير أن القافيتين ـ غالباً ـ بل لا يشذ عن هذا إلا نادر ، تكونان من حرف واحد ، إلا أنهما يختلفان من حيث الحركة فتكون الأُولى ـ مثلا ـ مكسورة ، والثانية مرفوعة أَو بالعكس ، وكثيراً ما يختلفان أيضا في التأَسيس (وهو الف من أَصل الكلمة لا يفصلها عن الروي إلا حرف واحد متحرك) (كما عرفه العروضيون) وهو في الشعر العربي كأَلف (الأَوائل) في قول المعري :

وإني وان كنت الأَخـير زمانـــه
لآت بما لم تستطعـه الأَوائـــل

ومثله في الشعر النبطى قول (العرينى [*]) :

أَنا دواي المـــترفات المواضى
نوف الردوف إلى يعرفن المراض [1]

(*) هو ناصر العريني نسبة إلى العرينات من قبيلة سبيع وبلاده الدرعية ، كان ذا ديانة وصلاح ، ولديه ادراك لا بأس به ، في علوم الشريعة يشف عن ذلك شعره المؤدب الرصين .. فهو شاعر مبدع يمكن الحاقه بشعراء هذا الفن الكبار إلا أن شعره لم يجد رواة يحملونه إلى الناس ، وهو شاعر انطوائي ، ليس له صلة بملوك ، وليس له نقله تروج شعره ، وليس ممن يحاول التكسب بفنه .. توفي حوالي سنة ١٣٣٥ هـ .

(١) دواي : علاجي . المواضي : ذوات الوضاءة والحسن . نوف الردوف : نابيات الأرداف . إلى : اللاتي . يعرفن : بفتح العين . المراض : الامراض .

فجاء التأسيس في الأَولى في ألف (المواضى) ولم يأَت في الثانية .

خامسا .. من الصعب حصر الشعر النبطى في أَوزان محدودة ، بحيث توضع لها تفاعيل ، ويستطيع الدارس عن طريق اتقان هذه التفاعيل أَن يلم بأَوزان الشعر النبطى .

ولقد حاولت – عن طريق التتبع والاستقراء – حصر أَوزان هذا الشعر فلم أَصل – بعد – إلى نتيجة . ثم عمدت إلى مجموعة شعر لأَحد شعراء النبط ، هو ابراهيم بن جعيثن (*) ، وهو من المكثرين ، وممن يتلاعبون بأَوزان هذا الشعر ، ويتفننون في ضروبه ، فوصلت إلى ما يقرب من عشرين وزنا ، ولما أَقارب نهاية الديوان ، فكيف بجميع الديوان ثم كيف بجميع شعراء النبط قديمهم وحديثهم ؟ !

(*) هو ابراهيم بن عبد الله بن جعيثن ، من بلدة التويم ، في مقاطعة سدير من نجد ، يمتاز شعره بالسهولة ، والوضوح ، ويمثل البيئة التي يعيش فيها ، أصدق تمثيل ، وقد برع في تصوير خلق المرأة ، وطبائعها ، كما عالج أحوال زمنه الاجتماعية ، على نحو ما درج عليه حميدان الشويعر .

ويعد من المكثرين في شعر النبط ، وله ابتكارات ، واتجاهات ، في اوزان الشعر ، وأغراضه ، وقد عاش مائة سنة وسنتين ، فهو من المعمرين ، وتوفي في بلدة التويم عام ١٣٦٢ هـ .

وإليك هذه الأوزان ، التى استخلصتها من بعضِ ديوان (ابن جعيثن) :

١ ـ البارحة وانا بطيب رقادي
استارقت عينى وطال سهادي [١]

٢ ـ بديت بذكر ربي في جـوابي
ترى إلى يذكره ما قط خـابي [٢]

٣ ـ سمر الليـالى شاينات وجـوعها
دنيا تبـدل كل يوم طبوعها [٣]

٤ ـ قلت آه من صرف النيا والتعايس
وجرح بلاجى مهجة الروح قايس [٤]

٥ ـ عن الدار ياهل الهجن بالله ودوني
عن الشوم والادبار والماقف الهون [٥]

---

(١) رقادي : نومي . استارقت : لازمها الأرق .

(٢) بديت : بدأت . جوابي : شعري . ترى إلى : ان الذى ما قط خابي : ما خاب قط .

(٣) سمر الليالي : الليالي المظلمة . شاينات : مؤلمات . وجوعها : مصائبها . طبوعها : طبائعها .

(٤) صرف النيا : تقلب الدهر . التعايس : جمع تعاسة . بلاجي : بصميم . قايس : مكين .

(٥) ياهل الهجن : يأهل الابل ، ودوني : ابعدوني . الشوم : المشئوم . الماقف الهون : الموقف الدنيء .

٦ - بالله ياهل الهجن عوجوا روسها

واصحوا لمس احبالهـا بحلوسها (١)

٧ - بدا القيل من جفنه جفا لذة رقاده

والنفس في ميدان الأفكار مياده (٢)

٨ - خط لفاني مع طروش العتيما

جامن بعيد فوق كوم علاكيم (٣)

٩ - الشـعر رياض ما سـومـه

يلقـاه الواعى مـن نومـه (٤)

١٠ - ولحد يري عيبه ولو كان عايب

ولحد يري فيما يقول نقوص (٥)

---

(١) ياهل الهجن : يا أهل الابل . عوجوا روسها : احرفوا اعناقها وقفوها واصحوا : تنبهوا لمس احبالها : لشد نسعها . بحلوسها : باقتابها .

(٢) بدا القيل : شرع في الشعر . من جفنه : الذي جفنه . جفالذة رقاده : نومه مياده : منطلقة .

(٣) خط : رسالة . لفاني : وصلني . طروش : ركب مسافرين . العتيما : وقت صلاة العشاء (العتمة) . جا : جاء . فوق كوم : على نوق سمان علاكيم : شديدات .

(٤) رياض : جمع روضة . ماسومة : اصابها مطر الوسمي . يلقاه : يجده . الواعي : المتنبه .

(٥) ولحد يرى عيبه : لا أحد يدرك ما فيه من عيب . عايب : ظاهر عيبه . ولحد يرى : ولا أحد نقوص : نقائص .

١١ ـ مما جرى جالى على الشعر ولوال

للقيل دق التيل راعى المكينة (١)

١٢ ـ يا سحاب بالغضب جاله نزيز

فاوله مثــل النعام اللي يحاز (٢)

١٣ ـ دع عذول الغى واعزم واستعذ

بالذي يحماك عن كيــد الخبيث (٣)

١٤ ـ قال الذي حاير كثرت هواجيسه

مما يري ضاعت أفكاره وتقييسه (٤)

١٥ ـ حملتك في كره وكره وضعتك

ووسعت لك حضنى و صار سرير (٥)

١٦ ـ عنقه كما عنق الفريد الجافل

تال النهار انذار من مقايله (٦)

---

(١) جالي : صار لي . ولوال : بلبلة . للقيل : للشعر . دق التيل : ارسل اشارته اللاسلكية . راعي : صاحب . المكينة : الآلة .

(٢) يا سحاب : يا لسحاب . جاله : صار له . نزيز : دمدمة . فأوله : في أوله . إلى يحاز : الذي يطرد .

(٣) عذول الغي : اللائم في الهوى . يحماك : يحميك .

(٤) حاير : حائر . هواجيسه : هواجسه . ضاعت : ضلت . تقييسه : تقديره .

(٥) في كره : كرها . حضني : حجري . والدة تخاطب ولدها بدلك .

(٦) عنقه : جيده . كما : كأنه . الفريد الجافل : الظبي منفرداً ازعج وهنا يتلع جيده . تالي النهار : آخر النهار . انذار : اذير . مقاييلة : جمع مقيل .

١٧ ـ امس الضحى دك بي هوجاس

والقلب كنـه على مـلـه [١]

١٨ ـ البكرة إلى تبوج الدو لاقتنى

تمشى على هونها يبري لها الحاشى [٢]

وهكذا تنثال الأوزان على المتتبع لها كلما أمعن في التتبع ويبدو أن شعر النبط يقارب الزجل حيث قيل عنه : « إن من لا يعرف سوي الف وزن فليس بزجال » .

وهذه النماذج التى أوردناها ـ وإن كان يمكن أن يلحق بعضها ببعض في الوزن بحيث تكون أوزانا محدودة .. إلا ان ان ما نعرفه عن كثرة أوزان هذا الشعر ـ ليس من السهولة حصرها في أوزان معلومة ، وقواعد ثابتة .. يرجع إليها كمقاييس لأوزان هذا الشعر .. على أن هناك قسما كبيراً من أوزان هذا الشعر ، يمكن ارجاعه إلى أوزان الشعر الفصيح ـ بتصرف يسير ـ أو بغير تصرف ، وبسلامة أجزاء أبياته لغة وقافية ـ وهذا ما عقدنا له فصلا خاصا في هذا الكتاب ـ وبدون سلامتها كما هو واضح في النماذج التالية :

---

(١) امس الضحى : وقت الضحى بالأمس . دك : نزل . هوجاس : هاجس . كنه : كأنه . مله : الرمل أحرق بالنار .

(٢) البكرة : الناقة الصغيرة . تبوج الدو : تفري الفيافي . لاقتني : قابلتني . على هونها : رويدها . يبري . يتبعها . الحاشي : الفصيل الصغير . يكني هنا عن المرأة ذات الطفل الصغير .

فقد جاء على وزن البحر الطويل قول بركات الشريف (*) :

دع العــذل عنى يانصيحى وخلنى

فشرواك ما يرضى هوانا لصـــاحبه

وعلى الوافر قول ابن جعيثن :

أَري سلمى تطاولنى غشـــاهــــا

تعـــاتبنى وتجهـــــد في عتـــابي

وعلى المتدارك قول محسن الهزاني (*) :

لم يزل بالعطى فـــوق بحر الندي

باسطا للملابطن كف الكـــرم

(*) هو بركات بن مبارك بن مطلب من أشراف مكة وحكامها ، ومن الفرسان المشهورين ، والشعراء المجيدين ، له شعر رصين ، ضمنه كثيراً من الحكم والأمثال ، وما يحمل في صدره من زعامة وطموح ، وأنفة وشمم ..

وشعره وإن كان لا يوجد منه لدى الرواة إلا القليل ، إلا ان هذا القليل اهله لان يكون في عداد الشعراء الكبار ، عاش في آخر القرن العاشر وأول القرن الحادي عشر ..

(*) هو عبد المحسن بن عثمان الهزاني ، من بني هزان الحي المشهور في التاريخ ، وكانت له الزعامة والكلمة النافذة في قومه ، وكان شاعراً مجيداً إلى أقصى درجات الاجادة ، ولم أر من شعراء النبط — قبله ولا بعده — من تقدمه ، خصوصاً في الغزل والوصف .. فلقد ابدع ايما ابداع ، وجاء بصور وابتكارات ، في منتهي الروعة والحمال ! ! لولا ما داخل شعره من صنعة البديع ، وترف الشعر ، والتلاعب بالألفاظ ، وذكر الأحوال الجنسية ... ويعتبر مؤسس هذه المدرسة التي سار على نهجها الشاعر ابن لعبون ، واضرابه والتى تعني بالغزل ، وادوار السنامري .

مات في أوائل القرن الثالث عشر الهجري ، بعد أن ترك اثراً كبيراً في هذا الميدان .

وعلى البسيط قول البديوي :

ولا تطـــع مـــن ضعيفات عزائمه
فكل طبــــع إلى راعيــه ميــال

وعلى الرجز قول ابن جعيثن :

يشمومة يازين نوجــــة ريحهـــــا
يمشى بهـــا عبد قطف زملوقها

وعلى الكامل قول أبي حمزة العامري :

تـأبى عن الطمــع الزهيد نفوسنا
وفروجنــــــا تـأبي عـــن الفحشاء

وعلى الرمل قول ابن لعبون (*) :

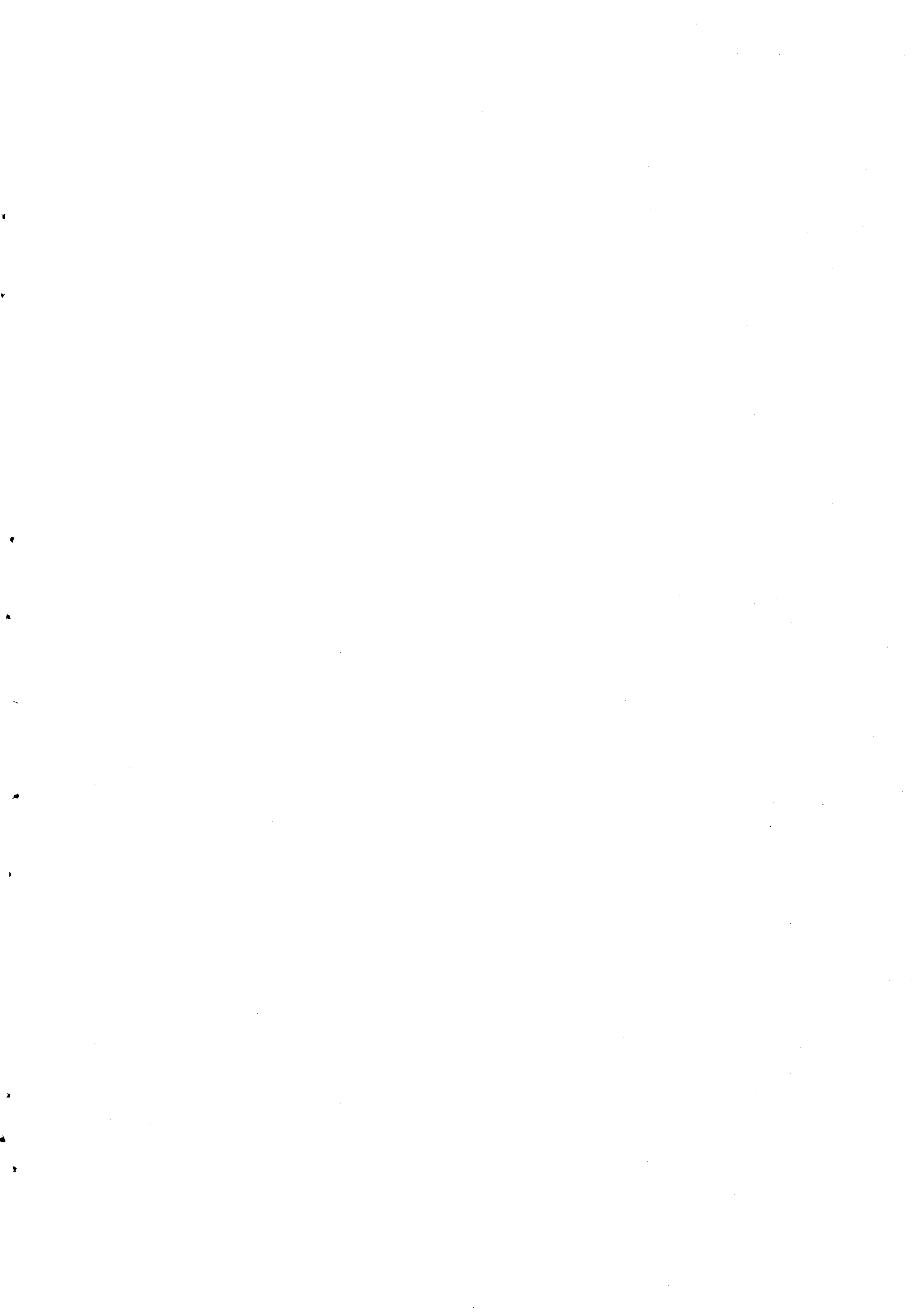
يا منــازل مى عن قبـــــة حسن
من يسار وعن قـــبر طلحـــة يمين

(*) هو محمد بن حمد بن لعبون المدلجي الوائلي ، ولد في بلدة (حرمة) من مقاطعة سدير ، وكان ابوه اديباً ومؤرخاً ، نشأ الابن في حجر والده الاديب ، وتذوق الأدب وعني به ، وكان ولعه بالشعر النبطي والأدب الشعبي سبباً في نبوغه وبروزه في هذا الميدان . حتى أصبح شاعر الهوى والشباب . يسيل شعره رقة وعذوبة ، وسلاسة وملاحة ، وقد أبدع في الناحية الغزلية وامتع ، واصبح رعيم هذا الاتجاه ، وحامل رايته .. وقد ادخل على ادوار السامري اصواتا وانغاما عجيبة ، سميت باللعبونيات ، وكان لها شأن في التلحين والغناء ، عني بتسجيلها وغنائها بما عرف بغناء الخليج الفارسي .
وبالجملة فابن لعبون من أبرز شعراء النبط ، واجودهم ، وقد اكسبته نقلته إلى الخليج العربي حيث الانطلاق والتسامح تغذية لهذه الملكة ، وتبريزاً في هذا الميدان . توفي بالكويت سنة ١٢٤٧ هـ .

وبالتتبع والاستقراء يمكن العثور على ما يوافق سائر أوزان الشعر الفصيح ، كما يمكن العثور على ما يوافق الموشحات ، كما في هذا البيت لابن جعيثن :

افتتنت بحب غطروف غنـــوج
صــافي الخـــدين متلول الدليـــق

وغير هذا مما يتفق وأوزان الموشحات والأزجال ...



نمـــــــوذج

ولعله من الأَنسب للقاريء ، أَن نضع بين يديه قبل الايغال في بحوث هذا الشعر ، قصيدة من جيده ، ونقوم بشرحها ، ابتغاء تقريب بعيده ، وتذليل ناشزه . ولعله بالأَشباه ، والنظائر ، يقارن اللفظ باللفظ ، والبيت بالبيت ، والمعنى بالمعنى ... ومن ثم يكون بيده مفاتح ما غلق ، وحلول ما اعتاص .

ولما كان الشاعر النبطى محمد آل عبد الله القاضى (*) من أَئمة شعراء النبط ، وله فيه القدح المعلى ، واليد الطولى ، ويمتاز أَسلوبه بالجزالة ، وسعة الأَفق .. آثرنا أَن نختار إحدى قصائده الوصفية ، وهى القصيدة التى وصف فيها القهوة ، ففى هذه القصيدة متعة وطرافة ، ورقة وحلاوة . قال :

(*) هو محمد بن عبد الله القاضي ، أحد مشاهير الأسرة المعروفة في بلدة عنيزة من القصيم ،والشاعر المبدع ذو الحكمة والدراية ،وأحد زعماء شعر النبط ،أمتاز شعره بالمتانة والقوة ، وجودة السبك ، وحسن الصياغة ، وروعة الديباجة .. وكان شعراء النبط كل منهم يجيد في اتجاه خاص ، ولا أرى هذا الشاعر إلا قد أجاد في كل اتجاه سلكه .

يا مـــل قلب كل ما التم الأَشفاق
من عـــام الأَول به دواكيك وخفوق (١)
كنه مع الدلال يجلب بالأَسواق
وعامين عنـــد معزل الوسط ماسوق (٢)
يجاهد جنود في سواهيج الاطراق
ويكشف له اسرار كتمها بصندوق (٣)

---

(١) تقدم شرح مفردات هذا البيت قريباً في صفحة ٥٨ .

يشكو الشاعر من هذا القلب الذي له عامان ، كلما أقبل الليل ، والتأم الشفق ، ساورته الافكار ، وأحاطت به الهموم ، وكانت لياليه كلها نابغية .. فمن لهذا القلب يشكيه ، ومن لهذا الليل يخفف أحزانه وآلامه ؟ !

(٢) كنه : كأنه . مع الدلال : مع السمسار . يجلب : يعرض للبيع . معزل الوسط : وسطه ضامر بين نابيين هما كتفه وردفه ، فلهذا أصبح مجسما. ما سوق : مرهون.

ويمضي في وصف قلبه الولهان ، بأنه كالبضاعة في يد السمسار يعرضها على الزبائن فهو — دائماً — في خفقان ، واضطراب ، منذ عامين كما تقدم في البيت الأول . أما عامان آخران فهو لدي البهكنة ، ممتلئة الجسم ، ضامرة الوسط ، هو عندها مرهوناً لا ينفك .

(٣) سواهيج : جمع سوهاج وهو الاغراق في التفكير . الاطراق : من أطراق برأسه إذا حز به أمر ، وراح يفكر فيه .

لقلبه في عالم التفكير ، والخيال ، انطلاقات وتحليقات ، تسمو عمن حوله ، وترتفع به إلى عالم الكشف ، والادراك ، فيظل في شبه مد وجزر ، وكر وفر ، مع جنود تجلب عليه بخيلها ورجلها ، ومع هذا فهو يجاهدها ويجالدها ، ويكشف له تفكيره عن أسرار ، وأخبار ، هو لا يظهرها ، ولا يفكر في اظهارها ، بل لقد اقفل عليها صندوق سره ، وطوى عليها مكنون نفسه :

وللسر مني موضـــع لا يناله صديق ولا يفضى إليه شراب

الى عن لي تذكار الاحباب واشتاق
بالي وطاف بخاطري طاري الشوق(١)

دنّيت لك من غالى البن ما لاق
بالكف ناقيها عن العـــذف منسوق(٢)

احمس ثلاث يا نديمى على ساق
ريحه على جمر الغضى يفضح السوق(٣)

---

(١) إلى : إذا . عن : بدا . بالي : خاطارى . طاري : طارىء :

ولست ممن يستسلم لهذه الخواطر والاحاسيس : وكفى . بل إذا عن لي ذكر ، الاحباب . ودارت بخاطري ذكريات الألف ، وأحلام الماضى ، وهزني الشوق لا وحركني الطرب ، إلى من أحب . فلي عند ذلك سلوة ولخاطري جلوة .

(٢) دنيت : قربت . غالي : ثمين . البن : حب القهوة . مالاق : ما راق وطاب. ناقيها : منقيها . العذف : الخلط الردىء . منسوق منقى .

إنني الجأ إلى اداة السمر . ومولدة الفكر . ربة الكيف ، وأول ما يقدم للضيف . إنها القهوة ، أدني لنديمي من بنها ما نقيته بكفي ، وما غلا ثمنه ، وطاب مشربه . وراق في أعين الناظرين ، وجاء لذة للشاربين .

(٣) أحمس : أقل . ثلاث : ثلاث قلوات . على ساق : متواليات . ريحه : رائحة هذا البن إذا قلى . جمر الغضى شجر يشبه الاثل ينبت في الرمال ، يضرب المثل بحرارة جمره . يفضح السوق : بمعني تنتشر رائحته في الطريق الذي حوله ، فالتعبير بالفضح مقصود به أصل الكلمة ، وهو مجرد الذيوع والانتشار :

فيأمر نديمه بثلاث قليات متتابعات ، ليطول مجلس السمر ، ويطيب لهم الكيف ، ولتعبق رائحة هذا البن جميع الطريق ، الذي حولهم متى ما جعل يقلبه على هذا الجمر الملتهب .

وإياك والنيـــة وبالك والاحــراق

واصحا تصير بحمسة البن مطفوق [1]

الى اصفر لونـــــه ثم بشت بالاعراق

وغدت كما الياقوت يطرب لها الموق [2]

وعطت بريح فاخـــر فاضح فاق

ريحه كما العنبر بالانفاس منشوق [3]

---

(١) وإياك : احذر . النية : النيئة قليلة الاستواء – بالك : احذر . واصح : تنبه . تصير : تكون . بحمسة البن : بقلي البن . مطفوق : مرتعشاً ، مستعجلا .

ومادام خبيراً باعداد القهوة ، عليما باحوالها ، واسرارها ، فلا بد أن يبث نديمه بنصائحه ، حتى تجيء القهوة ، ولا كقهوة الاعشاء ! ! فلا تكون نيئة لا طعم ولا غناء فيها ، ولا تكون محترقة قد ذهبت النار بجو هرها وخاصيتها ، ولكن بين بين ، وإذا كنت تريدها كذلك فابصر بقليها وتأن في تحريكها حتى تأتي لك على ما تريدها .

(٢) إلى : إذا . لونه : لونها . بشت : نضجت . الاعراق : جمع عرق وهو ما يتصبب من الحيوان لشدة الحر ، فاستعمله هنا في القهوة لما يندى منها عند القلي . كما : كأنها يطرب : يعشقها . الموق : البصر .

وحيث افاد نديمه بكيفية قليها ، فلابد أن يدله على امارة نضجها ، وهي أن تصفر ، ويعلوها شيء من الزيت يشبه العرق ، وحينئذ تكون كالياقوت نضارة وجمالا ، تعشق العين رؤيتها ، ويبهج القلب منظرها .

(٣) عطت : تضوعت رائحتها . بريح : برائحة . فاخر : جيد . فاضح : منتشر . فاق : غلب غيره . ريحه : رائحته . كما : كأنه . العنبر : نوع من العطر . الانفاس : جمع نفس وهو ما يستنشقه الانسان وتدفعه رئتاه من الهواء . منشوق : مشموم .

إن هذه القهوة حينما تغلى وتصبح بهذا اللون الذي ذكره ، فسوف تعبق رائحتها ، ويتضوع شذاها ، ويملأ ما حوله ، فكأنه من اذكي العطور ، ومن أحسن ما شمته الأنوف .

دقـــه بنجر يسمعه كل مشتاق

راع الهوى يطرب الى طق باخفوق[1]

ولقم بدلة مولـــع كنها ساق

مصبوبة مربوبة تقل غرنوق[2]

خله تفوح وراعى الكيف يشتاق

الى طفح له جوهر صح له ذوق[3]

---

(١) دقه : اسحقه . بنجر : هاون . وكانوا يتخذونه للقهوة من المعدن الصافي اندى لصوته . راع : صاحب . إلى : إذا . طق : دق . بخفوق : بانغام خاصة .

وبعد أن يتم لك في هذه القهوة ما تريده من لون . ورائحة . وقلي معتدل . انقلها إلى طور ثان . وهو السحق . ولكن في آلة ذات جرس ورنين . تشجي السامعين . وتلهب قلوب العاشقين . متى ما حذقت التوقيع . وبرعت في الترجيع ..

(٢) لقم : ضعها بدلة : إناء من الصفر تصنع فيه القهوة . مولع : نوع المعدن. كنها : كأنها . ساق : ما بين الركبة والقدم للآدمي . مصبوبة : مذابة في قالب . مربوبة : محلو صداها . تقل : تقول و المراد تشبيهها . غرنوق : طائر مائي أبيض :

وبعد أن يتم لك سحقها . ضعها في انائها الانيق الذي كأنه في بياضه . وانتصابه . ساق جميلة . أو غرنوق يزهو ببياضه واناقته زهو الطاووس .

(٣) خله : اتركها . تفوح : تغلى . راعي : صاحب . إلى : إذا . طفح : طفا . جوهر : فقاقيع . ذوق : مذاق .

أصغر قموره كالزمرد بالاشعــاق

واكبارها الطافح كما صافي الموق[1]

زله على وضحا بها خمسة ارناق

هيل ومسمار بالاسباب مسحوق[2]

مع زعفران والشمطري الى انساق

والعنبر الغالى على الطاق مطبوق[3]

---

(١) قموره : فقاقيعه . الزمرد : نوع من الأحجار الكريمة . بالاشعاق : بالاشعاع الطافح : الطافي . كما : كأنه . صافي الموق : أجمل العيون ! ! .

وإذا وضعتها بهذا الاناء الممتاز ، فاتركها تغلى ، وحولها أصحاب الكيف قد طاب سمرهم ، وازداد أنسهم ، فاذا صبغ لونها ، وطفت فقاقيعها ، ما بين صغار كأنها الزمرد ، وكبار كأنها صافي حدق العيون الحور ، فهنا قد صح ذوقها ، وطاب طعمها . .

(٢) زله اسكبها . على : في . وضحا : كناية عن الدلة البيضاء ـ اناء القهوة ـ أرناق : أصناف . هيل : حب الهال . مسمار : قرنفل . الاسباب : الاصناف .

(٣) الشمطري : نبت طيب الرائحة . إلى انساق : إذا جرى . الغالي : الثمين . الطاق الكامل . مطبوق : مضاعف .

وإذا طاب منها ريحها وطعمها ، واصطبغت بصبغتها الشقراء الجميلة ، فحولها من مصفاة رائقة ، إلى مصفاتها الاخيرة ، حيث تجد أمامها خمسة أصناف ، من الافاويه العطرية ، والازهار الريحانية ، هي الهال ، والقرنفل ، والزعفران ، والشمطري ، والعنبر ، قد ضوعفت فيها هذه الأصناف ، فضافت إلى طيب طعمها ، حسن نكهتها ، وجمال منظرها . .

فلى اجتمع هذا وهذا بتيفاق

صبه كفيت العوق عن كل مخلوق(1)

بفنجال صين زاهى عنـــد الارماق

يغضى بكرسيه كما اغضاي غرنوق(2)

الى انطلق من ثعبته تقل شبراق

أو دم جــوف امزع منه معلوق(3)

---

(1) فلي : فاذا . تيفاق : اتفقت الاصناف . صبه : اسكبها . كفيت العوق : دعاء له بأن يكفي ما يعيقه . .

وحينئذ انتهى بك المطاف بعد هذه الأدوار التي مرت بك ، في وصفها ، من القلي ، إلى السحق ، إلى الغلي ، إلى التصفية والتعطير ، وقد بلغت بها المبلغ الذي يراد منك ، فكفيت ما يعيقك ، اسكبها على الحاضرين ، وأدر كؤوسها بنظام وخفة ورشاقة

(2) بفنجال : فنجان وهو كأس القهوة . صين : مادة خزفية صافية . زاهي : زاه الارماق جمع رمق وهو عندهم البصر . يغضي : يغض طرفه . بكرسيه : بصحنه . كما : كأنه . اغضاى : اغضاء . غرنوق : طائر تقدم تفسيره قريباً .

ولا يفوته أن يصف الكأس التى تدار فيها القهوة ، فهي من معدن جميل تعشقه النفس ، ويزهو في أعين الناظرين ، ولكأنه في كرسيه إذ يطفو عليه الحباب ، غرنوق يتوق برأسه،ويغضي بعينيه..وفي هذا البيت الايطاء،وهو تكرار القافية قبل اجتياز سبعة أبيات ، إذ تقدم لنا وصفه (للدلة) بالغرنوق ، وهذا معيب ــ أيضاً ــ عند شعراء النبط ..

(3) إلى : إذا . ثعبته : رقبة اناء القهوة (الدلة) تقل : تقول هو . شبراق : مادة حمراء قانية جوف : قلب . امزع : انخلع معلوق ما يتصل بالفؤاد كالكبد والطحال والكلاء .. الخ .

فاذا أخذ يسكب في هذه الكأس ، رأيت هذه القهوة تنتقل من فم الابريق إلى لى الكأس ، وكأنها هذه المادة القانية الاحمرار ــ الشبراق ــ ولكأنها دم الجوف انخلع منه ما حوله ، وما ابدع ما يشكله منظر هذه القهوة في فنجان الصين الابيض اليقق

خمر الى منـه تسلسل بالارياق

وعليه من ما صافي الورد مذلوق[1]

راعيـه كنه شارب ريـق ترياق

كاس الطرب وسرور من ذاق له ذوق[2]

يحتاج من خمر السكارى إلى فاق

طفل تمز شفاه والعنق مفهوق[3]

---

(١) خمر : كالخمر . إلى منه : إذا هو . الارياق : جمع ريق . من ما : من ماء. مذلوق : مهراق :

(٢) راعيه : صاحبه . كنه : كأنه . ريق ترياق : صافي الخمر . كأس الطرب إنه لكأس الطرب . ذوق مذاق .

إن هذه القهوة لتشبه الخمرة في تسلسلها في ريق محتسيها . سيما وقد اهريق عليها– علاوة على الأصناف الخمسة المتقدمة – من ماء الورد الصافي فكأن شاربها قد عكف على بنت الكرم يرضع كأسها ، إنه الطرب والسرور لمن ارتشف من هذه القهوة ، الجميلة الفائقة .

(٣) إلى فاق : إذا أفاق . طفل : غادة تمز : ترتشف . شفاه : شفتيها . مفهوق : متلع .

لم يحتج محتسي هذه القهوة بعد أن يفوق من خمرتها المسكرة . إلا إلى غادة حسناء يرتشف من ريقها ، وينهل من رضابها ، فيكمل انسه . ويطيب مناه ..

والقاضي من شعراء الغزل ، واهل الرقائق الجميلة . والنسيب العذب . وقد روهن ان يقول قصيدة كاملة لا يتعرض فيها للغزل . فبدأ هذه القصيدة . ولما استمر في قرضها سلطوا عليه إحدى الفاتنات فتعرضت له فاختتم القصيدة بهذه القطعة الغزلية الرائعة ! !

عبث يميل بحبته ما بعد ماق
وهو يزاهى باهر البدر بشعوق(١)

بين اشفتيه الى غنج حق براق
عجل رفيفه بالطها يعطى اطبوق(٢)

سطر كتب من حبر عينه بالأوراق
خديه صادين ونونين من فوق(٣)

---

(١) عبث : مرح . حبته : قبلته . ما بعد ماق : ما تكبر قط . يزاهي : يشابه . باهر : عظيم النور . شعوق : شعاع .

هي غادة متناهية الحسن ، ذات عنق اتلع جميل ، ولم تكن بثقيلة ظل ، ولا غليظة طبع ، بل مرحة ، لعوب طروب ، ذات ظرف ، ولطف ، تميل إليك بقبلتها ، وتبدأك بها ، ولم تكن متكبرة ولا متجافية ، ولكنه ظرف الملاح ، ودلال الجمال ، وليس الحسن قد اعطاها بعضه بل قد استبدت به ، واستأثرت على لداتها ، وليخش بدر التم ان تنازعه البهاء وتقاسمه الاشراق ..

(٢) اشفتيه : شفتيه . إلى غنج : إذا مزح ولعب . حق براق : شثبوب برد من بارق مشتعل . رفيفه : وميضه . الطها : المزن يغشى السحاب . يعطى : يشكل . طبوق : طبقات .

ولله هذا الثغر الاشنب ، يفتر عن برد كأنما نثرته مزنة ذات أطباق ، يضحك بين طياتها بارق لا يهدأ وميضه ، ولا يخبو اشتعاله .

(٣) حبر : مداد . الاوراق : ورق الكتابة . صادين ، ونونين : وحرفا الصادو حرفا النون . عيناه سوداوان ، وخداه أبيضان ، ومن سواد عينيه كتب شعر صدغيه على خديه حرفي الصاد ، وعلى حاجبيه حرفي النون .

والقاضي خالف الثعالبي حيث سماها الثاني واوات . إذ يقول ـ :

إن الواو التي تأتي بعد (لا) النافية لتفرقها عن (لا) الدعائية أحسن من واوات الاصداغ ، على خدود الملاح ! ! أما القاضي فيزعمهما صاد ين ..

كن العرق باخدودها حمر الارناق

ينثر على الوجنات باللون مشعوق[1]

بالعنق كن المسك والخد براق

والمشخص بصدره كما الشاخ مدقوق[2]

يمشى برفق خايف مدمج الساق

يفصم حجول ضامها الثقل من فوق[3]

---

(١) كن : كأن . الارناق : اليواقيت وما شابهها . مشعوق : مضيء .

(٢) كن : كأن . براق : بارق . المشخص : قطعة الذهب . مدقوق : مصوغ .

وكأن العرق المتحدر على وجنتيها ، ياقوت منتثر يتلاقى اشعاعه مع اشعاع هذين الخدين الأبيضين الجميلين ، أما نحرها وجيدها فكأن المسك ينفح منهما ، وكأن الخد بارق يضيء من جنبات مزنة وطفاء ، ويتدلى على نحرها عقد حوى سمطه أنواع الجواهر وللآلىء ، ينحدر من جيد يزيده جمالا وملاحة ..

(٣) خايف : خائف . مدمج الساق : ملمومة مكتنزة . حجول : جمع عجل وهو حلية تلبسها المرأة في ساقها . ضامها : ضيق عليها . الثقل : العبالة والرداحة .

ومشيتها مترفقة رزينة ، كأنما عناها الأعشى بقوله :

كأن مشيتها من بيت جارتها مر السحابة لا ريث ولا عجل

فهي بهذه المشية الهادئة تخشى على حجليها المضيمين ينفصمان ، من شدة الاكتناز والامتلاء ، وتترفق على قدمين مترفين ، يأخذان معنى قول النابغة :

ليست من السود اعقاباً إذا انصرفت .

الى حصل لك ساعة وانت مشتاق
فاقطف زهر مالاق والعمر ملحوق(١)

فيلا حضر ماقلت عندي فالارزاق
بيد كريم كافل كل مخلوق(٢)

وصلاة ربي عد ما بارق حــاق
على النبى الهاشمى خير مخلوق(٣)

---

(١) إلى : إذا . حصل : اتفق . ساعة : فاعل حصل . لاق : راق . ملحوق : مدرك .

وإذا مد إليك الدهر يد المسالمة ، ساعة منه ، فاهتبل الفرصة ، وتعرق غفلاته ، واقطف الزهرة الزاهية ، والثمرة اليانعة ، فلابد للزهرة أن تذبل ، وللثمرة أن تيبس ، ولابد للعمر أن يأفل نجمه ، ويصوح عوده :

إذا هبت رياحك فاغتنمهـــا فان لكل خافقة سكونا(١)

(٢) فيلا : فاذا .

فاذا ملكت هذا فلا علي بعدئذ فقد كملت لذتي وطاب أنسي ، اما رزقي فهو بيد من كفل جميع الخلائق ، واعتنى برزقهم ، وإليه الجأ ، ومنه أعوذ ، وإليه الوذ .

(٣) عد ما : عدد ما . حاق : لمع وبرق .

وإذا انتهيت من خواطرى وأفكارى ، المودعة في هذه القصيدة ، فليس علي إلا أن اكرر صلاتي وتسليمي ، ما أو مض البرق في أعجاز المزنة ، على خير مخلوق تحدر من أصل كريم هاشمي قرشي .

---

(١) أوردنا هذا البيت على اللغة الفصيحة في (إن) إذا تقدم خبرها مع ان رواية البيت المشهورة بضم (سكون) .

نظرة إجمالية في هـــذه القصيدة

استهل الشاعر قصيدته ببث شكواه ، والرثاء لقلبه ، فهو معمود لهذا القلب الذي له عامان لم تمض فيهما ليلة إلا وهو غرض لسهام المصائب ، وحبيس لحرارة الحزن ، فيا لهذا القلب كأنما هو في يدي سمسار يقلبه بين يدي الزبائن .. وحيناً عند مولهته وفاتنته ، رهين الحرمان ، وربيب الهجر ، ولطالما دخل في غيبوبة معتمة يجاهد فيها جنود الهموم ، ويجالد جيوش الأَوهام ، وتظهر له تجليات ودفائن . أَودعها تابوت سره ، وطوى عليها جوانحه ...

وهو إذا رجعت به الذاكرة إلى اويقات الصبا ، وملاعب الأَنس ، ووصال الأَحبة . واستعرض ذلك الماضى الحافل ، بالذكريات الجميلة ، والأَحلام الساجية ، فهو لا يستسلم لها ، ولا يستكين ، بل يختار من نداماه من يطمئن إليه ، ويأَنس بحديثه ، فيقدم له من صاف البن ما راق ونقا ، ويملى عليه درساً في القهوة ، من خبير عالم باسرارها ، متقن لصنعها ، قد محضته التجربة فيها الدراية التامة ... فعليه أَولا أَن يقليها قلياً معتدلا ، ثم يسحقها ، ويضعها في إناء تغلى فيه بقدر ،

وهكذا حتى يقدمها طيبة الطعم ، عبقة الرائحة ، حسنة المنظر . إذا طابت العقار لشاربيها ، وجد أَصحاب القهوة في هذا اللون منها ، لذتهم ، وكيفهم ، وأَنسهم ..

وله بعدئذ أَمنية هى منتهى أَمله ، وغاية قصده ، لتطيب له هذه القهوة ويلذ مشربها ، فهو يحب لهذا الشراب الطيب مزاجاً ، ومزاجها من ظلم غادة فتانة لعوب طروب ، ذات دلال وجمال ، عنقها أَتلع ، وثغرها أَشنب ، وكأَنما يشع من جبينها بارق وضاء ، وكأَن صدغيها المعقوفين على وجنتيها ، البيضاوين حرفا صاد ، وكأَن حاجبيها الأَزجين حرفا نون ، كتبا من سواد عينيها الفاحم ، فجاءا آية في الجمال ، والإبداع .

أَما عرقها المتحدر على وجنتيها ، فالياقوت ينتثر على صفحة بلور . وله طريقة في الخطو تخجل القطاة في مشيتها ، وربما يخشى على حليته المتلئة بساقين بضين جميلين تنفصم من شدة الامتلاء .

هذه هى بغيته ، فاذا حصل هذا فسوف يختلس غفوات الدهر ، ويهتبل سوانح الفرص ، ولا بد للعمر من نهاية ، وللذة من كدر . .

وإذا نظرنا إلى هذه القصيدة من الناحية الفنية ، وجدناها تمتاز بحسن الصياغة ، وسلاسة اللفظ ، ودقة الوصف ، وسمو المعاني ، وإن كانت تنقصها وحدة القصيدة ، حيث يريدها البحث تدور في فلك واحد ، وتعالج موضوعا مستقلا ، لا صلة له بغيره .. إلا أن الشاعر هنا معذور ؟ !

أولا : لأنه نشأ في عصر كان الشعر فيه يسير على هذا النمط ، ويجري على هذه الوتيرة ، فكان الشاعر المصري ، أو العراقي ، أو الشامي – آنذاك – يتغنى بالمنحنى والغدير ، وعنده النيل أو الفراة أو بردى ، ويذكر الخرامى والعرار ، ولديه الجنان الفيح ، والحدائق الغناء ، ويركب الفرس والناقة ، وعنده القطار ، وآلات البخار .

وثانيا : لم يكن شاعرنا هذا يخرج من معنى ويلج في آخر بدون استئذان ، أو بلا سابق انذار ، بل قد تعرض في قصيدته هذه إلى ثلاثة مواضيع هى :

أولا : بث شكواه ، واظهار لوعته لقلبه المعذب الحائر ..

ثانيا : وصفه الشامل للقهوة ، وكيفية صنعها ، ومبلغ احتفاء العربي بها .

ثالثا : خروجه إلى النسيب ووصفه للحبيب ..

وفي هذه الأَغراض الثلاثة ينتقل من غرض إلى غرض : بتخلص حسن ، ومعنى دقيق ، ففى خروجه من الغرض الأَول للثاني نراه تقريبا مهد له بقوله :

الى عن لى تذكار الاحباب واشتاق
بالى وطاف بخاطري طاري الشوق
دنيت لك من غالى البن ما لاق
بالكف ناقيها عن العذف منسوق

فنجده دخل إلى هذا الموضوع ، بأَن جعله سلوة لخاطره من الهموم ، وردئا له من الأَحزان .

أَما الموضوع الثالث فقد ولجه بمعنى يشابه المعنى السابق ، فهو حينما راقت له هذه القهوة ، وطاب مشربها ، وشعر بالأَنس والسرور يسريان في كيانه ، ويدبان في أَوصاله ، لم يبق عليه إلا أَمنيته الكبرى ، ومدار تفكيره ، فاراد أَن يمازج هذه هذه القهوة بريقة محبوبته المعسلة ، ورضابها العذب . فيقول :

يحتاج من خمر السكاري إلى فاق
طفل تمز شفاه والعنق مفهـــوق

وأظن أن في هذين التخلصين الجميلين ما يشفع لشاعرنا ، ويدرأ عنه نقد الناقدين !

وفي هذه القصيدة ، من المعاني السامية ، تعرض الشاعر لموضوع وصف القهوة ، وهو موضوع لا أظن أن أحداً من الشعراء – شعراء النبط – سبقه إليه ، وان كان ثمة أحد فببيت أو ببيتين ، أما هو فقد أبدع وأمتع في وصفها ، وليس من يقلد ويحاكي ، كمن يبتكر ويفن ، استمع إليه وهو يصف فقاقيع القهوة ، الطافية عند الغليان .

أصغر قمورة كالزمرد بالاشعــاق

وكبارها الطامح كما صافي الموق

أليس هذا مما يدل على خصوبة خيال وسمو تفكير ؟ !
وتخيل كيف وصف القهوة ، تنطلق من رقبة إبريقها إلى كأسها بدم قان انطلق من وريد ، أو انفجر من جوف مخلوع !!

الى انطلق من ثعبته تقل شبراق

أو دم جوف امزع منه معلوق

أسلوب القصيدة في شعر النبط

نحن نعلم أن لكل عصر من العصور ، أسلوبه الخاص ، في بناء القصيدة فالعصر الجاهلي في لغته ، وتفكيره ، ومحيطه ، وأغراضه ، التي ينظم فيها .. غير عصر صدر الإسلام ، وهذا غير عصر بني أمية ، والعصر العباسي يخالف ما تقدمه ، وما قبل عصر النهضة يخالف ما قبله ، والعصر الحاضر يخالف الجميع ...

وهذا ما يشير إليه الأستاذ أحمد حسن الزيات بقوله :

« كان الشعر في الجاهلية لسان دفاع ، وحامي ذمار ، ومسجل محامد ، وفي الدولة الأموية داعية دين ، ودعامة ملك ، وناصر مذهب ، ومؤيد فرقة ، وفي الدولة العباسية نديم خليفة ، وسمير أمير ، وأليف كأس ، وصريع غانية [(1)] » .

وإذا نظرنا إلى العصر الذي ساد فيه الشعر النبطي ، وانتشر ، وتأثرت فيه عموم الأوساط في الجزيرة العربية ، وجدنا أنه يستقي تقاليده ، ومناهجه ، وأساليبه ، مما قبل النهضة الحديثة ،

---

(١) تاريخ الأدب ص ٢٤٨ .

ومعنى هذا أن أسلوب التجديد الحديث ، لم يجد سبيله إلى مسالك الشعر النبطى ، ولم يتأثر به ، لا من قريب ، ولا من بعيد ، وهذا يرجع إلى أمور منها :

١ - إن الجزيرة العربية بحكم وضعها السياسى - منذ زمن ليس ببعيد - ويتبعه الوضع الثقافي ، والاقتصادي والاجتماعى . لم تكن لديها القابلية لتلقى هذا الجديد ، في الشعر العربي ، وكان الشعراء والنظامون فيها على قلتهم لا يتأثرون في شعرهم إلا بما تمليه عليهم دواوين الأدب القديم .

وقليل هم الذين اقتبسوا بعض الاشعاعات من أسلوب الشعر الحديث ، على سبيل النشوء والارتقاء ، إبان رواج الشعر النبطى ، فكان في شعرهم شيء من الخضرمة ، فمن أين للنبط - والحالة هذه - التأثر بالتجديد ؟ !

٢ - في الوقت الذي وجد التجديد سبيله إلى الجزيرة العربية ، وأصبح له هواة ، وأنصار ، نجد فيء الشعر النبطى قد أخذ في التقلص ، والاضمحلال ، وأن الحكام ، والمجتمعات التى كانت تغذي ملكاته ، وتجزل هباته ،

قد عزفت عنه ، ولا نستطيع أَن نقول إِن هذا العزوف إلى الشعر العربي ، فلو كان الأَمر كذلك لما وجدنا شعرنا العربي لا يزال يتخبط في الطريق ، ويعشو عن الجادة ، ولكانت لنا شخصية شعرية يعتد بها بين الأَمم ! !

ولكنني أَعتقد أَن الذي أَحدث العزوف عن الشعر النبطى ، والسير البطىء نحو العربي ، هو الهدوء ، ودنيا الركود واليأَس ، بعد أَن كان نقيض هذه الناحية هى الشعلة التى تستنفر الشعراء . وتورث الخلق ، والابتكار ، والإِجادة ، هذا بالنسبة إلى الشعر النبطى ، أَما بالنسبة إِلى العربي ، فالثقافة الضحلة ، وعدم استقلال الأَديب السعودي ، أَو الجزري على الأَصح ، ونظره دائماً إِلى الغير عندما ينظم ، يضاف إِلى هذا رداءة الاستهلاك وبرود التلقى .

٣ ـ ان نظامى الشعر النبطى هم ـ في الغالب ـ ليسوا من الطبقة المثقفة والمستنيرة ، حتى يتأَثروا ـ عن طريق القراءة والسماع ـ بكل جديد ويبرز ذلك فيما ينظمونه بل هم طائفة من سواد الناس ، امتازت بدقة الاحساس ،

وشيء من الذكاء والتجربة الاجتماعية ، وإن كان لبعضهم ثقافة جعلتهم يتأثرون في شعرهم بالشعر العربي القديم ، كما سنعقد له فصلا خاصاً من هذا الباب إن شاء الله ، إلا أن هؤلاء ليسوا بكثير .

وإذاً فيصح لنا أن نبيح لأنفسنا القول بضيق دائرة هذا الشعر ، ودورانه في فلك خاص ، وبيئة خاصة ، يفقد خاصيته إذا فارقهما ، ولا أدري هل في هذه النتيجة التى وصلنا إليها رد على ابن خلدون في قوله باستقلال الشعر عن اللغة ، أولا .. ؟ ! انظر صفحة ٥٠ من هذا الكتاب .

ومما تقدم ندرك أن بناء القصيدة في الشعر النبطى ، يستمد من تكوين القصيدة العربية ـ في الغالب ـ بالغزل والنسيب ، أو بار كاب الركب ، ويمر بالمفازات الموحشة ، الممتدة الآل ، وقد يتخلص إلى غرضه ، أو لا يتخلص .. يقول الدكتور طه حسين :

« والقصيدة العربية الشعبية الآن ، كالقصيدة العربية القديمة ، تبدأ بالغزل القليل البسيط المؤثر ، ثم تنتقل إلى وصف الإبل والصحراء فتطيل في ذلك ، ثم تصل إلى غرضها ،

من مدح ، وفخر ، وغيرهما ، من فنون الشعر .. [1] » .

ونحن ندرك أَن الأَمر كذلك ، إقرأ لمحسن الهزاني من قصيدته الرباعية الآتية :

هافت غصون القلب يا زيد والون
من فرط نار الشوق والوجد والون
على عماهيج لى أَو من والون
نهار شدن الحنا فوق الاغصان[2]

* * *

سالت مدامع ناظري فوق خدي
وابديت للجهال مكنون سدي
نهار عاينت الحنايا تشدي
على ظعون الترف مياس الاردان[3]

* * *

(١) الحياة الأدبية في جزيرة العرب ص ٢٤ .

(٢) هافت : ذبلت . ألون . قوسن . ألون الثانية : الأنين . عماهيج : مائلات لينات الاعطاف . أو من : أو مأن وهو من لى اليدين بالاشارة .

(٣) ناظرى : عيني . مكنون سدى : دخيلتي وسري . الترف : المترف . مياس الاردان : ضافي الثياب مسترسلها .

طفــل سلب عقلى بجيــد وقصــة
وامبيسم يا حظ ابو من يمصــه
وقريدة فيهــا الرعايف وحصــة
ومغيزلات غزيل حين ينعان(١)

* * *

لج الهــوي بي واشتعل في فــوادي
ومن المحبــة همت في كل وادي
ومن الوله يــوم ارتحال البــوادي
غديت ادور جوف الاظعان حشوان(٢)

ويمضى في تغزله ووصف وجده وأنينه ، وشجوه وحنينه ، إلى أَن ينتقل إلى الخطوة الأَخري في بناء قصيدته وهى إركاب الركب فيقول :

يا على واركب فوق حر شملا
من نبت ثجاج البطــاحى تمــلا

(١) طفل : غادة . قصة : لمة شعره . مبيسم تصغير مبسم وهو الثغر . ياحظ أبو من يمصه : ما أسعد من يترشفه . قريدة : حلية تلبس في العنق . الرعايف والحصة : أحجار ثمينة تنظم في العقود . مغيرالات : أعين ظبي .

(٢) أدور : أبحث . جوف الاظعان : وسطها . حشوان : جمع حاش ، وهو فصيل الناقة .

واقول يا من فــوق كوره تعــلا
عج راس نضوك لى ولو كنت مشتان [1]

اوقف تحمــل رسالة من قبــالى
للى شعب في غــزل عينيــه بالى

قل له إذا ما جيت والبيت خالى
ألف يوديك السلام ابن عثمان[2]

وقد يبدأ القصيدة بشكوى حاله والرثاء لقلبه وذكر صروف دهره وتقلباته .. اقرأ لابن سبيل :

يا ذعار انا قلبى من العام حوله
إلى اليوم ينقص ما بقى إلا قليله[3]

مثل الشعيب الى تقافت محــوله
مسن جنــابه يابس حنضليله[4]

---

(١) شملا : شملال البطاحي : جمع بطحاء . تملا : اكتنز من الشحم . كوره : قتبة تعلا ركب . مشتان : مشغول .

(٢) أوقف : قف . من قبالى : من قبلى . شعب : فتن ، في غزل عينيه : بغزل عينيها بالي : خاطري . والبيت خالى : الواو واو الحال . الف : مفعول مقدم ليوديك ، ومعناه يؤديك . ابن عثمان : هو الشاعر محسن ابن عثمان الهزاني .

(٣) ذعار : منادي يبثه شكواه .

(٤) الشعيب : الوادي . إلى تقافت محوله : الذى تتابعت محوله جمع محل وهو الجدب . مسن : مسنت . جنابه : أرضه . حنضليله : شجر الحنضل وهو أصبر النباتات على العطش .

وأحياناً يفتتح القصيدة بالصلوات والتوسلات كما فعل العوني :

يا الله يا والى عـلى كل والى
يا خيـر يدعى لكشف الجليلة[1]

والعرينى :

يا الله يا باني الحـــرم في تهـامة
كشاف ضر ايـوب فتاح الابـواب

وقد تبدأ القصيدة بذكر الابل ووصف مجاهل الطريق ثم تنتقل إلى مدح الممدوح .. الخ .

اقرأ لمحمد بن لعبون :

يا ركب ما سرتوا بيوسف ليعقوب
قبل الفجر ينباج والليل غربيب[2]
مقدار ما يفرغ من الكاس مشروب
تريضوا يا ركب ما انتم باجانيب[3]

---

(١) خير : وزان قيم . الجليلة : الأمر المعضل المحير .

(٢) ما سرتوا : مانا فيه وفيها معني الاستفهام . بيوسف ليعقوب : المراد التشبيه بيوسف ويعقوب نبي الله بجامع الوله والشوق . ينباج : يتنفس . غربيب: أسود غدا في الاهاب .

(٣) مقدار : ظرف متعلق بـ (تريضوا) بمقدار شرب الكأس . تريضوا : ريضوا . ما أنتم .. : ما أنتم باجانب اتحاشا ايقافكم .

ما يستدير الدور منكم لمنيوب
الا وقد خطيت رسم المكاتيب[1]

الى افتر بسام الفجر تقل خرعوب
تضحك على الدايه فـدنوا يعابيب[2]

يشدن لعيدان لها القوس مكروب
وخلافهن ضراب نبط النشاشيب[3]

هجن هجا هيج برى حالها الدوب
من كثر ماراحن وماجن مناديب[4]

تنفى مناسمها الحصا تقل حالوب
غادر شبوبه ساهرات نحاحيب[5]

---

(١) منيوب : مشغول . رسم المكاتيب : مضمون الكتب .

(٢) إلى : إذا . افتر : ضحك . تقل خرعوب : مثل الغادة الجميلة تضحك لمربيتها دنو يعابيب : ادنو إبلاً سريعات .

(٣) يشدن : يشبهن . عيدان : اعواد . مكروب : مشدود ، والمراد انهن ضامرات ضراب : فعال ، كثير الضرب شديده . نبط حذف . النشاشيب : النشاب وهو تشبيه الحصا تنفيه مناسم هذه الابل بالنشاب ينطلق من القسي .. تشبيه رائع لم يسبق عليه .

(٤) هجاهيج : سريعات . الدوب : مواصلة السير . راحن وجن : ذهبن وجئن . مناديب : مندوبات والمراد أهلهن .

(٥) تنفي : تزيح . تقل حالوب : مثل شثبوب البرد . غادر شبوبه : القى برده . ساهرات النحاحيب : السحاب يسري ليله كله وله هزيم بالرعد .

ويمضي في وصف هذه الإبل ، حتى يستكمل جميع الأَوصاف الحسنة فيها ، وبعده يفضي إلى المرتبة الثانية وهي وصف المجاهل التي يمر بها هذا الركب :

مع صحصح كنه قفي الترس مقلوب

يفرح به الجني على فقده الذيب[1]

تاخد به الشريه زمانين برتوب

وعامين تسجع ساهية عقب ترتيب[2]

بقفر كلاه انبوب ساقه على انبوب

زرق العسق بحماه مثل المغاليب[3]

حتى إذا انتهى من الطريق ومجاهله ، وما به من كلأً

---

(١) صحصح : أرض مستوية . كنه : كأنه قفي الترس مقلوب : ظهر المجن . يفرح به الجني .. الخ عندهم خرافة تقول ان الذئب إذا ادركه السغب خرج له جني من الأرض فيطارده حتى يتمكن منه ويأكله وهذا الصحصح الذي لا عوج فيه ولا امتا تطمئن فيه الجن لانهم لا يطمئنون إلا حيث القفر الخالي من الانس .

(٢) الشرية : الحنضلة . زمانين برتوب : عامين وهي إذا القيت تقفز قفزاً . وعامين تسجع ساهية عقب ترتيب : وعامان آخران تظل ساجية في سيرها من شدة استواء هذه الأرض وطولها وهذا من الاغراق والمبالغة الشديدة .

(٣) بقفر كلاه انبوب ... الخ يقول إن هذا القفر قد نما عشبه وكلؤه حتى صار أنابيب بعضها فوق بعض ، وصارت البراعم عند ما تمتد كأنها المخائط في قوة اندفاعها .

مشتبكة ازهاره ، عبق أريجه وصل إلى بلدة جميلة يريد أن يمدح صاحبها .

وإذ فرغ من المدح البلدة التى ألم بها ، فلا بد أن يتعلق بسبب للدخول على مدح الممدوح ، وهنا نجد ابن لعبون قد تخلص تخلصاً جميلا يحسده عليه كثير من شعراء العربي ، بله النبطى ، فلو رآه قائل هذين البيتين :

تقول في قومس قومى وقد أخذت
منا السرى وخطى المهرية القـود

امطلع الشمس تبغى أن تؤم بنا ؟ !
فقلت : كلا ، ولكن مطلع الجـود

لشهد له بالسبق وأقر له بالأفضلية : فهو يقول في هذه التحية التى يحملها الركب ولا نعلم – بعد – لمن يحملها :

تغمز معانيهـا حشاشات وقـلوب
غمز المعالى لابن ضاحى حواجيب(١)

---

(١) معانيها : فاعل تغمز . وحشاشات وما عطف عليه مفعول به . حواجيب : حواجب .

اللي صبر عنـد البلاكنـه ايوب
يوم العذارى ذاهلات الجلابيب[1]

تصور كاعبا حسناء قد شغفت حبا فبرح بها الجوى ، وتعلق قلبها بمحبوب ذهبت كلما رأته جعلت تلعب بحاجبيها ، وتغمزهما غمز الغزل المرح ، إنها المكارم كلما افتض بكراً من أَبكارها غمزت له أَخرى ، فنال منها مأَربه ، ووصل إلى مناه ، وهكذا هذه التحية تغمز القلوب والحشاشات مثل غمز حواجب المعالى لابن ضاحى ! !

وبعد أَن أَفاض الشاعر في مدح ممدوحه كان قد استكمل مراحل قصيدته فانتهى به المطاف .

وأَحيانا لا يعول الشاعر النبطى على التخلص بل يبدهك بالانتقال المفاجىء بدون مقدمة أَو استئذان ، وهذا قد يقع من الشاعر نفسه فتخالف بعض قصائده البعض الآخر ، وهو أَمر ليس الشاعر النبطى بدعاً فيه ، بل لقد سبقه العربي إلى ذلك وإلى بعض التخلصات التافهة ، فأَبو الطيب المتنبى – وهو من

(١) إلى : الذي . كنه ايوب : كأنه ايوب نبي الله في صبره على البلاء ، وقد تحدث القرآن عن صبره . يوم العذارى : ظرف متعلق بصبر . ذاهلات الجلابيب : ذاهلات عن اكسيتهن من شدة الروع ! !

هو – في قدرته على التخلصات النادرة ، مثل قوله في المغيث العجلي :

مرت بنا بين تربيها فقلت لها
من أين جانس هذا الشادن العربا
فاستضحكت ثم قالت : كالمغيث يرى
ليث الشري وهو من عجل إذا انتسبا

نراه في قصيدة أخري يفاجئنا بمفاجأة لا تليق بأبي الطيب ، ففى قصيدته النونية التى مدح بها سعيد بن عبد الله الانطاكى ، أراد أن يتخلص فلم يحالفه التوفيق فقال :

لو استطيع ركبت الناس كلهم
الى سعيد بن عبد الله بعرانا

حتى تندر عليه من تندر فقال : أيركب حتى أمه ؟ !

وقبله لم يحاول التخلص زهير بن أبي سلمى ، وهو ما هو في شعراء الجاهلية ، انتقل إلى مدح هرم بن سنان مفاجأة بقوله :

دع ذا وعد القول في هرم
خير البداة وسيد الحضر

واذن فلا لوم على الشاعر النبطى ، أَن يستعمل كلمة ، (وخلاف ذا) كما استعمل شاعر الفصيح : (دع ذا) فهذا راكان بن حثلين يقول :

وخلاف ذا يا راكب فـوق هيـاف
بتيـل ساج ومقتفيه الولامى[1]

بعد قوله :

عسى لهم بايات من حـج واطـاف
عـز لحاضرهم وللحى دامى[2]

وكما نرى القصيدة العربية تعنى بحسن المطلع وتنفر من قبحه إذ حمد النقاد لابي الطيب قوله في حسن المطلع :

فدينناك من ربع وإن زدتنا كربا
فانك كنت الشرق للشمس والغربا

نَزلنا عن الأَكوار نمشى كرامة
لمـن بان عنـه أَن نلم به ركبـا

---

(١) وخلاف ذا : وبعد هذا . فوق هياف : على سفينة سريعة خشبها من الساج . ومقتفيه الولامي : مستدبرته الرياح . وهذا يكون أسرع لجريه .

(٢) بأيات من حج واطاف : بآيات الله الذي يحج ويطاف له . دام : دئما لا لا ينقطع .

وذمواله قوله :

هذي برزت لنـــا فهجت رسيسا
ثم انصرفت وما شفيت نسيسا

فكذلك نجد الشعر النبطى يتفاوت في هذه الناحية ، فبينما نري الشاعر محمد بن لعبون يستهل إحدى قصائده بهذا المطلع البارد :

قبل امس انا حيران وامس مسايم
واليوم مشتاق وباكر اباسيم[1]

إذا بنا نري الشاعر ابن جعيثن ، يستهل قصيدته بمطلع حلو ممتاز :

البـــارحة ليلى عسى الله يعــوده
يازين وصل الليل من بين الاحباب[2]

وجريان القصيدة على هذا النحو هو الأعم والأغلب وإلا فقد تسلك مسالك أخرى لا تلتزم فيها شيئا مما ذكرنا ولا تتقيد به .

---

(١) قبل امس : أي اليوم الذي سبق امس الدابر مسايم . مضرب عن الأكل والشرب عازف عنهما .

(٢) يعوده : يعيده . يا زين ما أحلى . من بين : ما بين .

وهكذا كل ناحية سلكتها القصيدة العربية ، نجد القصيدة النبطية تسايرها فيها ، كحسن المقاطع ، والنهايات ، ونصح الممدوح أَحيانا واستعطافه ، وختم آخر القصيدة أَحيانا بالصلاة على النبى (عليه السلام) كما يفعل قدماء الشعراء .

وبالجملة فالشعر النبطى هنا صورة من العربي في سابق عهده.

* * *

بين الشعر النبطي والعربي

سبق أَن تحدثنا في فصل سابق عن فنون الشعر العامى ، كالزجل ، والموال ، ونحوهما ، وتحدثنا عن صلة الشعر النبطى بهذه الفنون من جهة ، وانفكاكه عنها من جهة أَخرى ، وأَلممنا بشيء عن صلته الوثيقة بالشعر العربي ، من حيث أَسلوبه ، وأَغراضه ، ومناحيه .. ونعود الآن لنوفي هذا الموضوع ما يستحقه من درس وتحقيق ...

لا نجد فرقاً ينأَي بالشعر النبطى ، ويخرجه عن محيط العربي ، غير اللغة حيث تجدها – غالباً – في الثاني سليمة في نطقها ، سليمة في اصطلاحها ، سليمة في رسمها ، وفي الأَول تساير العامية ، في جميع خصائصها ... أَما إذا نظرنا إليهما من الناحية الشعرية ، فلا نكاد نجد فرقا يذكر .

فالاغراض التى طرقها ويطرقها الشعر العربي ، نجدها بكاملها في الشعر النبطى .

وأَسلوب القصيدة ، وبناؤها في الشعر العربي ، يتجلى بكامله في الشعر النبطى .

والتأثير الشعري ، عاطفياً كان ، أو حماسياً . أو روحياً . يبدو جلياً في شعر النبط .

وما نستطيع أن نقف عليه من أحوال أمة ـ أي أمة ـ في تصوير مشاعرها ، وابراز حقائقها ، عن طريق شعرها ، وأدبها ، نستطيع أن نصل إليه عن طريق هذا اللون من الشعر ..

ولكى ندعم هذا القول ، نحاول أن نورد نماذج عن :

١ ـ أغراض الشعر .

٢ ـ تصوير البيئة واستجلاء حال الأمة :

١ ـ الشعر النبطى وأغراض الشعر :

وحيث أن الوصف والنسيب لهما الصدارة في الشعر النبطى ، وتتفرع عنهما نواحى خليقة بالبحث ، والاستقصاء ، لهذا فاننا سوف نخصص لكل منهما فصلا مستقلا ، ونتناول هنا بقية الأغراض ..

١ ـ المدح :

من أبرز الأغراض التى طرقها شعر النبط المدح ، لما تقضى به حال البيئة ، ومنهج الأمة الاجتماعى ، ويعتبر العوني في

مقدمة المادحين ، لما يقضى به منهجه في الشعر ، وبيئته المتلقفة لهذا النوع المغذية لملكة الشاعر فيه .

قال في إحدي أَعتذارياته ، وفيها يعتذر من الإمـام عبد الرحمن آل فيصل آل سعود عن بعض هفوات وقعت منه :

عبد العزيز حجاب نجـد عن الروم
ابنك نجيبك هدم صولات من صال[1]

عز الرفيـق وذل من ينقل الزوم
لطام هامات العدى متلف المال [2]

حر إلى منه شهر وادرج الحـوم
عقبان نجد عن مراميه تنجال[3]

سبع ضروم يقصم العظم ملحوم
حراب ضراب حمول وزعال[4]

---

(١) الروم : الافرنج ومن على شاكلتهم . نجيبك : من انجبته . هدم : هدام . صولات : ثورات .

(٢) الرفيق : الصديق . الزوم : الكبر والغطرسة . لطام : صيغة مبالغة من لطم . متلف المال : أي سخي .

(٣) حر : صقر . إلى منه : إذا أنه . شهر : حلق . ادرج الحوم : ذرع الفضاء مستطلعا . عقبان : جمع عقاب . مراميه : مواطنه . تنجال : تجلو .

(٤) سبع ضروم : سبع ضار . ملحوم : نعت لسبع والمراد انه موفق لانشاب انيابه بفريسته . حراب ضراب : صيغتا مبالغة من حرب وضرب . حمول : شديد التحمل حيث يحسن الحلم . زعال : شديد الانفعال والتأثر حين يحسن الغضب .

ريف على العانين نصر لمظلوم

سو على المسوين قصاف الاجال(١)

وله من رباعية مطولة ، شبيهة بالملحمة ، سرد فيها قصة المعركة الكبيرة ، بين ابن سعود ، وابن رشيد المعروفة عند أَهل نجد بـ (البكيرية) ، وكان إذ ذاك سلما لابن سعود حربا على ابن رشيد قال :

الميمنة دارت وصارت خفيفة

زاحت على الاسلام صارت خفيفة(٢)

والترك لاقتهم موارث حنيفة

ما خايروا يوم ان بعض العرب خار(٣)

---

(١) ريف على العانين : ربيع للمحتاجين . سو : سوء . المسوين : المسيئين . قصاف الآجال : قصام لاعمار اعدائه .

(٢) خفيفة وخفيفة فيه الجناس أن صح تغاير المعنى ، والمعنى ان ميمنة الجيش تافهة .

(٣) موارث حنيفة : أهل وادي حنيفة ، وحنيفة هو ابن لجيم بن علي ابن صعب بن بكر بن وائل .

ولولا أن أكون كقاضي جبّل لسقت من الادلة الثابتة في التاريخ ما يدهش من شجاعة هذه الطائفة . خايروا ترددو في الاقدام . خار : نكص .

عنوي هــل العوجا تعداهم اللوم
أركوا جموع الحضر والبدو والروم(١)

يوم انهم خانوا بهم تالى اليوم
استعصموا بحدود عطبات الاذكار(٢)

ولابراهيم الحيدان الضرمى (*)، من قصيدة يمدح فيها سمو الأمير فيصل ابن عبد العزيز ولى العهد :

فكيف اشتكى حر الظما والقــوايل
والعــد يجهش كوكبه كنه السيل(٣)

حلحيل حمال الحمول الثقــايــل
برايه إلى راجت عقول المغاليل(٤)

---

(١) عنوي : أعني هل العوجا : أهل وادي حنيفة، والعوجا «شعارهم في الحروب تعداهم اللوم جانبهم الملام . أركوا : ثبتوا أو ردوا . الحضر : الحاضرة . البدو : البادية . الروم : الترك .

(٢) خانوا بهم : خانوهم . تالي اليوم : آخر اليوم . استعصموا : لجأوا . عطبات الاذكار : وبيلة المضارب والمراد السيوف .

(*) هو شاعر مقل ، ولم يشتهر بالشعر كما اشتهر غيره ، ولكن له نفحات شعرية جميلة ، تدل على شاعرية أصيلة ، وذوق أدبي جميل ... وهو فكه المحضر ، طيب المعشر ، توفي حوالي عام ١٣٧٥ هـ .

(٣) القوايل : الهواجر . العد : الماء الغمر . يجهش : يفور . كوكبه : منبعه . كنه : كأنه .

(٤) حلحيل : كيّس حاذق . الثقايل : الثقيلة . براية : برأيه . إلى : إذا . راجت : زاعت المغاليل : الحردين .

للجـود في مقرن حجاجه دلايل

إلى ادبرت هذي وهذي مقابيل(1)

تلقى لهـم في المجد كسب النفايـل

في ما قف فيـه ارتفاع وتنزيل(2)

إلى أن قال :

يوم ابرهة جاب الطواغيت صايـل

وليت قبض نفوسهم طير ابابيـل(3)

ولراشد الخلاوي (*) يمدح محمد الربيعي ابن عم منيع بن سالم من آل عريعر :

---

(1) مقرن حجاجه : جبينه . دلايل : دلائل امارات . إلى : إذا . ادبرت هذي.. الخ : المراد يوم الكر والفر .

(2) تلقى : تجد . النفايل : الحلائل . ماقف : موقف. ارتفاع وتنزيل : خفض ورفع .

(3) أبرهة : هو طاغية الاحباش الذي جاء لهدم البيت ، والمراد به هنا هو قرن الامير فيصل الذي انتدت لحربه . جاب : أتى . الطواغيت : الجند المعتدى . طير ابابيل : هو الطير الذي انزل على جند أبرهة – أصحاب الفيل – وقصتهم في القرآن ، معروفة ، والمراد به هنا هم جنود الممدوح ، وفي هذا تشبيه ضمني لطيف .

(*) راشد الخلاوى أحد فحول هذا الميدان ، والمعروف بطول النفس ، ورصانة الأسلوب وسعة الاطلاع ، ولا سيما في علوم الفلك ، ومواقع النجوم ، وقد ضمن ذلك بعض قصائده.

وله حكم وامثال ، ونظرات في الاجتماع ، وفلسفة في الكون ، تستغرب أن تصدر عنه ، وهو ربيب القفار والفلوات .

وله مدائح خالدة في ممدوحه منيع بن سالم ، من امراء آل عريعر حكام الأحساء وما جاورها في عصره ، ولم تمدنا المراجع التى بأيدينا بشيء عن وقته الذي عاش فيه ، إلا أننا نتوخى أنه عاش ما بين القرنين التاسع والعاشر ، ولولا ما لشعره من أثر جيد لما بقي يروى إلى يومنا هذا وهو لم يدون .

عن الشين أَبعد من سهيل إلى الثرا
وللجود أَقرب من جبين لحاجب

ونفس إذا حدثتها اريحيّة
شيطانها عند المروات غايب(١)

أَبو كلمة وإن قالها ما تغيرت
كنك على ماقال بالخمس قاضب(٢)

ولحميدان الشويعر (*) في الأَمير عبد الله بن معمر :

---

(١) المروات : جمع مروءة ، والمراد هنا البذل والعطاء .

(٢) أبو كلمة : صاحب كلمة كنك : كأنك . بالخمس قاضب : كأنك مطبق على وفاء وعده بخمسة الأصابع .

(*) حميدان الشويعر من أسرة الشواعر التي تنتمي إلى قبيلة بني خالد .. وليست هذه النسبة تصغير شاعر لحميدان كما توهمه بعضهم .

عاش في بلدة القصب إحدى قرى الوشم من نجد ، وبرع في شعر النبط ، ولا سيما في الهجاء ، وتصوير البيئة الاجتماعية ، حتى طبقت شهرته سائر بلدان نجد .. ويعرف شعره بالسهولة والوضوح .

ولم يتحاش في بعض قصائده عن الاسفاف المشين في النواحي الجنسية ، وفي تصوير بعض الأحوال الدنيئة ، التي لا تنصرف لها همم أوساط الناس بله سراتهم .. وتعجب أن يجمع بين هذا وبين حكم غالية ، ونظرات فاحصة لزمنه وأهله ، ولكن ما نعرفه عن بشار ، والحطيئة ، وأضرابهما .. يبطل هذا العجب ، فهذه من مفارقات الشعراء ، توفي حوالي سنة ١١٦٠ ﻫ .

تفيض على دار وكار ومركب
وحكم نظيف مايصافي مناجسه (١)

رفيــع الثنــا عبد الله بن معمر
انيس وحيش لين كفى تخامسه (٢)

خذ العدل من كسري ومن حاتم السخا
ومن احنف حلمه ومن عمرو هاجسه (٣)

ذكر فيــه فارس خصلتين من الثنا
وزدت بثلاث واربع ثم خامسة

نسر الضحى يلقى الغـدا حول بيتـه
وذيب العشا يلقى العشا في مداوسه (٤)

---

(١) تفيض : تخرج . كار : منهج خاص في الكرم مناجسه : جمع نجس وهم أهل الشر .

(٢) عبد الله بن معمر جد هذه الأسرة المعروفة الآن ..
وكان أميراً على العيينة وما جاورها . أنيس وحيش فيه الطباق من علوم البديع . لين كفى تخامسه : والمراد حتى اقابله واصافحه .

(٣) كسرى : هو كسرى انو شروان الذي قتل ابنه في العدل . وسخا حاتم . وحلم الاحنف ، ودهاء عمرو بن العاص ، معروف مشهور .

(٤) نسر الضحى . . الخ : في البيت المقابلة .

وهـو مثل شط النيل مهـوب نقعه
إلى غط فيها والغ قيل ناجسه[1]

ولابن لعبون :

أسطى من الضرغام وامضى عزايم
واقطع من الصمصام واكرم من الديم

معطى الجسايم ومهيـوب النسايم
عوق الخصيم وشوق من كنها الريم[2]

٢ ـ الهجـاء :

والمدح والهجاء رضيعا لبان ، أو فرسارهان ، لا ينفك أحدهما ـ غالبا ـ عن الآخر ، في زمن رزق الشاعر فيه من شباة لسانه ، وقوته عصارة ما يوحى به شيطانه ، وقديما قال المتنبى . . . . وعداوة الشعراء بئس المقتنى

وأمامى الآن من هذا الغرض ، قصيدة لابن لعبون يهجو بها أحد أمراء العراق ، في زمنه ويتناول بالهجاء بلاد ذلك الأمير ، يقول منها :

(١) مهوب نقعه : ليس بضحل . إلى غط : إذا لامسها .
(٢) الجسايم : الهبات الجسيمة . عوق الخصيم : هلاك العدو . شوق من كنها الريم : زوج كاعب كأنها الظبي .

العبـــد عبـــد هافيـــات عموقـــه

إن جاع باق عمومته وان شبع مـــاق[1]

والحـــر حـــر ينهضنه سبـــوقه

والبوم يمسى بين الاطلال خفاق[2]

بع بالهجير وصـــال حى تشوقـــه

دار عساها للرزايا بتيفـــاق[3]

دار بهـــا الوالد كثير عقوقـــه

واللي يعقونه مصلين الاشراق[4]

راعى الوفا منهـــم عميله يبـــوقه

وتلقاه حلاف مهين ومـــلاق[5]

---

(١) العبد : القن . هافيات عموقه : ساقط نسبه . باق عمومته : سرق أسياده ماق : طغى وفسق ، وهذا يشبه قول أبي الطيب :

لا تشتر العبد إلا والعصا معه إن العبيد لا نجاس مناكيد

(٢) سبوقه : أطراف أجنحته . البوم : الخفافيش . خفاق : متردد .

(٣) عساها : لعلها . بتيفاق : باتفاق مع الرزايا .

(٤) إلي : الذين . مصلين الاشراق : طائفة الشيعة ، و (أل) في (الوالد) للجنس .

(٥) راعي : صاحب . عميله : معامله . يبوقه : يسرقه ويخونه . تلقاه تجده ملاق : صاحب ملق .

ما بين شقـــاق ورافي شقـــوقه
وشمات مخلوق وعصاي خلاق[١]

يا مال هطال صـــدوق حقـــوقه
مترادف مبناه طاق على طاق[٢]

تفتر عن مثـــل الدحاريج موقه
أربع ليال مدلجات على ساق[٣]

تلقى العذارى حسر في رقـــوقه
اللي لميع خدودهن مثل الاوراق[٤]

---

(١) شقاق : مفسد مخرب . رافي شقوقه : مرقع ثيابه . شمات مخلوق : شامت بالمخلوقين . عصاي : عاص لربه .

(٢) يا مال : لعل هذه الدار لمطر مغرق . مبناه : طباق سحابه . طاق على طاق : طبقة على طبقة .

(٣) تفتر : تتنفس . الدحاريج : الحجارة الململمة الكبيرة . موقه : عيونه التي التي يهمل منها . مدلحات : دائمة الهملان . على ساق : متتابعات .

(٤) تلقى : تجد . حسر : حاسرات . رقوقه : مناطق المياه الضحلة . اللي : اللاتي : لميع خدودهن : بريق وجناتهن . مثل الأوراق : كصحائف . الكاغد .

ويحكي أن دعوة الشاعر استجيبت في هؤلاء فذهبت تلك البلاد في الغابرين إلى يومنا هذا ! !

أَما الشاعر سليمان بن على(*) صاحب الداخلة فله هجاء مر ، على الرغم من سهولة شعره ، وسلاسته ، فما رأَيت في المتأَخرين مجيداً في الهجاء مثله .

قال يهجو بعضهم ويصف أَنفه الأَفطس الضخم :

جـــل الخــــالق يا خشم لــه
لــو هــو يشوفــه ما شاله(١)
فيـــه حنفـــة فيـــه جنفـــة
وفيـــه صدفـــة مـــله ، ما له(٢)
وصــف اعرفـــه بـــا قــــوله
لا شك اسرع مـــا تلـــقى لـــه
كنـــه قـــين حمـــار قاحـــل
لـــه زمـــان في مزبالـــة(٣)

(*) هو سليمان بن على الناصري التميمي من أهل بلدة الداخلة من وادي سدير ، ويعتبر بقية جيل طواه الزمن عنى بالادب الشعبي وقرضه .

فشاعرنا من ذلك الرعيل .. وهو ظريف ، طيب المعشر ، فكه المحضر ، ذو ديانة وصلاح وغير متبذل بأدبه وظرفه ..

ويميل في شعره إلى الاوزان الخفيفة السهلة ، وشعره سهل فكه ... وله في الهجاء لذعات مؤلمة ولمسات قارصة ..

(١) يشوفه : يراه . ما شاله : ما حمله .

(٢) فيه حنفة : ميلان ، ومثلها الجنفة والصدفة .

(٣) قين حمار : حافره ، قاحل : كبير .

فيـــــه خـــروم وامتثــــــلـم
والارضــــــه شبت في جـــاله[١]

كنـــــه كسره صـــاع ناقص
منكسر في يـــــد كيـــاله[٢]

لا تشمت به واحمــــــد اللّـــه
عسى مـــا حـــالك بحـــاله[٣]

ولحميدان الشويعر هجاء لاذع مر ، قال من قصيدة يهجو فيها أَحد الأَمراء في زمنه :

يا حــكايا جـــرت يا عيـــال الحلال
امرهـــا مشتبه والاديب نشره[٤]

من حصان بلود جــذت به يديه
ادبر غـــاربه خـــارب السكره[٥]

---

(١) شبت في جاله : أكلت جانباً منه .
(٢) كنه : كأنه .
(٣) تشمت : بتشديد الميم .
(٤) حكايا : حكايات . عيال الحلال : أولاد الحلال . الاديب : يقصد نفسه ، نشر مضمون هذه القصص بشعره .
(٥) من حصان : متعلق (بجرت) في البيت السابق . بلود : بليد . جذت به يديه : عاقته عن الجري . أدبر غاربه : ذو دبر . خارب السكرة : خارب الجسم .

يا شويخ نشا من طيور العشا
ضاري بالحساسات والقرقره[1]

فارس بالقهاوي وانا خابره
بالخلا تاخذه طيرة الحمره[2]

تاجر فاجر ما يزكى الحلال
لو يجى صايم العشر ما فطره[3]

عاطل باطل فيه من كل عيب
لو تبى منه بول فلا يظهره[4]

---

(١) شويخ : تصغير شيخ تصغير تحقير . طيور العشا : الخفافيش ونحوها . ضارى : معتاد . الحساسات والقرقرة : أصوات منكرة تسمع من طيور الظلام .

(٢) القهاوي : المجالس والمنتديات . وانا خابره : وانا أعلمه . الخلا : البر . تاخذه : ترعبه . طيرة الحمرة : فرة الحمرة ، وهي طائر صغير ذليل .

(٣) الحلال : المال . صايم العشر : هي العشر الاواخر من رمضان ، وهي وقت الانقطاع للعبادة ، والمسابقة لنواحي البر ، أما هذا فلا يستطيع أن يفطر صائماً واحداً (وهي) نهاية البخل والنذالة .

(٤) عاطل : من مكارم الاخلاق . باطل : تكاثر منه الباطل حتى صار هو باطلا . لو تبي : لو تطلب ، وهذا يشابه قول بعضهم :

لم ادر يوماً بان الدخن فاكهة حتى نزلت على دار ابن عمار
قوم إذا نزل الاضياف ساحتهم قالوا لامهم بولي على النار
ولا تبولين كل البول مطلقة بل ارسليه مقداراً بمقدار

يا ضبيب الصفـــا ما تجى إلا قفـــا

ماتجى إلا مع النخش والنخجره[1]

٣ ـ الرثاء :

وهنا حرارة الدموع ، ووقد الضمير ، ولفح النشيج ، تنبعث من شعر مصدره الطبيعة ، ودافعه الوجدان ، ليس للتعمل ولا للصنعة فيه نصيب .

هذ هو نمر بن عدوان (وتروى لابن مسلم) يقدم عصارة قلبه ، وذوب مهجته ، لقد فارق الفه ذات الأَطفال الصغار ، فرجع الحنين ، وأَكثر الأَنين :

لى ونـــة من سمعها ما ينـــاما

كنى صويب بين الاضلاع مطعون[2]

وإلا كمـــا ونـــة كسير السلاما

خـــلوه ربعه للمعادين مديون[3]

---

(١) ضبيب : تصغير ضب . ما تجى الاقفا : ما يخرج من جحره إلا القهقرى ، لان الصفا لا يسمح له بالخروج الطبيعي . ما تجي : ما تخرج . النخش والنخجرة : الوكز والوخز .

(٢) كني : كأني . صويب : جريح .

(٣) كما : كأني . السلاما : عظم الساق . خلوه : تركوه . ربعه : رفقته مديون . مدين .

وإلا فـونة راعبى الحمـــاما

غاد ذكرها والقوانيص يرمـون[1]

تسمع لهـا بين الجرايـد حطامـا

ومن نوحهـا دلى الحمايم ينوحون[2]

عليك يا اللي شرب كاس الحمـاما

صرف بتقدير من الله ماذون[3]

حطوه في قبر هيـاما هـداما

وقامـوا عليه من الترايب يهيلون[4]

يا حفرة يسقى ثراك الغمـــاما

مزن من الرحمة عليها يصبون[5]

---

(١) راعبي ، بفتحة فكسرتين : أنثى الحمام فاقدة الفها . غاد ذكرها : ضال . القوانيص : القناص . يرمون : يقنصون الحمام بالرمي .

(٢) الجرايد : جريد النخل . حطاما : سجع وهديل . من نوحها : من أجل نوحها . دلى : جعل .

(٣) يالي : يا التي . صرف : حال . ماذون : مقدر .

(٤) حطوه : جعلوه . هيام هدام : موحش متهدم . قاموا : جعلوا . الترايب : الترب .

(٥) حفرة : المراد القبر . يصبون : تمطر .

عسى البختري والنفــل والخزامــا
ينبت على قبر هوى فيه مدفون[1]

اخذت انا واياه سبعــة عــواما
مع مثلهن في كيفة ما لها لون[2]

والله كنه يا عرب صرف عــاما
يا عونة الله صرف الايام وش لون[3]

ولقد كان مصلط الرعوجى ، صديقاً صادقاً ، والفا موافقا لشاعر الغزل والنسيب محسن الهزاني ، فاختطفت يد المنون أَولهما ، وطفق الثاني يسامر النجوم ، ويشكو حرارة الفراق ، ويضمن لوعته رباعية تفيض حسرة وعبرة :

---

(١) البختري ، والنفل ، والخزامى ، كلها من نبت مرابع الجزيرة ورياضها.، وكلها طيب الرائحة . هوى : نزل .

(٢) عواما : أعوام . كيفة : لذة . مالها لون : ما يعادلها لذة .

(٣) يا عرب : جملة معترضة . صرف : قدر . ياعونة الله : يا معونة الله وهو استعمال جميل حلو النغمة والجرس . صرف الأيام وشلون : تعجب من سرعة مرور الأيام وكيف أن تلك اللذة مضت كالحلم .

يالبيض كبن الحـــلى والعشارق
وابكن اخـو نوضا مروي المطارق[1]
خيالهـا وان جللوهـا المعـارق
ولحـق الوسيق ورد الاول على التال
وان زرفل المظهور وارخـو لعنـة
والجيش هربد والرمك يشعفنـه
واهـوى على ركن من الخيـل كنه
(جلمود صخر حطه السيل من عال)[2]
وان زرفل المظهور واقفوا مع الريع
ولحقن باهلهن عالجات المصاريع

(١) البيض : النساء . كبن : اتركن . العشارق : نوع من الحلية . اخو نوضا : اخا نوضا ، ومن عادتهم أن يضيفوا الرجل إلى اخته ، أو إلى ناقته ، أو فرسه ، أو بلاده ، إذا كان ينتدب بشيء من ذلك فيقال – مثلا – اخو نوضا ، راعي البلها ، راعي الحرداء ، راعي العوجاء .. وهكذا . مروي المطارق : مروي الرماح من دماء الاعداء . خيالها : فارسها ، والمراد الخيل وكثيراً ما يعيدون الضمير عليها ولو لم تذكر لتبادر الذهن إليها . جللوها المعارق : وضعوا عليها السروج . الوسيق : ما يأخذه العدو من مال المغار عليهم .

(٢) زرفل : أسرع . المظهور : الابل تحمل الهوادج والامتعة . لعنة : الشكائم . الجيش : الابل . هربد : امعن في العدو . الرمك : الخيل . يشعفنه : يذعرنه . ركن : طائفة . وعجز البيت مضمن وهو لامرىء القيس .

ومن الغير مالت وجيه المداريـــع

فلا بوجهه يعــلم الله ميال[1]

مرحوم ياما قـــد حمى من مرنة

واركى سنـــان الرمـــح بقطيهنه

ياليت غضـــات الصبــــا ما بكنـــه

ولا عليـــه الترب يامسندي هـــال[2]

مرحوم يا مروي حـــدود الهـــواري

يا من بوجهه للمروة مـــواري

يمينه اكرم من هبـــوب الذواري

واثقل من الراسى على حـــد الاجهال[3]

---

(١) اقفوا مع الريع : أدبروا مع الثنية في الجبل . عالحات المصاريع : لاثكات الشكائم والمراد الخيل . الغير : الذعر . وجيه المداريع : وجوه لابسي الدروع . فليس وجهه بمائل حينئذ .

(٢) مرحوم : يامرحوم تفاؤل بالرحمة له . مرنة : ملمومة من قطعان الماشية لصوتها رنين . أركي : اتكأ بقطيهن : جمع قطاة وهي مؤخرة ظهر الفرس . غضات الصبا : الكواعب . بكنه : بكينه . يا مسندي : يامشكاي . هال : أهيل .

(٣) الهواري : السيوف . للمروة : للمروءة . مواري : علامات . هبوب الذواري : الرياح الذاريات . الراسي : الجبل الراسي . على حد الاجهال : في وقت بلوغ السيل الزبى والحزام الطبيين .

حللت ياما ضيف ليـــل قريتـــه
وكم عـــود زان في الملاقا سقيته
وكم ابلج خلف السبايا رميتـــه ..
عليـــه شقن العماهيج الاطوال[1]

أما أبو نهية فكان من سراة الدرعية وأعلامها في عهدها الزاهر إبان كانت هى العاصمة لدولة آل سعود الأولى . ولكن القدر شاء أن يراها هذا الشاعر اطلالا متهدمة وخرائب قد التهمتها النيران وأصبحت أثراً بعد عين بنكبة الأتراك لها .. فارسلها عبرة دامية ، ودمعة محرقة :

سهرت وكل العـــالمـين هجيـــــع
يتغريد ورق بالغصون سجيع[2]
من الشوق لى قال الغنـــا هز راسه
ومن الولع يشتاق كل وليـــع[3]

(١) حللت : انت بحل مما أتيت . لفعالك الحميدة . عود زان : عود رمح . الملاقي : في اللقاء . أبلج : شجاع أغر الجبين . السبايا : اسم لجماعة الخيل . شقن : شققن . العماهيج : النساء الطويلات المائلات في مشيهن . الاطوال : جمع طول وهي الاكسية الملفوفة ، وكان من عادة المرأة في البادية أن تمزق كساءها حزنا على الميت .

(٢) هجيع : هاجعون . ورق : جمع ورقاء . سجيع : ساجع – مغرد – .

(٣) لى قال الغناء : إذا رجع الغناء . الولع : وزان (وله) وزنا ومعنى . وليع : موله .

حــرمنى لذيــذ النـــــوم بتغريد صوته

واجبتـــه بدمــع بالعيون هميع[(١)]

وناديتهن يالورق بسلك مــن الغنـــــا

عساك تبكى يا حمـــام فجيــع[(٢)]

تبكى وليف لك وتلقى ســـــواته

منتـــاب سواتي ياحمــــام مريع[(٣)]

ابكى على عــوجا ربينا بربعهــا

صغار كبـــار نشتري ونبيع[(٤)]

ما كن صــــار فيها للحكم منصــــا

ولا قصر من يم الطريف رفيع[(٥)]

ولا شدت الركبان منها لغيرها

ولا بـركت فيها الطروش قطيع[(٦)]

---

(١) هميع : منحدر .

(٢) بسلك : حسبك . عساك : لعلك . فجيع : مفجوع .

(٣) وليف : الف .تلقى سواته : تجد مثله. منتاب سواتي : لست مثلي . مريع : مروع .

(٤) عوجا : اسم الدرعية . ربينا : نشأنا. صغار وكبار..الخ : أحوال من فاعل ربي .

(٥) ما كن : ما كأن . للحكم منصا : للملك مقصد . الطريف : الحي الذى يسكنه آل سعود وذووهم وهو في قمة جبل هنالك بمثابة قلعة .

(٦) شدت الركبان : رحل المسافرون . بركت : اناخت . الطروش : السفر . قطيع : قطعان .

ولا كن مشى باسواقهـــا خرد المهـــا
من كل عذرا كالغزال تليع[١]

دار الى جـــاهـا الغريب يوالف
جنـــابهـــا للممحلين ربيـــــع[٢]

لو الجدا يا دار خـــــذلان مرة
صبرت مير الشق فيك وسيع[٣]

ياما سفكنا فيك من ساخن الدما
وياما وطينا بالمداس صريـــع[٤]

وياما انجلا عن روسنا فيك غبوة
لكنها غيم السحـــاب نقيـــيع[٥]

قعـــدت اسايلهـــا ودمعي ودمعهـــــا
على الخد يجري والفؤاد يميـــع[٦]

---

(١) خرد المها : النساء الجميلات . تليع : طويل العنق جميلة .

(٢) إلى جاها : إلى اتاها . يوالف : يألفها . جنابها : ربعها . للممحلين : للمجدبين

(٣) الجدا : الشأن والأمر . مير الشق : لكن الفتق . وسيع : واسع .

(٤) ياما : كم مرة . المداس : المجال في الحروب .

(٥) غبوة : قتر وعثير . لكنها : لكأنها . نقيع : ناقع .

(٦) اسايلها : أسائلها . يميع : يذوب .

فان طابت الأَيام والقـــدر سابق
فسيور ما ناوي اليك رجيـــع[1]

وان حالت الاقـــدار بينى وبينك
فاودعتك المولى خيـــار وديـــع

٤ ـ الفخر والحماسة :

لم يزل الشعراء منذ العصور القديمة ، يتراشقون بالهجاء ، ويتبادلون النقائض ، وليس بدعا أَن نري شاعرين ، نبطيين ، يسلكان هذه الجادة ، فيعمد الشاعر ابن ربيعة ، لينال من عرض الشاعر ابن لعبون ، فيجيبه الأَخير بقصيدة منها هذا الفخر :

حنـــا هـــل الوادي وحنـــا المناعير
وحنـــا ودينا جارنا من جـــداره[2]

خطلان الايدي كالاسود الهزابـــير
مقابس للحرب وان شب ناره[3]

(١) سيور : لابد . ناوى : نأوي . رجيع : رجوع .
(٢) حنا : نحن . الوادي : لعله وادي سدير فان لعبون سديري. المناعير : الشجعان. ودينا : من الدية. من جدارة : بسبب جداره حينما سقط عليه عز عليهم ذلك فساقوا ديته .
(٣) خطلان الايدي : طوالها وهي صفة محمودة في الرجال . الهزابير : جمع هزبر . مقابس للحرب : مشعلين لها .

منداتهم يشبع بها السبع والطير

بيــوم تغبت شمسها في نهــاره[1]

حريبهم لو كان دونه نواطــير

لا بــد ما يفجع صباح بغــاره[2]

خــذ ماتراه وخــل عنك الخماكير

من شق جيب الناس شقوا وزاره[3]

أَما محسن الهزاني ، فيرجع بقومه بنى هزان ، إلى وائل ، فمن دونه ، فخراً ، وحسباً ، ونسباً ، فيقول :

ديرة شيوخ من عرانين وايــل

لهــا بالقنا يوم الملاقا وقايع[4]

كم واحــد تخشى الخماسين باسه

جعلناه قوتا للنسور الهــلايع[5]

---

(١) منداتهم : نداوة ــ مكان معركتهم . تغبت : احتجبت . والمراد يوم الكريهة

(٢) حريبهم : محاربهم . نواطير : حراس . صباح : صباحاً .

(٣) الخماكير : الترهات والتوافه . جيب الناس : جيوبهم . وزاره : إزاره .

(٤) ديرة : بلدة . شيوخ : أمراء . عرانين : جمع عرنين . وهي الأنوف . وائل : هو وائل المنحدر من ربيعة وأبو القبائل الكثيرة المتفرعة من ولديه بكر وتغلب . القنا : الرمح . الملاقا : الوغى . وقايع : جمع وقعة والمراد هنا شدة بأسهم في الحروب

(٥) كم واحد : كم شخص . الخماسين : فخذ من قبيلة الدواسر ويجوز أن المراد به الجيوش . الجياع :

باموالنــا نشري من الحمــد ماغلا
وبارواحنــا يــوم التلاقي نبايــع[١]

وبالمن ما نتبــع عطانا ولا بعــد
على الغيظ قلنا ذابه البر ضايع[٢]

ويفخر سعود بن مانع التميمى الذي سطا على فئة من عشيرته نابذته وناصبته العداء في قارة سدير فاستأصلهم ونزح واتخذ حوطة وادي بريك وطنا له .. فيقول :

دع الهــون للهزلى ضعاف المطامع
وشم للعلى بالمرهفــات اللوامــع[٣]

وصادم مهمات المعــالى فربمــا
تنال العلى فالعــز للذل قامــع

---

(١) بارواحنا : متعلق بـ (نبايع) الآتي ومعني نبايع نبذل .

(٢) بالمن متعلقْ بـ (نتبع) . عطانا : عطاءنا هباتنا . على الغيظ : لا نقول لاحد ولو غضبنا عليه أن البر بهذا ضائع ، وفي البيت إشارة إلى الآية الكريمة : (الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) .

(٣) الهزلى : الضعاف الزمنين . شم : اطمح . المزهفات اللوامع : السيوف .

ويمضى :

قلته ولى نفس عن الظلم نزهـــة

طموح لهمات الرجال النـــواجع[(١)]

يانفس دوسى كل خطر مهـــول

وقاسى عظيمات الامور الفنايع[(٢)]

لا تتقى الاخطار يانفس واشدهي

ما زاد باعمار الحريم التقانـــع[(٣)]

* * *

سطيت بصبحـــا بعـــد ماناموا المـــلا

بشبان أَمضى من ليـــوث الشرايع[(٤)]

سطيت بهـــا وانا بهـــا غير مرخص

اذا الغير في رخص للاوطان بايع[(٥)]

---

(١) قلته : الضمير يرجع إلى هذا الشعر . ولى نفس : الواو للحال . نزهة : نقية . النواجع : بعيدة المرمى .

(٢) دوسى : أركبي . مهول : وزان معول . والمراد كبير . الفنايع : الفضائع .

(٣) اشرهي : طالبي بما هو أكبر . التقانع : لبس القناع .

(٤) صبحا : هي القارة . بشبان : مع شبان .

(٥) وأنا : الواو للحال . في رخص : برخض : وللأوطان : متعلق ببايع .

عشرين مع عشرين عـــداد سطوتي

على الالف او ظنى عن الالف طالع (١)

كثرت فيهـــا ليعة الحزن واصبحت

على الخد شبان وشيب صرايـــع (٢)

على مايزين الوجـــه من واضح النقا

اذا رامها غيري بشين الخدايع (٣)

بسيوف هند صارمات حــــدودها

تبوج من رود الدروع المنايـــع (٤)

بعزم صبور جـــازم غير واهى

ولا ناب لاقوال الرديين سامـــع (٥)

اشرف على العليـــا بعزم يقـــوده

وفتكى باوداج المعـــادين باضع (٦)

---

(١) عداد سطوتي : عدد هجماته . على الالف : على الف مقاتل أو يزيدون . طالع : زائد .

(٢) ليعة : فجيعة . على الخد : على الأرض وهو متعلق بصرايع والمعنى صرعاء .

(٣) واضح النقا : نقاء العرض والازار . الخدايع : الخدع .

(٤) تبوج : تفرى . ورد : محكم . المنايع : المنيعة .

(٥) ولا ناب : ولست . الرديين : المقرفين .

(٦) اشرف : أسمو . باضع : بالغ .

مضينا الى الداعى ملبين كلنـــا
كما أَشبال ضرمات الاسود البواسع[1]

رحلنا من الوادي سريع على النقــا
نحث النضا من نازح البعد شاسع[2]

ضربنا ببيض الهندهامات ضـــدنا
ونزلنا بلاد العزملقى المجامع[3]

ولينـــا وعفينـــا وحـــق لمثلنـــا
إذا سعى ساع بالاحسان شافـــع[4]

نعفـــوا ونحن في مراعى الاهنـــا
الى عاد ماندرى من الناس وازع[5]

---

(١) الداعي : داعي الحرب . كما اشبال : كأشبال . ضرمات : ضواري . البواسع : السواغب .

(٢) الوادي : وادي سدير . على النقا : بلاعيب اقترفناه .

(٣) ضدنا : عدانا . ملقي المجامع : وادي بريك حيث تلتقى الاودية هنالك .

(٤) عفينا : عفونا ، وهذا البيت يشابه قول الشاعر العربي :

ملكنا فكان العفـــو منا سجية   فلما ملكتم سال بالدم أبطح
وحسبكم هذا التفاوت بيننـــا   وكل إناء بالذي فيه ينضح

(٥) في مراعي الا هنا : في خشيته . الى عاد : مادام . ندرى : نخشي . وازع : سلطة .

وسكنى بهـــا سكنة قريش حجونهـــا
غصب على من كان للمال جامع [1]

أما النجيدي فيقول :

قطعانا ترعى بهـــا سر وجهـــار
ومن دونها نروي الغلب والرهيفة [2]

وقطعانا ما ترتعى دمنــــة الـــدار
ترعى صحاصيح الفياض النظيفة [3]

ما هى سوالف مسعر عقب ما نـــار
اللي نكس وأطراف رمحه نظيفة [4]

---

(١) سكنة : سكنى . حجونها : يقصد مكة ، يشير إلى قصة سكنى قريش لمكة واجلاء جرهم منها . واتيانه بلفظ الحجون فيه إشارة إلى القصيدةالتى قالها شاعر جرهم بهذه المناسبة ومنها :

كألم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر
فقلت لها والقلب مني كأنما يلجلجه بين الجناحين طائر
بلى قبل كنا أهلها فأبادنا صروف الليالي والجدود العوائر

(٢) قطعانا : جمع قطيع وهو الهجمة من الابل أو الفرقة من الغنم . الغلب والرهيفة. الرماح والسيوف .

(٣) دمنة الدار : ما ينبت في الاعطان من ردىء النبات . صحاصيح الفياض : نقي الرياض .

(٤) سوالف : اساطير . مسعر : يعرض برجل هذا اسمه . نار : شرد . اللي نكس : الذى نكص. اطراف رمحه نظيفة : كناية عن جبنه وان سلاحه لم يلطخ بدم العدو

والجـار لا بده مقفى عن الجــار
وكل تذكر ما جري من وليفــه[1]

زود على هــذا لك الله لنــا كار
عن جارنا ماقط نخفى الطريفــة[2]

نرفا خماله رفيــة العش بالغـار
ونجعل له النفس القوية ضعيفة[3]

٥ ـ الحكمة :

وتحتل الحكمة في الشعر النبطى ، مكاناً رحباً ، قل أن تجد شاعراً إلا ويضمن قصائده أَو كثيراً من قصائده ، طائفة من الحكم الرائعة ، والتجارب الصائبة ، حتى لنأَخذك الدهشة ، لابن الوبر ، وحليف السرى والسفر ، تفتر تجاربه عن هذه الحكم ، وهو لم يقرأ كتاب ، ولم يكتب بقلم !! إقرأ الأَبيات الآتية لمبارك بن مويم :

---

(١) لا بده : لا بد أنه . مقفي : مفارق . وليفه : الفه .

(٢) زود على هذا : زيادة عليه . لك الله : جملة معترضة دعائية وفيها معني التعجب . كار : تقليد وعادة . الطريفة : الشيء الطريف العزيز .. الخ .

(٣) نرفا : نرفوا . خما له : عيبه ، نستره كما يستّر الطائر عشه في الكهف .

سود الليـالى ما دري عن بطونهـا
يمسن أناثي ويصبحن ذكور[1]

* * *

حيـذور تأخذ بنت قن مهرج
يجيك من عش الخبيث نسور[2]

فلا ثعـل جاب اقطم صيده المهـا
ولا قنى من عش الحمام صقور[3]

ولا تاتي العيلات من باب قـوة
والاظلام لا تكشف لهن جحور[4]

ولا توري العدوان غاية حذايقك
فغايات حـذاق الرجـال بحور[5]

---

(١) بطونها : مخبآتها . والمراد بيمسن اناثى ويصبحن ذكور : تشكلها بالحوادث وتقبلها من شأن إلى شأن .

(٢) حيذور : حذارى . تاخذ : تتزوج . قن : هو هنا البخيل . مهرج : كثير الكلام : يجيك : يأتيك . عش الخبيث : وكره . نسور : جمع نسر وهو طائر خبيث من الجوارح. والمراد ان ابناءك سوف يكونون من نوع بيتهم فلا يأتيك من واد الا سيله .

(٣) الثعل : هو الثعلب . جاب اقطم صيده المها : لم يلد الثعلب وهو الذى يعيش على الختل والحيل اقطم يصطاد بقر الوحش ابدا . قني : اقتني . عش الحمام : وكره .

(٤) العيلات : التعدى على الغير . من باب قوة : لانك قوى . الاظلام : كناية عن المخبآت . جحور : جمع جحر .

(٥) تورى : ترى العدوان : العدى . حذايقك : كياستك ومعرفتك . فان غيات الاكياس بحور لا يدرك لها قعر .

ولمحمد بن عبد الله القاضي ، قصيدة كاملة كلها حكم ، ووصايا ، وتجارب نجتزيء منها بما يلي :

ولا يفتخر من جاد جده وخاله
(هي بالهمم لا بالرمم) مثل ما قال[1]

الجمر يمسى كالخلاص اشتعاله
ويصبح رماد خامد طافي بال[2]

* * *

كم خير ما نال فيها سواله
وكم ثور هور ساعفت له بالاقبال[3]

وكم عاقل به حاذق راس ماله
عقله وكم بهلول عقله جمع مال[4]

---

(١) جاد : نبغ وكمل . هي بالهمم : الضمير يعود على غير مذكور والمراد المكارم والمعالي . مثل ما قال : أى في المثل السابق (هي بالهمم لا بالرمم) .

(٢) الخلاص : الحديد المحمى حتى يحمر . خامد : خابيء . طافي : منطفيء . بال : بالي .

(٣) خير : كريم . فيها : أى الدنيا . ثور هور : ثور حظيرة . ساعفت له : وافقت وانقادت .

(٤) به : بها . بهلول . بهلوان .

السبع رزقــه من جيفهــا ختاله

وجند ضعيف مرغد رزقه اشكال(١)

وللعزي :

لا تـأمن الدنيــا ولا ترتهى به

تقبل وتعطى عند الاقفاي عرقاب(٢)

إن أدبـرت قصت محوص قطيبه

وإن أقبلت فادنى شريط لها جاب(٣)

ولراشد الخلاوي :

من لا يحصل باول العمر طــوله

فهو عاجز عنها إذا صار شايب(٤)

ومن خاب في أول صباه من الثنــا

فهو لازم في تالى العمر خايب(٥)

---

(١) جيفها : جمع جيفة . ختاله : مخاتلة . جند : شيء كثير . مرغد : في رغد من العيش . رزقه اشكال : متنوع لكثرته وطيبه .

(٢) ولا ترتهي به : ولا تغتر بها . الاقفاي : الادبار . عرقاب : رفس بمؤخرة العرقوب مأخوذ من رفس الدابة إذا ضربت بمؤخر رجلها .

(٣) قصت : قطعت . محوص قطيبة : حبال قوية . شريط : حبل دقيق ضعيف .

(٤) طولة : مجد أو سمعة حسنة .

(٥) فهو لازم : فلا بد انه في آخر عمره مفلس .

ولحميدان الشويعر :

ترى ياولدي من ثمن الخوف ماسطى
والانجاس ماخلوا سبيلك طوع [1]

فلا يلزم القالات من لا يشيلها
ولا تحمل أرقاب الحريم دروع[2]

وترى المقابر نصفها من حريمها
لو كان في وسط البيوت منوع [3]

وله أيضاً :

اتبع ما قال الوهابي
وغيره لياك تقربها[4]

الدنيا روضة نوار
سيور الريح تطير بها[5]

---

(١) ترى ياولدى : انه يا ولدى . ثمن : قدر . الانجاس : الاشرار . ما خلوا : ما تركوا . طوع : طائعين .

(٢) يلزم القالات : يكون كفئا لها . يشيلها : يحملها . الحريم : النساء .

(٣) منوع : مناعة ولكن البيوت لا تنجي من القدر ولو كانت تنجي لما كان نصف من في القبور النساء .

(٤) الوهابي : هو المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله . لياك : احذر .

(٥) روضة نوار : روضة مزهرة معشبة . سيور : لابد .

وله أَيضاً :

الأَرنب ترقــــد ما تـــوذي
ولا شفت النـــاس تخليهــا[1]

والسبــع المــــوذي ما يرقـــد
ما يوطــــا بأَرض هـــو فيهـا

وله أَيضاً :

لا تطلب صـــلح من جاهــل
لين الحــرب تشــور تفقـــه[2]

ويرش قبــــور برجـــــال
ونعـــايه واشـــين حـــرقه[3]

ثم أَعــــذل فيهـــم يا عـــاذل
تخلي لك الأَرقـــاب صـــدقه[4]

وللمهادي :

ترى الدار كالعذرى إلى عاد مابها
حر غيور كل من جانا بهـا[5]

---

(١) توذى : تؤذي . شفت : رأيت . تخليها : تتركها .

(٢) لين : حتّى . تفقه : بندقيته .

(٣) نعاية : بكاء .

(٤) تخلى : تترك . صدقة هدرا .

(٥) ترى الدار : ان البلاد . الى عاد ما بها : إذا صار ما بها .

وللجليف من قصيدة طويلة يمدح فيها مقرن بن قضيب من آل غرير بنى خالد . قال منها :

واعرف بأَن الطيـر سعده ريشه
وان قص ماله حيـلة يحتالها[1]

وإن قصت اليمنى الشمال تحسفت
وتندمت يمنى تقص شمالهـا[2]

فان الممالك ما تجيك براحة
إلا بشر تاعب محتـالهـا[3]

ما تركد الاعقب ضرب جماجـم
بالسيف وايمـان هفت لوصالها[4]

وقطايـع ووقايـع وقـلايـع
وصرايـع وفضـايـع تعبى لهـا[5]

(١) اعرف : اعلم . يحتالها : يجريها .

(٢) تحسفت : تندمت .

(٣) ما تجيك براحة : لا تنقاد بسهولة . محتالها : مبتغيها .

(٤) ما تركد : ما تهدأ . الاعقب : الابعد . ايمان : جمع يمين . هفت لوصالها : طربت لها .

(٥) قطايع ووقايع .. الخ : احوال خطرة ومراكب وعرة ومشاق ومتاعب دونها خرط القتاد .

وصـــدايم وصـــرايم وعظـــايم

وهضايم وحرايم تبـــري لهـــا

فالى بليت وعـــدت يوم خـــايف

من ميلة الدولات عقب عدالها(١)

فاجعـــل معـــا حرف الشريعة مثله

حرف من الباطل يصير أزكى لها(٢)

فالحق في كتب النبى محمـــــد

والسيف عن عيـــلاتهـــا يبرى لها(٣)

٦ ـ الأمثال :

والأمثال والحكم صنوان ، وللمثل في اللغة العامية مكانة ممتازة . فكما تسمعه من شتى طبقات الرجال ، فكذلك تسمعه ولو من الكاعب في بيتها والخفرة في خدرها ، وقد التقط الشعر النبطى من ذلك ما سمحت به العامية ، ووافق الوزن ، ويلاحظ اننا نجعل المثل العامى بين قوسين في البيت أو الأبيات .. يقول ابن سبيل :

(١) فالى : فاذا بليت . عقب عدالها : بعد اعتدالها .

(٢) معا حرف الشريعة : مع حكم الشريعة . يصير ازكى لها : يكون أتم لها : والضمير يعود إلى الدولات ... وفي هذا تجاوز الشعراء وتحاملهم الخاطىء .

(٣) عن عيلاتها : عن جنفها وميلانها . يبرى لها : يصاحبها .

يا ناس (خلو كل وادي ومجـــراه)
قلتوا كثير وقولكم ما لقيته[1]

وقول الاخر

قم يا رعاك الله قرب سبــوقـــه
ثم ارفعــه عن دار (غاقة وغرناق) [2]

وله أيضاً :

وصرت بوحشة من ريم رامـــا
ومن فرقاه (مثل الخاز باز) [3]

وله أيضاً :

اضحى الوفي عقبه(مواعيد عرقوب)
حاشاه هو مدي حقوق المواجيب[4]

ولابن ربيعة مع شيء من التحوير في المثل :

---

(١) خلوا : اتركوا . كل وادي ومجراه : كل على شاكلته .

(٢) قرب : ادن . سبوقة : ناقة سابق . ارفعه : انأبها ، والمراد النفس . (غاقة وغرناق) كما يقال : هي ابن بي ، وفلان وعلان . والمثل يضرب في مجانبة غوغاء الناس وسوقتهم .

(٣) الريم نوع من الظباء لونه أبيض بخلاف الادمى فلونه أحمر وراما موضع مشهور بالظباء . (الخازباز) : الذباب في طنينه والمثل يضرب في الحيرة والارتباك .

(٤) عقبه : بعده . مواعيد عرقوب : مثل عربي مشهور في قصة الانصاري مع أخيه . مدي : مؤدي المواجيب : الواجبات .

(تري ذهاب النمل سعيه بتطيير)
خذ راسها يا الى تنعزت قاره[1]

ولابن لعبون :

(كم أَدخل الحبس من مظلوم)
(وما جاك من وادي سيله)[2]

وله أَيضا :

والصدق يبقى والتصنع جهـــالة
(والقد مالانت مطـاويه بتفال)[3]

ولحميدان الشويعر :

خلي (مقضاة ابن درمـــة)
دمـــه مختلط بعـــرقه[4]

(١) ترى : اعرف أن . سعيه بتطيير : إذا نبت ريشه وهم بالطير ان فقد دنا حتفه. ياللي : يا الذي . تنعزت : التجأت . قارة : هضبة .

(٢) الحبس : السجن . ما جاك : ما جاءك . وما هنا مبتدأ . وسيله فاعل جاء وقبله (الا) محذوفه .

(٣) مطاويه بتفال : بصاق ، وهو يضرب في الاخذ للامر عدته .

(٤) خلي : ترك . (مقضاة ابن درمة) مقضاة : تأثر .

ولجبر بن سيار :

(كم مطمع منه السلامة مكسب)

وكم مكسب منه الغنيمة تنجلى[1]

ولجبارة الصفار :

(لو أدري بيوم الرشد عقلت ناقتى)

وسايلت عن خبث الليالى وطيبها[2]

ولسليمان بن على :

(تري المربوط اخو المطلق)

(ما في الفار الطاهر كله)[3]

---

(١) يقول كم طمع يوقعك في مشكل تكون السلامة منه مكسبا كما أن هناك مكاسب الغنيمة ولا شك فيها .

(٢) لو ادري بيوم الرشد : أي لو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء . سايلت : سألت .

(٣) ترى : إن ، ولهذا المثل قصة شعبية مضحكة ، وذلك ان هناك رجلا يدعى ابن غيثار ، له حماران ، يعمل عليهما وقت العمل ، ويربطهما إذا انتهي عمله ... وذات يوم انفلت احدهما من الرباط ، فنفش في الحرث ، وأكل ما أكل ،وأفسد ما أفسد .. أما الآخر فكان موثقا ، وليس له حيلة إلا الشهيق ، والنهيق ، فجاء ابن غيثار وحماراه على هذا الحال ، فاوجع الحمار المربوط ضربا ، وترك المفلت الذي قطع الرباط ، وأفسد الحرث !! فقيل له ان المنفلت أولى بالضرب من المربوط ، فقال : ان المربوط أخو المطلق : فذهبت مثلا شعبياً ! !

ولمحمد بن عبد الله القاضى :

ولا يفتخر من جاد جده وخـــاله
(هى بالهمم لا بالرمم) مثل ما قال[1]

وللبديوي الوقداني من رباعية طويلة :

كم كلام راح من أَجله نفوس
وانت ما تـأَخذ على نقـــله فـــلوس

لا تفتش (كل حب فيه سوس)
كم تخوض الناس في (قال وقيل)[2]

ولابن جعيثن :

فلا ييأَس العاقل والايـــام تنقضى
(ولابد صياد الفهود يصاد)[3]

---

(١) سبق ان شرحنا مفردات هذا البيت قريبا .

(٢) راح : ذهب . قال وقيل : أصل هذا قطعة من حديث (.. وكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة المال) ثم أصبح مثلا في ألسنة الناس . والمراد به الكلام العائم الذى لا طائل تحته .

(٣) الواو في الايام : واو الحال . ولا بد صياد : ولا بد ان صياد .. الخ . الفهود : جمع فهد وهو من الوحوش الكاسرة .

ويقول العوني :

(حاشا ولي العرش يخلف عـوايده
يركب على سرج الحصان حمار)[1]

ولحميدان الشويعر :

والذي يرتجى الفضل عند اللئام
مثل (مستفزع صاح في مقـبرة)[2]

وله أيضاً :

لولا رجـاله راح مـاله صلحة
ودقوه دق (مثل دق ام الجرا)[3]

ولابن جعيثن :

ما يفك من الهوي كثر السكات
(كل طير بالمودة له لعيب)[4]

---

(١) حاشا ولي العرش : ان ولي العرش والمراد الله تعالى . عوايده : عوائده : عاداته . فيركب .. الخ والمعنى لا يغير سنن كونه .

(٢) مستفزع : مستصرخ . وأهل المقابر لا ينجدون المستصرخ .

(٣) لولا رجاله : لولا طائفته وعشيرته . راح ماله صلحه : ذهب ماله هدراً . دقوه : ضربوه . دقا : مصدر مبين للنوع . ام الجرا : الذئبة الخبيثة يمنعها حب جراها من الفرار فيلتئم عليها الناس ويوسعونها ضربا .

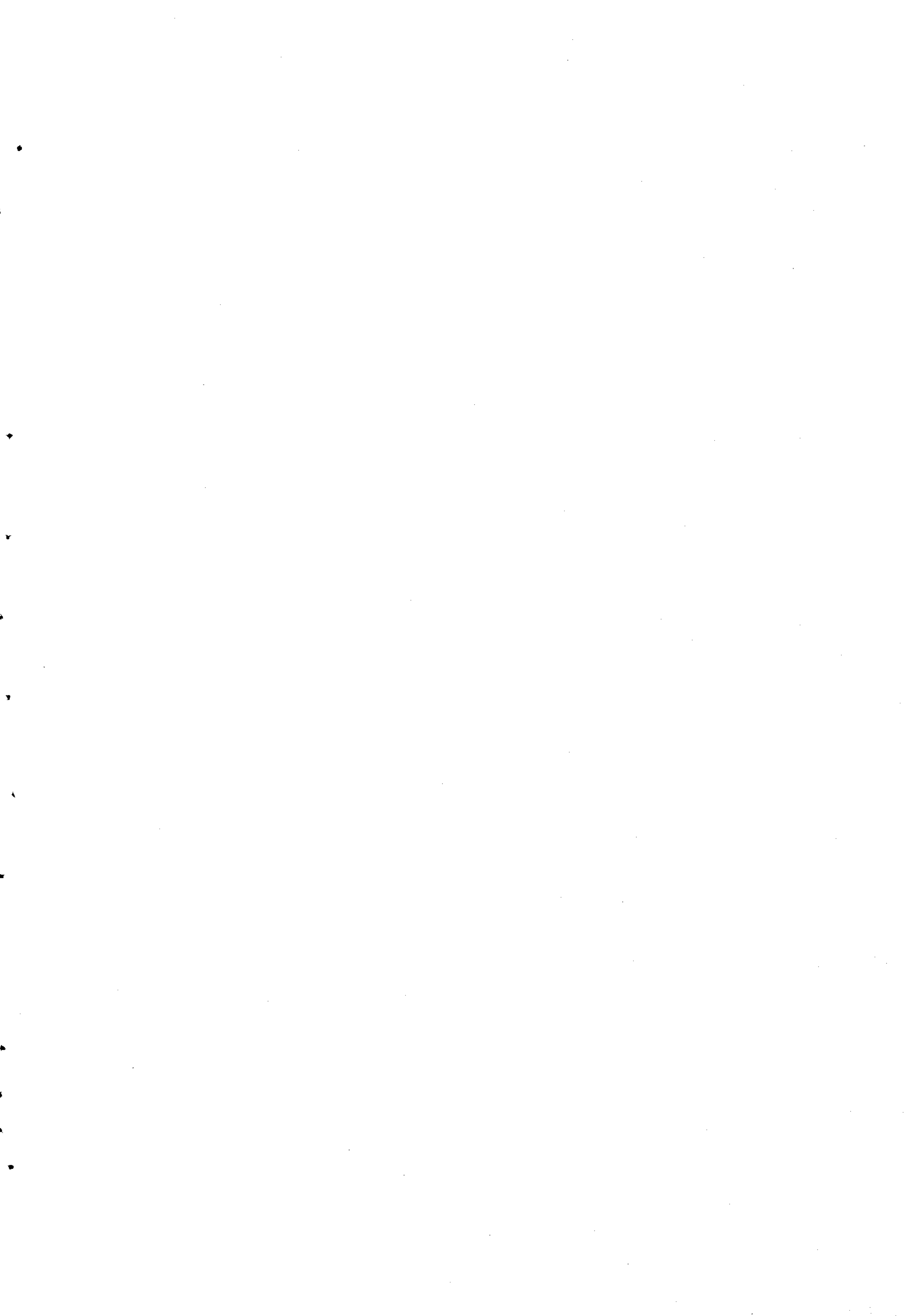
(٤) ما يفك : ما ينجي . كثر السكات : كثرة السكوت . بالمودة : في المودة . له لعيب : له مشاكل ومجانس .

ولمحمد بن صالح القاضى :

يا قلب هـود يا قليـل الرحامى
(برق عدتك نواه لا تستخيله)[1]

وهكذا نجد أن كل من أغراض الشعر العربي قد وجد مكانه في الشعر النبطى بصورة رحبة فسيحة ولولا خشية الإطالة لأَوردنا كل ما تناوله الشعر النبطى من غرض تناوله العربي من قريب أَو بعيد أَو كثير أَو قليل ولأَفسحنا المجال في الأَغراض التى تناولناها بايراد نماذج اكثر وصور أَوسع ، ولكن حسبنا أَن نشير وحسب القاريء أن يتذوق ويتنقل .

(١) هود : ارفق . قليل الرحامي : قليل الرحمة . نواه : نوْه . لا تستخيله : لا تشيمه .



٢ - تصوير البيئة في شعر النبط

يذهب كثير من أَئمة الأَدب العربي ، ومنهم الدكتور طه حسين ، إلى أَن ما نستطيع أَن نقف عليه من أَحوال المجتمعات ، ودراسة البيئات ، وفهم أَحوال الأَمم ، عن طريق الأَدب الشعبى ، أَكثر فائدة ، وأَعظم شمولا واحاطة ، مما يمدنا به الأَدب العربي ، سيما في مثل زماننا هذا ، أَو ما قبله بقليل ، حيث داخل الفصحى ما داخلها من تغيير وتبديل ، وقلت العناية بها أَصلا ، لظروف سبق أَن شرحناها في كتابنا هذا[1] وهى لا تنأَى عن إدراك القاريء وفهمه... ولأَن الأَدب الشعبى ، ينبع من صميم المجتمع ويستمد حياته من البيئة العامية ، فلا غرابة أَن يمثلها أَصدق تمثيل ، ويجلوها للمتتبع في بساطة واحاطة . بخلاف الأَدب الفصيح ، فهو يسمو – غالبا – لا سيما في شرقنا العربي – عن الطبقة الشعبية العامة ، في نطقه ، ومحيطه ، وربما غرضه ..

ولولا ما يؤديه التمثيل ، وقلة من الصحف ، والكتاب ، وبعض برامج الاذاعات ، لأَصبح أَدبنا في ناحية ، ونحن في

(١) أنظر صفحة ٤٨ من هذا الكتاب .

ناحية أَخرى ، وعلى هذا فهل يصح أَن يسمى ذلك الأَدب الساكن في المريخ ، أَدباً لأَمة تسكن الأَرض إلا على رأَي من ذهب يزعم أَن ، الفن للفن ، وهى النظرية ، الأَدبية ، الشاذة ، فذلك لا بحث لنا معه ، وإِنما نحيله على ما أَزهق به هذه النظرية ، أَئمة الأَدب ، وقادة الفكر ، من رجال الشرق والغرب .

وإذا كان الأَدب العربي المصري منذ فجر النهضة العربية ، الأَخيرة ، إلى يومنا هذا ، يعتبر هو زعيم الآداب العربية ، غير مدافع ، فهل يتسنى لنا أَن ندرك من خلاله حقيقة المجتمع المصري ، أَو بعض حقيقته ، بقدر ما يعطى الأَدب ـ بجميع فنونه ـ فكرة عن أَمة ؟ !

أَعتقد أَنه ليس في المستطاع ذلك ، بل لو أَن الأَديب المصري عنى بالأَدب الشعبى ، ودونه ، وغذاه ، لأَمكن ادراك هذه الحقيقة .

وإذاً فأَدبنا ـ إن صح ان لنا أَدباً مستقلا يعتد به ـ من باب أَولى ، في عدم تصوير مجتمعنا ، وإبراز حقيقتنا ! !

وشعراءِ النبط ، كاخوانهم شعراء الفصيح ، يختلفون قوة ،

وضعفاً ، وقربا وبعداً ، بحسب صلتهم بالمجتمع ، واندماجهم فيه .

فالعوني شاعر الملوك والأَمراء ، وصاحب المذهب الخاص في المحماسة والسياسة ، ليس كحميدان الشويعر ، الذي حمله الفقر والبؤس ، على مفارقة بلاده وأَهله ، إلى بلد العراق ، ليحصل على قوته هناك ، كحارس ، أَو عامل ثم يرجع يذرع نجداً ، ويواجه من قراها ، ومدنها ، مامدحها عليه ، أَو ذمها ، فمثل هذا هو الذي قد انغمس في البيئة إلى أذنيه ، وعرف أَسرارها ، واكتوى بنارها .. فجاءت تعابيره تجلو لنا ذلك المجتمع في في مرآة صافية ، إلى جانب ما رزقه حميدان من قوة العارضة ، وشدة الذكاء ، ودقة الاحساس ، والشاعرية الأَصيلة .. فهذا مع التجربة الطويلة ، والخبرة الواسعة . جدير بأَن يكتب لحميدان الخلود ، وينظمه في سلك النوابغ !!

ورا كان بن حثلين ، الذي عاش في البادية أَميراً ، وقضى شطراً من عمره خارج الجزيرة أَسيراً ، ليس هو كابن جعيثن ، شاعر البيت وما يحويه والسوق وما يجري فيها ، وصاحب النقلة والتسيار ، وربيب البوادي والحضار ، وشعر الجميع خير دليل للمتأَمل ، وأَكبر شاهد على ما نقول .

وإذا أردنا أن نلتمس لحميدان ، وابن جعيثن ، ونحوهما مشابهاً أو مشابهين من شعراء الفصحى وجدناهما يلتقيان مع أبي دلامة ، وأبي نواس وابن سهل ونحوهم من وجوه ، وهى الذوبان في الشعب ، والتأثير فيه ، والتأثر به وعدم التحاشى من ذكر الأشياء التافهة والمخجلة ، والاسفاف في كثير من المواضع ، ويلتقيان بالبهاء زهير ، وابن نباتة ، وابن العتاهة ، ونحوهم من وجه هو السهولة ، والبساطة .

فهذا هو حميدان يضيق ذرعاً ببلدته (القصب)(١) محدودة الرزق ، ضيقة العطن بأبنائها ، لا سبيل بها إلى ادراك العيش ، إلا وسيلتان هما استجمام الماء في الحفر حول البلدة ذات السبخات فيظلون في انتظاره حتى يتجمد ملحاً ، فيقومون بتصفيته ، وتصديره .

ويصور حالة هذا الملاح ، تكسب بشرته - وبخاصة لحيته ووجنتيه - لوناً خاصاً هو الشعوثة والاشهيهاب ، فهذه هى العلامة الفارقة للقصبى .

---

(١) القصب إحدى بلدان الوشم وتقع في الجنوب الشرقي لشقراء عاصمة الوشم وبها معدن ملح يمون كثيراً من بلدان نجد ، وأرضها زراعية خصبة .

أَما الوسيلة الأَخرى للرزق فهى جنى ورق الأَرطى – القرظ – وإعداده للدباغة ، وهذا هو سبيل رزق القصبى :

أَنــــا مـــن قـــوم تجرتهـــم
أَرطى الضاحى ودوى الغـــــيرة[1]

دايـــم شهب حــــلا قمهـــم
واحــــدهم يشرب مـا بـــيره[2]

وفي نظر حميدان أَن غالب أَبناء زمنه ليسوا جديرين ، بالتزويج ، ويعز عليه أَن يلقى الرجل بابنته في أَحضان ثور ينسب إلى البشر ، ويجدر بالأَب إذا جاءه هذا الخاطب أَن يدني منه الهراوة ، ويقرع بها رجله ، ويقول له ما يقال للثور (قف) بفتح القاف وتشديد الفاء . ولعلها محرفة عن فعل الأَمر (قف) ، فهذا الرجل لا يساوي الاجراءات التى تتخذ للعرس ، كالعقد ، وقرع الدف ، والوليمة ، وما إلى ذلك ..

---

(١) تجرتهم : تجارتهم . أرطى الضاحي : الارطى هو القرظ ويستعمل ورقه في دبغ الجلود . والضاحي : كثبان رمل بعريق البلدان تخترق بلاد الوشم من الشمال إلى الجنوب وطرفها الجنوبي يسمي بطريف الحبل . دوى الغيرة : دواء التخمة وهو الملح واختار هذا التعبير ليدل على البساطة والسذاجة .

(٢) حلاقمهم : رقابهم . واحدهم : أحدهم ، فهم شهب ويكثرون من شرب الماء من تأثير الملح .

لى جـاثـــور يخطب بنتــك
فاضرب رجـــله قــله قف[1]

والله مــا يســوى ملكتهـــا
ولا يســـوى قـــرع الدف[2]

والله مــا يســوى ضيفتهـــا
ولا يســـوى ظـلف وخف[3]

لماذا يا حميدان؟ !

يذهب إلى أنه سوف يخرجها من دار أبيها ، ثم يذيقها الجوع ، والهزال وإذا قدر أن تسلم من ضربه لها ، فثق أنها لا تسلم من نفخه ، ونفثه والنهاية أن تعود إلى بيت أبيها تحمل أثقالها وأثقالا مع أثقالها ! !

يظهــر بنتــك مـــن بيتــك
ويذوقهـــا جـــوع وحف[4]

---

(١) الى جا : إذا جاء .

(٢) يسوى : يساوي . ملكتها : عقد نكاحها .

(٣) ضيفتها : وليمة عرسها . ظلف وخف : مما يذبح أو ينحر في وليمة عرسه .

(٤) يزوقها : يذيقها . حف : قلة الأدم .

ان سلمت من ضربه بيده
ما سلمت من بف وتف[1]

يروحن حيل واملاط
ويجن لقح ومردف[2]

أَما نظرته إلى رجال زمنه ، فنظرة تفصيلية تعطى كل ذي حق حقه ، ويخرج عليك بخليط تستغرب أَن يلم به حميدان ، مع أَن هذه الأَصناف كلها تمر عليك تحت محك التجربة ، وعلى اشعاع مجهر الزمن .. ولكن في فترات متقطعة ، ينسى بعضهما بعضاً !! فتعال معى لترى في مجتمع حميدان من يدعي الزعامة ، والرئاسة ، ومع هذا فلم يقدم ثمنا لذلك ، فهو يريد ادراكها رخيصة كما يقول أَبو الطيب :

ومن الجماعة شايخ متشييخ
أَما النوايب يتقى عنها ورا[3]

(١) بيده : بكسر الباء وسكون الياء وكسر الدال . يده . بف : هوزم الشفتين وضمهما واخراج الهواء من بينهما دفعات وهو بمعنى الأف . تف : هو حكاية البصاق

(٢) يروحن حيل واملاط : يذهبن خاليات البطون والظهور . ويجن .. الخ : محملات البطون والظهور .

(٣) من الجماعة : من البلدة : شايخ : سائد : متشييخ : مصطنع السيادة . النوايب : المكارم . يتقي عنها ورا : يستتر عنها .

وتجده كالمذعور إذا مشى في السوق ، مخافة ضيف لا يقوى على الفرار منه :

إلى مشى بالسوق الاه مــــــلوذع
عن خاطر يقضب قطا به من ورا(١)

ولترى أيضا حاملا لنائبات نفسه ، متحملا لنائبات غيره ، كل يوم وبيته يغص بالأضياف ، إذا لم يبحث عنهم بحثوا هم عنه ، فهو دائماً كالشريعة يعرفها الوراد :

ومن الجمــــاعة حامـــل متحمـــل
ما فات يوم ما لضيف ما قرا(٢)

إن ما يدور الضيف دور بيتـــــه
وهـــو سواة العد عـــد يذكرا(٣)

ولا يعوزك أن ترى من يزهو كالديك ، ينص عنقه ، ويتعاظم ، ويتملكه الزهو والخيلاء ، أما لماذا ؟ فلا شيء إلا أنه كالدف صوت عال وبطن خال :

---

(١) إلى مشى : إذا مشى . الاه ملوذع : واذا هو مذعور . عن خاطر : عن ضيف . يقضب : محرف يقبض . قطابه : مجمع اكسيته من خلف .

(٢) حامل متحمل : حامل عن نفسه متحمل عن غيره . ما فات يوم إلا وقد قرأ ضيفاً

(٣) يدور الاولى بالتخفيف والثانية بالتشديد والمراد يبحث في كلتيهما . سواة العد : كمثل العد وهو الماء الغزير للوارد . عد يذكرا : مشهور عند كل أحد .

ومنهم سواة الديك رزة عنقه
ما زان له زول بفعل يخبرا[1]

وله شبيه . إلا أنه من النوع المتغطرس ، المتعالي ينفخ نفسه كالضب يتنسم الريح ، وإذا مشى مشى مختالا متبختراً ، قد كسى ثوبه جزءاً من الأَرض ، وكأَنه يحمل الطباق السبع ، والواقع يقول إنه أَخف من ريش الحمر ، قد جهلت نفسه قدره فرأَى غير منه ما لا يرى :

ومن الجماعة كالضبيب المنتفـخ
متبختر يسحب ثويبـه من ورا[2]

كن الضعيف شايل سبـع الطبـق
هو مادري انه خف ريش الحمرا[3]

وكما يتسايد ذاك . ويتعاظم هذا ، فهناك من يتعالم أَيضاً ،

---

(١) سواة الديك : كمثل الديك . رزة عنقه : بتشديد الزاى والمراد نهضة عنقه . ما زان له زول : مازين هيكله فعل جميل يذكر من أفعال الكرام .

(٢) الجماعة : المواطنين . الضبيب : تصغير ضب وهو حيوان من الزواحف يألف الحزون ويقال انه يصمد للهواء ويسمح له بملء جوفه . ثويبه : تصغير ثوب . من ورا : من خلف :

(٣) كن الضعيف : كأن الضعيف ــ استهزاء . شايل : حامل . سبع الطبق : سبع السموات . هو ما درى : أهو ماعلم . خف ريش الحمرا : كمثل ريش الحمرة ــ وهو طائر صغير ذليل ــ في الخفة .

ويجعل نفسه في رتبة عالم ، وإن كان لا يقرأ ولا يكتب ، ألشيء ؟ ! نعم ليصل بتدينه ، وتعالمه إلى أهوائه ، وأغراضه ، وهي دعوي صاحبها دعي :

ومن الجماعـة مـن ينط بمرتبـه
في الدين لو هو ما يخط ولا قرا(١)

يدرق بدين الله دين غـادر
والله عـلام لمـا هـو أضمرا(٢)

ويقتفي ابن جعيثن آثار سلفه حميدان ، وينفرد باهتمامه بشئون المرأة ، أماً ، وزوجة ، ومدبرة ، ومربية ، وعاشقة ، ومعشوقة ، فلقد بلاها ، وأبدي فصيحها :

ففي النساء - كما يقول - منحوسة ، مشئومة ، دائما ولسانها رطب بالسباب ، والعتاب ، ويندر ألا يراها أمامه حجر عثرة :

فيهـن القشري اللغـوية
قبلهـا قدامـه زومـة(٣)

(١) ينط : يمتطي . لو هو : لو كان .
(٢) يدرق : يختل . دين غادر : كاذب .
(٣) القشرى : الشرسة : اللغوية : ذات اللسان السليط . قبلها : دائما . قدامه زومة : أمامه منفعلة ساخطة .

فهى دائماً كالضبع في هدرمتها ، وهريرها ، فتريه مالايرى من أَنواع الاعنات ، والضيق :

فهـــى فيهـــن ضبعـــة غـــابة
في الظهر توريـــه نجومـــه[1]

وكما تكون فيهن هذه الأَصناف الخبيثة ، ففيهن أَيضاً جميلات الخدود ، والشفاه ، تطرد عنك الهموم ، وتجلى عنك الغموم ، فتلك لا تتردد في التزوج منها ، إن لم تكن معدومة :

فيهـــــن زينـــــة خـــــد ومبسم
في الليـــل تسليـــه همـــومه[2]
هـــذيك اخطبهـــا يا صـــاحى
أَخـــاف يقال معـــدومة[3]

وكثيراً ما يصف الرجال ، ويبين ما فيهم من محاسن ، ومعائب ، ثم ينتقل إلى النساء ، فيضفى عليهن ما يراه بهن ،

---

(١) ضبعة غابة : انثى الضباع . في الظهر توريه نجومه : في الظهيرة تريه النجوم على خلاف المعروف ، والمراد تتفنن في إيذائه حتى تخرق له العادات .

(٢) زينة خد : حسنة خد وثغر . في الليل تسليه همومه : تنسيه همومه في الليل حيث تتداعى هنالك .

(٣) هذيك : تلك . أخطبها : أطلب الاقتران بها . يا صاحي : يا صاحبي منادى مرخم . اخاف يقال معدومة : أخشى ان يقال ان مثل هذه معدوم .

فهو يري أن الزيجة بهن مغامرة كمغامرة من غاص في لج البحر ، يطلب اللؤلؤ ، فاما أن يأتي به وإما أن تأكله حيتان البحر :

هذي وصاتي للرجال احفظها
واحفظ وصايا البيض يا مثيوبها[1]

كل عليهن غايص في غبة
يجيب حص أو ياكله شاذوبها[2]

وما دام هذه حالة النساء ، فتنبه لهن ، وخذ الحيطة والحذر معهن ، ولا تلين لهن جانباً ، أو يرين منك ضعفاً . فكن دائما معهن كالثعبان ، يخيف حتى سلخه المتجرد منه :

بالك تلين للعذاري جانب
خله تهاب الداب هي وسلوبها[3]

ولم تضن عليه التجربة ، أن يرى في محيطه من هي مثال النصح ، والاخلاص ، ولكنها مجفوة ، مبغضة ، لا يحدث

(١) وصاتي : وصيتي . وصايا البيض : من إضافة الصفة إلى الموصوف. مثيوبها : يا مثاب على هذا الصنيع .

(٢) غايص : غائص . في غبة : في لجة . يجيب حص : يأتي بلؤلؤ . يأكله شاذوبها . يأكله كلب البحر .

(٣) بالك : احذر . خله : اتركها . الداب : الثعبان . هي وسلوبها : هي وسلخها المنفصل عنها .

فعلها الجميل ، إلا رد فعل عليها ، فحتى ما تطعمه ، تجد فيه منة ، ولكن الصبر خليق بأن يورثها الدار ، ويأخذ لها الثأر :

وفيهـن مـن تنصـح وهى مجفيـة
والى عطوهـا وجبـة منوا بهـا[1]

تري بغيض الدار هـو وراثهـا
ان كانها تصبر فهو من صوبها[2]

والقهوة هى الأداة ، لاجتماع الرجال ، وتبادل أنواع الطرف ، والأحاديث ، ولكن نوعا من الرجال رآه ابن جعيثن سلك بالقهوة غير هذا المسلك ، فهو يخبىء أواني القهوة ، ومع ذلك لا يخجله هذا التصرف . أما إذا أراد دخول بيته لعمل القهوة ، جعل يقبل ، ويدبر ، ويختل ويتلصص ، ويتصيد ، كأنه ناصب فخ ينتظر وقوع الصيد فيه ، وفي حين يجد الفرصة للدخول يرتج الباب ويشمر عن يديه :

خطـوى المعاميـل تـوزا
راعيهـا ما شاف خـلافـه[3]

(١) الى : إذا عطوها : أعطوها . وجبة : المرة من الاكل .
(٢) ترى بغيض الدار : ان المبغض في الدار يرثها . ان كانها : ان كانت تصبر . فهو من صوبها : فهو من نصيبها .
(٣) خطوى المعاميل : بعض آنية القهوة . توزا : تخبأ راعيها : صاحبها . ما شاف خلافه : ما رأى خطأه .

الى هـــم يقهـــوي نفســـه

نـــوى في مـــاله باتـــلافه [1]

تلقـــاه يكوبـــع في العـــير

قلبـــه ما يسكن رجـــافه [2]

كنـــه حبـــال لـــه حقـــة

حط الحبـــة في مطرافـــه [3]

ساعـــة يدخـــل صلك المجـــرا

وعقـــد شلحاتـــه واطرافـــه [4]

وهنا يشرع في اعدادها ، وتنقية مويهتها ، وحبيباتها ، أَما وقوده فهو ما تتركه عاملة الآنية ، من سعف النخل ، وبئس الوقود . ولئلا يخرج صوته للناس يحاول كبت السعال ، فكأَنه سار في أَرض موحشة ، مخوفة ، ويعلم أَن الدخان مما ينم عليه ، فلا يترك له متنفساً ، يخرج معه ، والمشكلة الآن مشكلة سحق

---

(١) الي هم : إذا هم . يقهوى نفسه : يسقي نفسه القهوة .

(٢) تلقاه : تجده . يكوبع : يتخبأ ويختل . في العير : بكسر العين وتشديد الياء جمع عائر ، وهي الزوايا . رجافه : رجفانه .

(٣) كنه : كأنه . حبال له حقة : ناصب فخ . حط الحبة : جعل الطعم . مطرافه شص الفخ .

(٤) صلك المجرا : أغلق الباب بمغلاقه الكبير . عقد شلحاته : شمر اكمامه وأطراف ثيابه .

القهوة ، لكن الهاون عنده ككلب زارع الخضار ، لا يجهر بنباحه ، وإنما ينأَم ، وينغم ، وفي الوقت الذي يهتدي اللص بنباح الكلب ، على الفريق الحلول ، فهذا الكلب هو الذي يتلصص على اللصوص وفي هذا تشبيه بارع :

عفى مـــاهـــا وحبيبـــاته
ووقــــــوده خــوص السفافــة[1]

حتى الكحـــــة مـــا يظهـــرهــا
كنــــــه سار في مخـــافة[2]

مــن خـــوفه يظهــر دخـــانه
يرق ويغطى كشـــافــه[3]

كـــن نجيـــره كلب مخضـــر
يحـــوف الحـــايف ما حـــافه[4]

---

(١) عفى : نقى . ماها : ماءها . حبيباته : أي حبيبات القهوة . خوص السفافة : سعف صانعة الآنية ونحوها منه .

(٢) الكحة : السعال . كنه : كأنه . في مخافة : في حالة خوف .

(٣) يظهر دخانه : يخرج دخانه . يرق : يصعد السطح . يغطى كشافه : يغطي المنور لئلا يخرج منه الدخان فينم عليه .

(٤) كن نجيره : كأن هاونه . كلب مخضر : كلب زارع الحضرة ــ الفاكهة ــ يحوف الحايف : يسرق اللص واللص لا يسرقه .

ويري في جيله أناسا عظام الهياكل ، عظام المظاهر ، ولكن الله جعل لهم من أكسيتهم دروعا تجنهم ، عما تنطوي عليه أجنحتهم من خبل ورقاعة ، ولو عرفوا هذا من أنفسهم ، وسكتوا لكان خيراً لهم ، ولكن ألسنتهم تنم عما خلف هذه المظاهر ، فيبدو ما في العيبة من خيبة :

يا مـا مـن زول وش كبـره
ساتـره الله ثم هـدومه (١)

يظهـر لك نقصـه مـن زوده
في المجلس هرجـه وعلومـه (٢)

ويصور لنا ابن سبيل (*) جانبا من عادات البادية وكرمها

(١) ياما من زول : كم من شخص . وش كبره : كبير جدا . هدومه : ثيابه .
(٢) زوده : زيادته . هرجه : كلامه . علومه : اخباره .

(*) هو الشاعر الوجدانى البليغ عبد الله بن حمود بن سبيل من بلدة نفى هجرة الرباعين أمراء الروقة من عتيبة وشاعرنا من قبيلة باهلة وهو وان كان حضريا إلا أن احتكاكه بالبادية جعل من شعره صورة حية من صور البادية في لغته وأسلوبه وتصويره لاحوالهم ووصفه لبيئتهم .
كما وأنه قد تأثر بهم وأولع بفاتنات البادية وجمالهن الطبيعي وحبهن العذري فجاء شعره حافلا بوجده وهيامه بهن .
وجل شعره جاء في الغزل والتشبيب ووصف وجده وحنينه وشجوه وأنينه .
وشعره يعد من أقوى شعر النبط وأسلسه عبارة وأصدقه لهجة وأوضحه بيانا ..
توفي عام ١٣٥٧ هـ عن عمر يناهز الثمانين عاما .

وخصائصها تتمثل في أَنهم لم تزل رباعهم تغص بالطارقين الذين لا يصدرون هم وابلهم إلا بعد طيب نفس وخير قرى .. فجفانهم قد أَعدت للفضل فلست ترى بها إلا أَذناب الضأَن ، تـأْتي اليها الناس الجفلى سبحة اثر سبحة وكلهم يصدرون عن شبع ويظل في هذه الجفان من الشحم ما يكفى لدهن المزادات وتظل مقدمة بيت الشعر تقطر دهناً من كثرة ما يمسح بها الأَضياف أَيديهم .. أَما رماد نارهم فكأَنه تراب بئر واسعة من كثرة ما يوقدون ، وكأَن سنا هذه النار – يراه الطارق من بعيد – ضوء صباح ، وهاون قهوتهم لا يهدأَ صوته ، و(المحماس أَداة تحميص البن دائما ملتهبة ، ولابد أَن يحثى فيها البن ثلاث حثيات من كيس وضع بجانبها مترع با البن ، وبمجرد ما يلقيها يضع الأُخرى ، لذا فان من بالنادي سوف ينال منها مأَربه ولو كان نازحا في مؤخرته :

رباعهم مدهل هل الموجفات

ولا شدن الا مستردات وبدان [1]

---

(١) رباعهم : مجالسهم . مدهل : مرتاد . الموجفات : الابل شدن . فارقن . مستردات وبدان . مطعمات مستعيدات قواهن .

أهـــل صحـــون للفضايل مــواتي
يرمى بهن أذناب حيل من الضان[١]

ندوة بثر ندوة يجـون سبحـات
ولا يفهق الا محتري السور شبعان[٢]

الراوية تدهـــن من الفــارغات
والبيت يا كف مقدمه دثر الايمان[٣]

ومنـــارة كنـــه نثيلة هبـــاة
ونار سناها مثـــل صبح الى بان[٤]

مركى دلال نجرهـــن ما يبـــات
محماسهن دايم على النار حميان[٥]

---

(١) أهل صحون : ذوو جفان . مواتي : معدات لها. حيل: سمان لم يهزلهن الحمل.

(٢) ندوة بثر ندوة : زمرة بعد زمرة . يفهق : يرفع . محترى السور منتظر الفضل

(٣) الراوية : المزادة . الفارغات : الفضل . ياكف : يكف يقطر سمنا . دثر الايمان : سهكها من الدهن .

(٤) منارة : رماد النار المزبور إلى جانب موقدها . كنه نثيلة هبات : كأنه مجموعة تراب بئر واسعة عميقة .

(٥) مركى دلال : ناصب أواني القهوة . نجرهن ما يبات : هاونهن لا يهدأ . محماسهن : مقلى القهوة .

من البن يصفق به ثلاث غرزات
تنسف على المبراد والكيس مليان(١)

وان فرغ الطبخــة والى ذيلك تاتي
ولا نازح المجلس عليها بشفقان(٢)

ولم يزل البدوى يرى لنفسه فضل الشجاعة ، والجرأة ، والذب عن الديار ، وحماية الذمار .. على الحضري بحق أو بغير حق .. ولم تزل النساء البدويات يرين في الشجعان بغيتهن ومنتهى آمالهن على ما كان عليه النساء العربيات الأول ..

لذا فان الشاعر بداح العنقري قد استهدف لاحداهن وقد ابتلى بحبها بأن قالت له انكم معاشر الحضر ولو كنتم فرسان ، إلا أنكم فرسان نظرة وجمال ، لا فرسان طعان وميدان .. لذا فان قصيدته الآتية تصور لنا هذا الحوار ، وتشف لنا عن ظاهرة يعرفها سكان الجزيرة من أنفسهم وهى اعتداد البدوي وشموخه :

(١) يصفق به ثلاث غرزات : يحثي به ثلاث حثيات . تنسف على المبراد : تنقى في اناء قبل قليها . وكيس القهوة ملآن دائما .

(٢) الطبخة : المرة من القلى . والى ذيلك تاتي : وإذا بالاخرى تجعل . بشفقان : شفيق .

الله لحـــد ياما غزينــــا وجينــــا

ويـاما ركبنــا حاميــات المشاويح(١)

ويــاما على اكــوارهن اعتلينــــا

وياما ركبنــاها عصير مراويح(٢)

وياما تعــاطت بالهنــــادي يدينــــا

وياما تقاسمنا حــلال المصاليح(٣)

وراك تنزهـــد يا اريش العــين فينــا

تقول خيال الحضر زين تصفيح(٤)

تري الظفر مهــوب للظاعينــــــا

قسم وهــو بين الوجيه المفاليح(٥)

---

(١) الله لحد : قسم فيه معني التعجب والتكثير . غزينا وجينا : غزونا وجئنا . حاميات المشاويح : الإبل .

(٢) أكوارهن : اقتابهن والضمير يرجع إلى الابل . عصير : تصغير عصر . مراويح : وقت المرواح .

(٣) تعاطت : تبادلت . حلال المصاليح : مال المصلحين في مالهم بالرعي والسقى.. الخ . .

(٤) وراك تزهد : مالك تجفو . أريش العين : طويل هدبها حتى لكأنه الريش . خيال الحضر : فارسهم . زين تصفيح : حسن منظر فقط .

(٥) ترى الظفر : ان الشجاعة : مهيب للظاعنينا : لست للبادية فقط . قسم : نصيب . الوجيه المفاليح : الوجوه الكريمة الكادحة .

البـــدو واللي بالقري نازلينـــــا
كل عطاه الله من هبــة الريح[1]

يوم الفضول بحلتك شارعينـــــا
والشلف ينحونك سواة الزنانيح[2]

يوم انجمر رمحى خذيت السنينـــا
وادعيت عنك الخيل صم مدابيح[3]

ويرى أن ما قدمه كافياً لترقيق قلبها واعترافها بالواقع فيقول :

هيا عطينـــا الصدق هيـــا عطينـــا
وان ما عطيتيناه والله لصيح[4]

لصيـــح صيحـــة من غداله جنينـــا
والاخلـــوج ضيعـــوها السراريح[5]

(١) واللي : والذين . هبة الريح : الكياسة والتوفيق .

(٢) الفضول : قوم . بحلتك : بدارك . شارعين . هاجمين . الشلف : جمع شلفاء وهو الرمح . ينحونك يصدونك . سواة الزنانيح . مثلها .

(٣) انجمر : انقصم . خذيت السنينا : أخذت السيف . ادعيت : تركت . صم مدابيح : منصرفات هاربات .

(٤) هيا عطينا : هلمي اعطينا والله لصيح : والله لارفعن عقيرتي بالصياح تظلما منك .

(٥) جنينا : ابن خلوج : ناقة فاقدة ولدها . ضيعوها السراريح : أضاعها الرعاة .

ولا يكتفى بهذا بل لابد أن يغزو قلبها من ناحية موطن الضعف فيه ولدى الشعراء كثير من مفاتيح القلوب :

يا عـود ريحان بعرض البطينـــا
وامنين ماهب الهوى فاح له ريح[1]

الى ان قال :

لا خـوخ لا رمـان لهـوب تينـا
لا مشمش البصرة ولا بالتفافيح[2]

وخـد كما قرطاســة في يمينـــا
وعيون نجـل للمشقى ذوابيـح[3]

صخف بلطف بانهــزاع بلينـــا
يا غصن موز هزعه ناسم الريح[4]

ولم يزل العرب يرون في الصنائع والحرف مرتبة قاصرة لا يمتهنها إلا من ليس بعربي أصيل ، فهم أهل كروفر وحرث وتجارة وتغذية ابل وخيل وغنم ، وهى ظاهرة من الظواهر التى

---

(١) عود ريحان : غصنه . بعرض البطينا : بوسط الحديقة . وامنين : ومن أى جهة . فاح له ريح : تضوع له عرف .

(٢) لا خوخ .. الخ هو خير من هذه كلها .

(٣) كماقر طاسة : كورقة بيضاء ــ كاغدة ــ للمشقى : للمعنى ذوابيح : ذوابح.

(٤) صخف بلطف : هيف برشاقة . بانهزاع بلينا : يتثني ويتمايل . ياغصن موز : بل هو غصن موز يحركه رخاء النسيم .

تكلف فيها العرب شططا، وجعل من بلادهم سوقا للمنتجات الأَجنبية ..

يصور لنا هذه الناحية محمد بن لعبون في هجائه لعبد الله بن ربيعة فيقول :

يا عبيد جدامك يفحج على الكير
أَصـله صليبى يـدق الصبارة[1]

شطر بصنعـه للحـذا والمسامير
ودقنه خلاص الكير كله بشراره[2]

وهم كذلك يأَنفون من تزوج العربي بأَعجمية أَو مغموزه

(١) يفحج : يجلس بجانب الكير مباعداً ما بين رجليه ، والمراد أنه حداد . صليبي : تصغير صلبي . والصلب جيل من الناس يقطنون مشارف الشام وسواد العراق ولعلهم من يعرف الآن بالنور . يدق الصبارة : يصنع الحديد .

(٢) شطر : حاذق . الحذا : جمع حذوة وهو ما تنعل به الفرس من الحديد . وذقنه لم يبق فيه الشرر المتطاير من الكير شيئا .

النسب يصور لنا ذلك ابن ربيعة [*] في رده على ابن لعبون في قصيدته التى منها البيتان المتقدمان :

أبـــوك اخـــذ هندية بالدنانيـــر
بيضا وتكرم داخليه طهارة [1]

مرباه في دسبول والجـــد بنجيـــر
شقرا ولطامة خدود خسارة [2]

(*) هو عبد الله بن ربيعة من آل وطبان ويتصل نسبه بآل مقرن جد الأسرة السعودية .. وقد نشأ هذا الشاعر في جو مشبع بالفتن والثارات والاحن ، بين أسرته وبين بعض الاسر النازحة من نجد إلى العراق .. وقد وقعت بينه وبين الشاعر ابن لعبون نقائض وقودها ما بين هذه الاسر من شجار ونفار .

وكان هذا الشاعر مثال الاستقامة والجد لهذا شعره خاليا من الترهات والبذاء ورخيص القول .

وهو في شعره يعتبر من أقران ابن لعبون وابن فرج واضرابهما .
توفي سنة ١٢٧٣ هـ .

(١) أخذ : تزوج . تكرم : جملة معترضة داخليه طهارة مخبرها خبيث .

(٢) مرباه : نشأتها . ودسبول ونجير : جهتان من بلاد العجم . لطامة خدود : أى شيعية ..

معاني الشعر العربي .. وشعر النبط

قد تعجب حينما ترى شاعر النبط لم يقرأ كتاباً ، ولم يسمع شعراً ، ولم يعرف عن الأَدب العربي قليلا ولا كثيراً ثم يأْتي بالمعنى طرقه الشاعر العربي ، فيصوره لك في أَجلى بيان ، ويضعه في أَجمل قالب ، يجد فيه المتذوق من الجمال ، والطرافة ، ما يجده الأَديب العربي في قطعة فنية رائعة .

وإذا ذهبنا نلتمس السر في هذا وجدناه قريباً ، ذلك أَن كلا من الشعرين ينظم في أَغراض واحدة ، وعلى نمط وأَسلوب واحد ، انحدر مع العربي منذ قرون طويلة ، فاذا اختلفت الصياغة ، وتباين السبك ، وانمازت اللغة ، ونتج عن ذلك تصور بعد المعنى عن مشابهه .. فلن نعدم الكثير من المعاني تطابقت ، أَو تدانت ، كيف لا وقد وجدنا البيت ، وشطر البيت ، بلفظه ومعناه ..

وفي نظري أَنه لا يخلو غرض من الأَغراض طرقه الشعران ، أَلا ويوجد بينهما تشابه معنوي فيه . ولكن الشأْن في إدراكه ، فالناس يختلفون فيه حسب ثروتهم الأَدبية ، وتذوقهم للشعرين ،

وحفظهم للنصوص من كل منهما ، وقوة الذاكرة ، أو ضعفها ، وتفطنهم لهذه الناحية ، واستحضارها في أذهانهم عند القراءة ، وعدم ذلك ، وأخيراً فلكل من الناس محفوظ خاص ، يباين محفوظ الآخر ، فتجد المتتبع لهذا الشيء لديه استنتاجات ، ومحصول غير ما عند الآخر ، فلقد وقفت على بعض البحوث لأدباء كانت لهم مشاركة في بحث هذه الناحية من شعر النبط فقط ، فهم فيما أذكر ثلاثة ، وكل منهم بحث هذه الناحية ، ووازن بين الشعرين ، وجاءت موازنة كل منهم مخالفة لما جاء به الآخر ، إلا ما استعان به المتأخر ممن قبله ، أما أنا فسوف لا أورد في هذا الباب إلا من محصولي ، إلا في النادر الذي شاركت فيه أولئك عرضاً من غير قصد .

هذا ولا يغيب عن الأذهان ، ان الشعراء يختلفون في تناولهم للمعاني ، سواء كانوا عرباً أم نبطاً ، فمقتضى الحال الذي ينص عليه البلاغيون ، لابد من اعتباره ، ومقدرة الشاعر على إيراد المعنى في جمل مقتضبة ، وبأسلوب رشيق ، تختلف باختلاف ملكات الشعراء ومواهبهم .

فعصيان النفس والشيطان معنى تناوله شعراء العربي والنبطي يحضرني الآن ممن تناوله ، البوصيري ، وبركات الشريف ،

ولكنى أَجد بركات الشريف في تناوله هذا المعنى أَدق ، لأَنه أَثبت في بيته أَن الشيطان هو الذي يوسوس للنفس ، فيرميها في المهالك ، وان ما تتردى فيه غالباً نتيجة ، لا طاعة الشيطان فيقول :

والنفس خالف رايها قبل ترميك
ترى لها الشيطان يرمى بالاهلاك(١)

أَما البوصيري ، فيجعل كلا من النفس ، والشيطان ، وحدة مستقلة ، لها تأَثيرها الخاص ، وفي هذا الأَسلوب شيء من التساهل ، وعدم العمق . يقول :

وخالف النفس والشيطان واعصهما
وإن هما محضاك النصح فاتهم

أَما عدم الثقة بالناس ، وإساءة الظن بهم ، فقد تناوله كل من الطغرائى وبركات الشريف أَيضاً ، ولكن قول الطغرائى أَحوط وأَشمل فيقول :

لا تأَمنن أَحداً واحذر مكائدهم
وظن شراً وكن منهم على وجل

(١) ترميك : ترديك . ترى : ان . يرمي بالاهلاك : يقذف بها في المهلكات .

أما الشريف فيقول :

تحصن بسو الظن وابصر بحالك
واحذر جليس ضايع الراي يعميك (١)

والمعالي لها عشاق يطربون لها ، ويخطبونها كما للعذاري كذلك ، وكثيراً ما نري الشعراء يفوهون بعزوفهم عن الغيد الحسان ، وينزعون إلى المكارم والمعالي ..

ففيصل بن تركى آل سعود لم يشتق قلبه لهن ، ولم يولع بالدنيا وحطامها ولكنه أولع بكسب مكرمة ، أو العتب على صديق فرط فيها :

مفهوم قلبى للرعـــابيب ما اشتـــاق
أيضاً ولا همه لجمع الدنانير (٢)

لكن من ربع عليها الردى ســـاق
عقب الجمايل انكروا نيـــة الخير (٣)

---

(١) أبصر بحالك : تفطن لتقلبات دهرك . ضايع الرأى : ضعيفة : يعميك : يضلك .

(٢) مفهوم قلبي : ميله واتجاهه . الرعابيب : جمع رعبوبة وهى المرأة هائفة الحصر ثقيلة الأرداف طويلة القامة . ولاهمه : وليس همه .

(٣) من ربع : بسبب جماعة . الردى : التقصير . ساق : وجب . عقب الجمايل : بعد الجميل . نية الخير : الصنيعة والجود .

أما الكميت بن زيد فيتناول هذا المعنى ، ولكنه يريد التخلي عن مظاهر الدنيا ، فقلبه معلق بفئة ، استولى حبها على شغافه ، فطلق ما عداها ، ولكن بأسلوب رائع جميل :

طربت وما شوقا إلى البيض اطـــرب
ولا لعبـــا مني . وذو الشيب يلعب

ولم يلهنى دار ولا رسم منــــــزل
ولم يتطربنى بنــــــان مخضب

ولا السانحات البـــارحات عشيـــــة
أمر سليم القــــرن أم مر أعضب

ولكن الى اهـــــل المكارم والنهى
وخيـــر بنى حـــواء والخير يطلب

وللشعراء مع الحمام أحاديث ، ينقمون عليه فيها هديله وترجيعه ، فالبكاء لا يكون إلا ممن فقد إلفه ، أو عضته نكبات الأيام ، وهو من ذلك براء ، فأبو فراس الحمداني قد عض القيد رجله ، في غيابة السجن ، ويسمع بالقرب منه حمامة تنوح ، ومن أولى بالنوح من أبي فراس ، وبالفرح والطرب من الحمامة ؟ !

أقول وقـــد ناحت بقربي حمامـــة
أيا جارتا لـــو تشعرين بحـــالي

ايا جارتنا ما انصف الدهـر بيننـــا

تعالي اقاسمك الهمـــوم تعـــالي

أَيضحك مأسور وتبكى طليقـــة

ويسكت مهمـوم وينـدب سالي

ويطرق هذا المعنى محمد بن لعبون ، لطلل عهد فيه ملاعب الصبا ، ومسارح الأَنس ، أَصبح قفرا لا أَنيس به الا ما كان من حمامة تصدح في افنانه ، وتندب على عيدانه :

يفـــز القلب فيهـــا للصبـــاحة

الى قامت حمامتهـــا تغني (١)

توصينى لاهلهـــا بالنيـــاحة

يعـود ان الحمامة خير مني (٢)

وأَنا إن كان لى بالنـــوح راحـــة

فانا بنـــوح دهري ما أَوني (٣)

وأَنا منيب مثلك بالوقاحــــة

على ذا الطرق طرب وامتهني (٤)

---

(١) فز القلب : تنبه . الصباحة : مكان . إلى قامت : إذا أخذت .

(٢) يعودان الحمامة .. تعريض بأن الحمامة خير مني أوفى مني .

(٣) بنوح : سأنوح . ما اوني : ما أفتر .

(٤) منيب : لست . الطرق : المنوال والوتيرة . متهنى : في هناءة وهدوء .

ولا رجعت فـــن في براحـــة
على نبنــــوب غصن مرجحنى[1]

والشعر شموس لا يروضه إلا من أوتي فيه الملكة ، وغذاها بادمان الحفظ وجودة المحفوظ ، ثم صبر على اقتيادنا فره ، وتذليل ناشزه ، وإذا لم تتوفر هذه الشروط ، فلنستمع إلى ابن لعبون يلقي علينا درساً فيه :

لعــاد منتب صيرف فيـــه حلحيل
ولحد عرف لك في طريقه مخول[2]

ولا تلم أطراف معنــاه بالحيــل
ولا تحــله باي قول تحــول[3]

كم حاول امثالك بقيــل التماثيــل
فالى عدل معوج قافه ترول[4]

(١) فن : صوت : في براحة : في مكان متسع . نبنوب : غصن نام . مرجحني : مثقل بالثمر .

(٢) لعاد منتب : إذا صرت غير . حلحيل : حاذق . ولحد : ولا أحد . مخول : مبرر .

(٣) أطراف : باطراف . بالحيل : بالاتقان . تحله : تدرك مراميه . تحول : تشكل.

(٤) بقيل التماثيل : قرض الشعر . فالى : فاذا . قاقه : قافيته . ترول : اعوج وانكسر .

ووجه الشبه بينها وبين القطعة العربية المشهورة ظاهر ، إلا أن هذه تخاطب شاعراً ، وتلك تتحدث عن الشعر من حيث هو ، والمؤدي واحد :

الشعر صعب وطويل سلمه
إذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه
زلت به الى الحضيض قدمه
يريد أن يعربه فيعجمه

وما شيء يختبر به عفاف الإنسان أعظم من المرأة ، فهي المغناطيس لقلوب الرجال ، وكلما كان جمالها أكبر كلما زادت جاذبية مغناطيسها ، حتى لتصبى ذوي الدين والحجا ، إلا من عصم ، يحدثنا سليم بن عبد الحى عن محبوبته (وقد تكون في نظره فقط) فيقول :

لو شافها اللى طب في حفوة الحج
خطر يعوقه عن هواه العجيبى[1]

كما قد تناول هذا الموضوع أمرؤ القيس ولكن بأسلوب غزلى رقيق :

(١) لو شافها : لو رآها . اللي طب في حفرة الحج : الذي نزل في المنخفض الذي تحت باب الكعبة . خطر يعوقه : جدير أن يصرفه عن حجه وطاعته .

تعلــق قلبى طفــلة عربيـــــة

تنعـــم بالديباج والحلي والحـــلل

لهــا مقلة لـــو انهــا نظرت بهـــا

إلى راهب قــد صام لله وابتهــل

لاصبح مفتــــونا معنى بحبهــــا

كأن لم يصم لله يومــا ولم يصل

وفرص العمر تمر مر السحاب ، ويوصى الشعراء باهتبالها ، يقول القاضى :

الى حصل لك ساعة وانت مشتاق

فاقطف زهر مالاق والعمر ملحوق[1]

فهو يصف هذه الفرصة بالزهرة ، في نضارتها ، وحسنها ، ورائحتها ، ولا بد أن يأتي عليها يوم وقد ذبلت ، أما الشاعر العربي فهى أقل في نظره من عمر الزهرة ، واسرع تحولا منها ، فهى كالنسيم العليل تلتذه وتستنشقه ، وسرعان ما يهدأ ويسكن :

إذا هبت رياحك فاغتنمهــــــا

فان لــكل خافقـــة سكونـــــا

---

(١) الى حصل لك : إذا حصل . مالاق : ما راق . العمر ملحوق : مدرك .

والعقل مهما كبر ليس له دخل في كثرة الرزق ، بل هو بقدر ومشيئة ، لهذا يقول القاضى :

وكم عاقل به حاذق ، راس ماله
عقله ، وكم بهلول ، عقله جمع مال[1]

وقد طرق هذا المعنى كثير من شعراء العرب ، يقول أبو تمام :

ولو كانت الارزاق تأتي على الحجا
هلكن اذا من جهلهن البهائم

ويقول الآخر :

كم عاقل عاقل أعيت مذاهبه
وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا

ولم يكن هناك دليل تعرف به عدوك المتملق ، اصدق من عينيه ، يأخذ هذا المعنى القاضى فيقول :

وتري بوجه اللى يودك دلالة
وضده بمن يكره تراهن بالاغزال[2]

---

(١) به : بها أى الدنيا . رأس ماله عقله : مبتدأ وخبره . بهلول : ناقص العقل . عقله جمع مال : مبتدأ وخبره .

(٢) وترى : ان. اللي يودك : الذي يودك. تراهن بالاغزال : ترى هذه الدلالات بالعيون.

والشاعر العربي يقول :

والعين تعرف من عيني محدثهـــا
ان كان من حزبها أَو من اعـــاديها

ولهن ولع وميل إلى ريق الشباب ، ونضارته ، وعزوف وترفع عن المشيب ومرارته ، يأخذ هذا المعنى ابن عفالق (*) فيقول :

(*) هو سليمان بن عفالق من أسرة آل عفالق ساكني الاحساء . ويعد من شعراء الاحساء المجيدين وقد عاش في زمن محسن الهزاني وكانت له معه مساجلات ومدائح . قال في قصيدة بعث بها إلى محسن :

عجا ضمر من ربع الاوطان رايحــه
لها لاعج من فايح الشوق فايحـــــه
خفاف المواطى سالمـــات من الحفــــا
برى جسمها ما صـــابهـــا منه جايحـة

إلى أن قال :

جميل النبـــا ذرب البنانين محسن
سميح المحيـــا أبلج الوجـــــه فالحـــه

فأجابه محسن بقصيدة طويلة منها :

لهـــا من برى هجر عبـــير سرى بهــــا
نسيم فأحيـــا ميت في نوافحــــــه
كتمت الهوى جهدي فأبدت صبـــابتي
زواعج دمـــوع فوق الاوجان سافحـــه

توفي حوالى عام ١٢٤٥ هـ .

واصلننى يــوم اننى كنت امــرد

واقفن عنى يوم بالشيب لزيت[١]

ويطرقه علقمة بما هو أنصع بياناً ، وأصدق لهجة :

فــان تسألــونى بالنســـاء فاننى

خبيـــــر بادواء النســـاء طبيب

اذا شاب رأس المرأ او قـــل مـــاله

فليس له مـــن ودهـــن نصيب

يردن ثراء المــال حيث علمنــه

وشرخ الشباب عندهن عجيب

وعيشة البادية على ما فيها من شظف العيش وخشونته محببة إلى أهلها ، فهم دائما يحنون إليها ولو نقلوا الى خفض العيش ووداعة الترف ، لذا كان الحوار بين محمد بن مسلم الحضري ومحبوبته البدوية ، يحوم حول هذا المعنى :

حلفت لو اعطى الحسا مــع خراجــه

عليّ بيبان الحضر ما يصكون[٢]

---

(١) اقفن عني : انصرفن عني : يوم بالشيب لزيت : لما وخط الشيب فودي .

(٢) بيبان : أبواب . الحضر : سكان المدن . ما يصكون : ماتغلق .

عنـــدي احب من القرع مــع دجاجه

هيم مجاهيم بالاقفــار يرعــون[1]

واحب من لبس العبى والعـــلاجه

شاوية شقرا بها الشوك مدفون[2]

ومن الحلو عــد كثير هماجــه

اكرع براسي فيه من غير ماعون[3]

ومن البدو جلف يربي نعـاجـــه

ولا سماقي من الورس مدهون[4]

---

(١) القرع . الدبا : مع دجاجه : يطهى مع الدجاج . هيم مجاهيم . مبتدأ مؤخر خبره (عندي) الهيم جمع هيماء وهى الناقة الكبيرة الجسم ، والمجاهيم هى الابل السود. بالاقفار يرعون : بالقفر ترعى .

(٢) العبي : جمع عباءة . العلاجة : العلاقة : حلية تلبس في العنق وغيره بالجيم لأن لهجتهم العامية تقضي بذلك . شاوية : نوع من العبى الرخيصة بها الشوك مدفون : مملوء بشوك الحسك والهراس .

(٣) الحلو : القراح . عد : مورد . كثير هماجه أجاج . أكرع برأسي : اعب برأسي . من غير ماعون : من غير إناء .

(٤) السماقي : الرجل الطويل الابيض . الورس : نوع من الطيب أصفر كانوا يتضمخون به فيقلب بشرتهم وثيابهم صفراء .

كل يدور رغبته في زواجه
والبدو ما للحضر يوم بيبغون[1]

ويشبهه تماماً قول ميسون بنت بحدل ، امرأة معاوية بن أبي سفيان ، حيث تقول :

لبيت تخفق الارواح فيه
احب الي من قصر منيف
ولبس عباءة وتقر عيني
احب الي من لبس الشفوف
واكل كسيرة في جنب بيتى
احب الي من اكل الرغيف
وخرق من بني عمى نحيف
احب الى من علج عنيف

والشعراء يرون ان شعراً خالياً من المبالغة ، لا روح فيه ولا اشراق ، ولو كانت هذه المبالغة بالغة حد الاغراق ، فالوصول بالممدوح إلى حد إيقاف الشمس متى شاء ، واستئذانها منه

(١) كلن يدور : كل يبحث . عينته : جنسه . يبغون : يريدون . ودخول حرف الجر على الفعل من سننهم أحياناً .

لتغرب وتطلع ، سائغ في مذهبهم ، لذا ذهب ابن لعبون في مدح ممدوحه إلى هذا المذهب :

ما عرجت شمس الضحى منـــه بغروب
الا وله من مطلع الشمس تـأويب[1]

ومن أولى بهذه المبالغة من أبي الطيب ، أستاذ المبالغات ، فهو يقول في كافور :

ولا تجاوزه شمس إذا شرقت
إلا ومنـــه لهـــا اذن بتغريب

وبكاء الاطلال ، واستنطاق الدمن ، أمر معهود لدى الشعراء ، ولهم وقفات عندها براً بمن سكنها وتذكر اً لعهودها ، ويمعن بعضهم فيقف وقفة من أضاع شيئاً ثميناً في تربها فجعل يبحث عنه ، ومن هنا يقول القاضي :

واحترت فيهـــــا كننى مذهب لى
قلادة قماش وانفرط ضاع بسهال[2]

(١) عرجت : مرت . تأويب : ارجاع .

(٢) احترت : تحيرت . كني : كأنني . مذهب : مضل . قلادة قماش : عقد لؤلؤ . ضاع بسهال : فقد في صحصح :

وقبله يقول أبو الطيب :

بليت بلى الاطلال إن لم أقف بها
وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمه

وكثيراً ما يسلك الشعر مسلك الناصح الأمين ، فيحرك القلوب ، ويستنفر الهمم إلى مكارم الأخلاق ، خذ ـ مثلا ـ قول سليم بن عبد الحى :

ما يحتظى بالمرجلة ساير النـــاس
والجود ما جادون بابه حراريس[1]

أليس عجز البيت بمثابة تيار كهربائى ، يسري في كيان الانسان ، فيوقظ أعصابه ، وينبه وجدانه ، ثم أليس هذا يتفق تماماً مع قول الشاعر العربي :

إذا أعجبتــك خـــلال امريء
فكن هو تكن مثل من يعجبك
فليس على المجـد والمكرمـــات
إذا جئتهـــا حاجب يحجبــك

(١) يحتظي : يحظى . المرجلة : الرجولة . سائر الناس : عامتهم . حراريس : حراس .

والمعالى لابد وان لها ثمناً ، فيشخصه لنا ابن جعيثن في البيتين التاليين ، قال :

طلب العلى ماهــوب زين السواليف
ولا بتسطير الحكي والدفافــة[1]

الا ببذل المــال وارخاية السيف
والعــلم والشيمة وكثر العفافة[2]

كما طرق هذ المعنى أبو الطيب بما هو أجزل وأكمل وانبل :

ولا تحسبن المجــــد زقــا وقينـــــة
فما المجد إلا السيف والفتكة البكر

وتضريب اعناق الملوك وان ترى
لك الهبوات السود والعسكر المجر

وتركك في الدنيــــا دويــا كأنمــا
تداول سمع المــرء انمــله العشر

ولطالما انخدع من انخدع بغنجهن ودلالهن ، فأطمعه ذلك

(١) زين السواليف : حسن القصص . الحكي : الكلام . الدفافة : ضرب الدف .
(٢) ألا ببذل : لكن ببذل : ارخاية السيف : الضرب به . كثر العفافة : كثرة العفاف .

بهن ، وهن أَبعد عليه من القبض على النجوم ، يصور ذلك ابن جعيثن فيقول :

هيف هـواهن الهـوى والتكياف
ولا عندهن للي بغاهن مروفة[1]
نظايف عن طرق الادناس وعفاف
راع الوعايد ماخذن من صروفه[2]

ويتناول هذا المعنى الشاعر العربي فيقول :

بيض حـرائر ما هممن بريبـة
كظباء مـكة صيدهن حـرام
يحسبن من لين الحديث زوانيـا
ويصدهن عن الخنى الاسـلام

وعسى ولعل تدليه الضارع الوكل ، فما قضت هذه يوماً من الدهر حاجة يأْخذ هذا المعنى العوني فيقول :

ولا تدرك الطولات والمجد بالمنى
قولة عسى تدليه قلب فطيم[3]

---

(١) هيف : جمع هيفاء وهي ضامرة البطن . هواهن : مرادهن . التكياف : الكيف . للي بغاهن : للذي أرادهن بسوء . مروفة : رأفة .

(٢) نظايف : لم تدنسهن ريبة . عفاف : عفيفات . راع الوعايد : صاحب وعود الخنى . صروفه : طرقه .

(٣) الطولات : المعالي . فطيم : طفل .

وقبله يصور هذا المعنى الشاعر الحماسى على بن مقرب فيقول :

ولا تذكرا عنـــدي لعــل ولا عسى
فما بعسى يقضى نجاح لطالب

وللصديق والصداقة حقوق كثيرة ، يحدثنا الشاعر محمد بن مسلم عن بعضها فيقول :

من الراي سامح صاحبك لا تعــاتبه
الى زل او ابطى بشىء تراقبه[1]

فمن لا يسامح صاحبه عند زلـــة
خلاه صرف البين من غير صاحبه[2]

وقد طرق هذ المعنى شاعر عربي فقال :

فعش واحدا أوصل أخـــاك فانه
مقارف ذنب مـــرة ومجانبـــــه

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها
كفى المرء نبـــلا ان تعـــد معائبه

(١) سامح : ان تسامح . إلى زل : إذا أخطأ . تراقبه : ترقبه .

(٢) خلاه : تركه . صرف البين : فعل البعد .

والكريم إذا ضاقت به أَرض ربأً بنفسه وفارقها . وفي ذلك يقول البديوي :

لا خير في ديرة يشقى العزيز بهـا
يمشي مع الناس في هم واذلال[1]

عز الفتى راس ماله من مكاسبهـا
يا مرتضى الهـون لا عز ولا مال[2]

ويأَخذ هذا المعنى ابن عثيمين فيقول :

فاربأً بنفسك عن دار تذل بهـا
لـو ان حصباءهـا در ومرجـان

وهضاب اليمامة في سموقها وارتفاعها وجمالها وبروز كثير من رعانها .. تشابه السيوف المصلتة في أَيدي الشجعان ، فيقول في هذا راكان بن حثلين :

وخشوم طويق فوقنـا كن وصفها
صقيل السيوف اللي تجدد جرودها[3]

---

(١) ديرة : بلدة . يمشي مع الناس : يعايشهم . إذلال : ذل .

(٢) من مكاسبها : من أطماع الدنيا . الهون : الذل .

(٣) خشوم : جمع خشم وهو الأنف والمراد هنا الرعان ـ شماريخ الجبال ـ طويق : اسم جبل اليمامة . كن : كأن . صقيل : سيوف صقيلة . اللي : التي . تجدد جرودها : يعاد صقل قديمها .

وقبله يقول عمرو بن كلثوم :

فاعرضت اليمـــامـــة واشمخــرت
كـأَسيــاف بـأَيــــدي مصلتينــا

وأوقات المرء ثلاثة ، وقت مضى وانقضى بخيره وشره ، ووقت هو فيه وهوله بحاله التى هو عليها ، ووقت مستقبل وهو بغيب ما يدري ما خلفه ، وقد تعرض الشعراء عربهم ونبطهم لذلك .

يقول راشد الخلاوي :

تري ابرك ساعات الفتى ما بها الفتى
وما فات مات وساعة الغيب غايبه (1)

وقد تناول هذا المعنى الشاعر العربي فقال :

انما هــذه الحيـــاة غـــرور
والجهــول الجهـــول من يصطفيها

ما مضى فات ، والمؤمــــل غيب
ولك الساعـــــة التى انت فيهــا

(1) ترى ابرك : ان أشد بركة الأوقات . بها الفتى : متعلق بمحذوف تقديره ما كان أو نحوه . مات : انتهى .

واسداء المعروف ، وتبادل الحسنى في هذه الحياة الدنيا .
أَما الآخرة فلا ينفع أَحد أَحداً .. يطرق هذا المعنى الشاعر النبطى (جري) فيقول :

وان كان ما نفع الفتى في حياتــه
ترى النفع من بعد الممات قليل[1]

وقد سبق ان طرق هذا المعنى شاعر عربي فقال :

كلانا غنى عن اخيــــه حياتــه
ونحن إذا متنــا أَشــد تغانيـــا

ولا يخلو جيل من فئة سافلة مرذولة ، كأَنها موكلة بنقل مساويء عباد الله لنشرها واشاعتها ، فهى كالذباب لا يقع إلا على مواطن الداء .. يتناول هذا المعنى حميدان الشويعر فيقول :

تروي الخنى عني ولا تنقــل الثنـا
كتاتيب سو عن شمالى مراوسه[2]

أَما الشاعر العربي فيقول :

إن يسمعوا ريبة طاروا بهـــا فرحـــا
مني ، وماسمعوا من صالح دفنوا

(١) نفع الفتى : من إضافة المصدر إلى فاعله .
(٢) ترى : إن . كتاتيب : جمع كاتب . مراوسة : محافظة . وفيه إشارة الى أن الملك الذى عن الشمال يكتب السيئات !

وليس شيئا أنكى من الصديق يقلب لك ظهر المجن ويناصبك العداء وقد عرف من أسرارك واخبارك مالم يعرفه العدو مما يجعله يصيب مقاتلك وينكي جراحك ..

يتناول هذا المعنى الخلاوي فيقول :

احذر حريبك في الملا فرد مرة
واحـذر صديق السوالف تحاط به

والعربي يقول :

احـــذر عـــدوك مـــرة
واحـــذر صـــديقك الـف مرة

فلربمــا انقلــب الصــديق
فــكان أعــلم بالمضــرة

وقيمة نفسك رهن بك انت فانت وحدك الذي تستطيع ان تفرض ثمنها على الناس فهى حيث تضعها .. يتناول هذ المعنى الخلاوي فيقول :

ومن هـان نفسه للملا هـان قدره
حتى تراه الذل يسعى بغـاربـه

والقاضى الجرجاني يقول :

اري الناس من داناهم هـان عنـدهم
ومن اكرمتـه عزة النفس اكرما

والحياة عند الخلاوي هى العز ، وإذا فقده الشخص فعلى الحياة العفاء فيقول :

حياة بلا عز محـا الله حظهـا
حيـاة الفتى ما فاتها العز خايبه

الذل داء للضـواري يسلهـا
كما سل داء السل معلوق صاحبه

فالحـر يختـار الفنى دون ذلـه
والموت اولى من ولات الزلايبـه

وقبله يقول أَبو الطيب :

ذل من يغبط الذليـل بعيش
رب عيش أخف منـه الحمـام

من يهن يسهل الهـوان عليـه
ما لجـرح بميت ايـلام

وإذا كان الجود يـأتي عن رهبة وذل فليس خليقاً بـأَن يسمى جودا .. يتناول هذا المعنى سعود بن مانع فيقول :

يهـــديه لاشرار مـــداراة شرهـــم

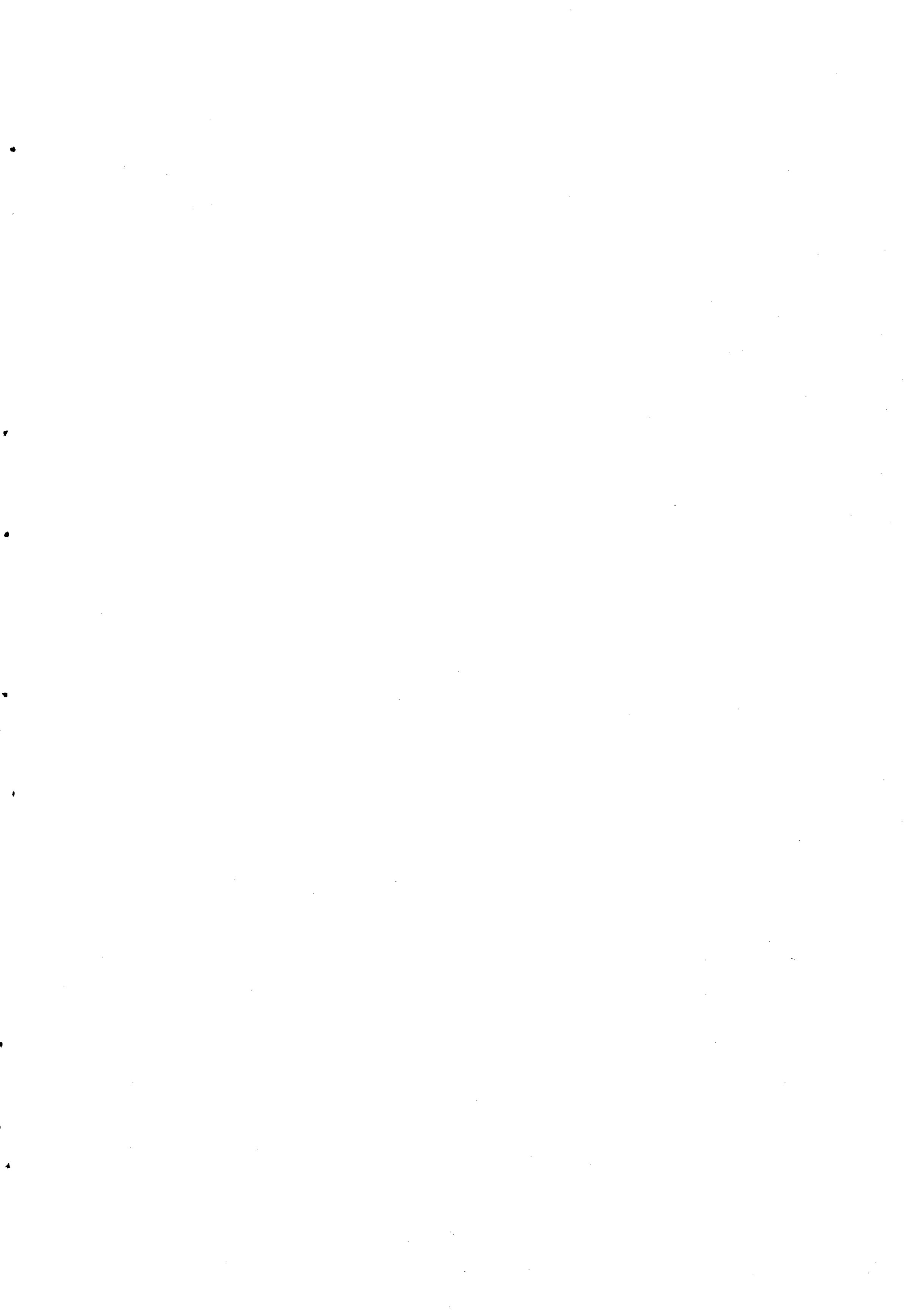
ومن بر خوف الشر فالبر ضايع

أَما ابن المقرب فيقول :

لعَمرك ما عز امرؤ ذل قـــومه

ولا جاد من يعطى عطيـــة راهب

ولو ذهبنا نتتبع هذه الناحية لطال بنا البحث ، واستبد بنا الحديث ، ولكن لعل في ما تقدم أَصدق دليل على ما إليه قصدنا ، ومن أَجله عقدنا هذا الفصل ..



اتفاق المعاني والالفاظ

ونجد كثيراً من شعراء النبط ، قد تناولوا كثيراً من معاني شعراء الفصيح ، وألفاظهم . وإذا وثقنا أن تناولهم للمعاني في بحثنا المتقدم ، من مجرد توارد الخواطر ، ووقع الحافر على الحافر ، الا ما ندر . فهل يصح أن نقول هذا أيضاً بالنسبة لطرقهم المعاني والألفاظ معاً ؟ !

قد يخامرنا الشك في وقوع هذا الاتفاق عفو المصادفة ، لاسيما وشعراء النبطي كشعراء العربي ، يحرصون على طرق معاني ، وألفاظ غريبة على السامعين ، احتيالا على اجتلاب قلوبهم ، واستدرار ثنائهم ، في وسط كان الغريب فيه مستحسناً ، والسهل مستهجناً ، وعندهم ان لا ضير في أن يستمد الشاعر النبطي من الشعر العربي ، بل قد يكون دليلا على مقدرته أن يكون له اطلاع على ذلك الشعر .

ولكن يحول بيننا وبين هذا الرأي أمران :

أحدهما بعد المحيط ، والبيئة ، والفهم ، بين هؤلاء الشعراء ومن وافقوهم في الشعر ، فيبعد أن نرى ربيب الفلوات

والقفار ، يلم بشعر المتنبىء أو أبي فراس حتى يتأثر بهما . ويسرق شعرهما ، وتفاوت الزمن بينهما كبير . وندرة دواوين الأدب إذ ذاك معهودة . والمشتغلون بالآداب العربية – إذ ذاك – أندر من الكبريت الأحمر .

الأمر الثاني أننا نرى الشعراء العرب قد توافقوا في كثير من المعاني والألفاظ ، ولم يجرأ أحد أن يقول إنهم قد سرقوا . إلا ما قضت القرائن عليه أنه من باب السرقة .

فما جاء في البيت التالى :

وقوفا بها صحبى على مطيهم
يقولون لا تهلك أسى وتجمل

مع البيت :

وقوفاً بها صحبى على مطيهم
يقولون لا تهلك أسى وتجلد

لم يسلك في عداد السرقات .

وكذا البيت التالى :

وما الناس بالناس الذين عهدتهم
ولا الدار بالدار التى كنت تعلم

مع البيت :

وما الناس بالناس الذين عهدتهم
ولا الدار بالدار التى كنت تعرف

والبيت الآتي :

لعمرك ما أدرى واني لأَوجل
على أَينا تعدو المنية أَول

مع البيت :

لعمرك ما أَدري وإني لأَوجل
أَفي اليوم أَقدام المنية أَم غد

كل هذا ما قيل عنه إنه سرقة ، فهل ما وقع لشعراء النبط يعتبر من هذا الباب ؟

أَو نقول إن ما وقع لشاعر حضري له بعض الالمام بالأَدب العربي ـ كابن لعبون ـ مثلا ـ من القسم الأَول ، ومالا ، فمن القسم الثاني ؟

وما وقع للقسم الأَول يكون من باب التضمين الذي هو باب من أَبواب البديع . وشعر النبط حافل به ؟ !

أَرجح هذا الرأي ، شريطة أَن ينطبق عليه حد التضمين ؟ !

ولنورد نماذج مما وقفنا عليه من هذا الباب ، وليكن محل الشاهد بين قوسين :

يقول ابن لعبون ـ موافقاً امرأ القيس في شطر بيت :

ينشدنني يوم انتوي الكل برحيل

(هل عند رسم دارس من معول)(١)

ويقول أيضا :

واقفى مصر كن جاكات شـــاله

(جلمود صخر حطه السيل من عال)(٢)

كما قد وقع لمحسن الهزاني إيراد هذا الشطر بكامله ، يقول في احدي رباعياته :

وان زرفل المسيوق وارخو لعنــه

والجيش هربد والرمك يشعفنـــــه

واهــوي على ركن من الخيـــل كنــه

(جلمود صخرحطه السيل من عال)(٣)

---

(١) ينشدني : يسألني . أنتوى . نوى . برحيل : باسكان الراء من أجل الوزن . من معول : باسكان اللام على الاصل . تبعاً لروى هذه القصيدة .

(٢) اقفى أدبر . كن : كأن . جاكات شاله : جاكت اسم حصان أو حمل . شاله . حمله .

(٣) سبق شرح مفردات هذا البيت .

ولمحمد بن مسلم ببعض تصرف يسير :

(فان كنت في كل المشاحي مودب
رفيقك فما تلقا الذي ما تواد به)

والاصل العربي هكذا :

إذا كنت في كل الامــور معاتباً
صديقك لم تلق الذي لا تعاتبــــه

ولمحمد بن لعبون موافقا لزهير بن أَبي سلمى في شطر بيت :

(تبصر خليلى هل ترى من ظعاين)
تقازن بهم فوق الشفا من حزومها[1]

وللبديوي الوقداني موافقا لحسان في بيت كامل :

(المال يحيى رجالا لا طباخ بهــا
كالسيل يحيى الهشيم الدمدم البالى)

ولحميدان الشويعر موافقا زهير بن أَبي سلمى لفظا ومعنى ببعض تصرف قال حميدان :

(انا ادري بعلم اليوم وامس بما جرى
وباكر بغيب والامــــور وقــوع)

(١) تقازى : ضرب من السير . دون الخبب وفوق المشي . الشفي : ما علا من الحزون .

وزهير يقول :

وأَعلم علم اليـوم والامس قبـله
ولكنني عن عـلم مـا في غـد عمى

وللشاعر (جري) هذا البيت موافقا الشاعر العربي فيه :

(فما أَكثر الاخوان حين تعـدهم
ولكنهم في النائبات قليـل)

وهذا البيت من قصيدة نبطية مطلعها :

يقول جري في حجا راس مرقب
رفيع الذري للرياح فيـه زليـل

شعر نبطي عربي

قد تكون ممن وقع له أن قرأ الشعر النبطي بلغته الفصيحة ، بقصد أو بغير قصد ، فجره ذلك إلى لعثمة ، وتردد ، وتحطيم لوزن البيت .. وأخيراً وقوف واستسلام .. ذلك أن هذا الشعر – كما قلنا سابقاً – بنى على لغة عامية صرفة ، فاذا خرج عن نطاقها انهار بناوه ، وفسدت سحنته . ولكن ألا يصح أن يوجد شيء من هذا الشعر قصد به العامية ، وتقرأه بها ، ثم تقرأه بالفصيح فيسلس قياده ، ويتفق معك شعراً فصيحا سليم اللغة والوزن .. ؟ !

هذا ما وقع ، وما وجدناه في تضاعيف الشعر النبطي ، وهذا واقع عفو المصادفة ، واللا ارادة .

ومن هذا نستنبط – أيضاً – نزوع الشعر النبطي – دائما – إلى العربي ، كما قد أثبتناه في مناسبة مرت ، وندرك أن ثمة صبابة من الفصحى لا تزال ثابتة للعامية الطاغية المتمكنة ..

ويوم تجد هذه البقية مدداً من أبنائها ، بحيث تجد نفسها في السوق ، والمنزل ، والمدرسة – استحسانا في بعض الجهات وواجباً في بعضها .. –

يوم تثق بعود المياه إلى مجاريها ، والفرع إلى أصله .

فهل لرجال التربية والتعليم أن يرونا شيئاً من هذا ؟ ! عسى ولعل ..

واقرأ معى هذه الشواهد باللهجتين ، ثم ارجع كل شاهد إلى بحره العروضى ..

يقول محسن الهزاني يخاطب خليله من قصيدة نبطية جيدة :

خليلي قم لى في دجا الليل بعد ما
جفا النوم عينى والبرايا هواجع

فاذا قرأته بلهجة فصيحة ، استقام لك وزنه ، ومعناه ، ولغته . وإذا قرأته بلهجة عامية ، فهو بيت من قصيدة طويلة تبلغ الثمانين بيتاً . وعند الرجوع إلى مطلع هذه القصيدة نجده هو الآخر يقوم شاهداً على ما أردنا ، لولا ما فاته من حلية التصريع ، وهاهو :

غنى النفس معروف بترك المطامع
وليس لمن لا يجمع الله جامع

ونمضى في قراءة القصيدة نبطية صرفة ، حتى نقارب نهايتها ، فنجد البيتين التاليين يتفقان مع سابقيهما لولا عيب الاقواء ، والشاعر ليس له دخل في ذلك ، وليس هذا يخل

بقصيدته كنبطية ، لأنه بناها ـ أصلا ـ على اسكان الحرف الأخير ، الذي هو العين .. وإنما أتى هذا العيب حينما أردنا من هذين البيتين أن يكونا فصيحين وبما لا يسلم لنا بعض مفرداتهما ، كا (خايع) مثلا في البيت الأول :

إذا ما انقضى النيروز فيها وخوضت
مطافيل غزلان المهاكل خايـــع

سقاهـــا الحيـــا في ليلة بعـــد ليلة
من المزن هتاف حقوق الروامع

أما بركات الشريف فيطالعنا في قصيدته النبطية التى مطلعها :

عفا الله عن عين للاغضا محاربه
وجسم دنيف وزايد الهم شاعبـــه

يطالعنا منها ثلاثة أبيات سليمة مستقيمة ، إلا من مغمز أو مغمزين ربما لا يرضى عنهما المحقق . يقول :

إذا نبحتنا من قريب كلابـــــه
ودبت من البغضـــا علينا عقاربه

نحينــــاه باكـــوار المطايـــــا ويمت
بناصوب حـــــزم صارخات ثعـــالبه

بيـــوم من الجوزاء يستوقد الحصا
تلوذ باعضاد المطايا جخـــادبه

ونجد بيتاً لابن جعيثن ملغزاً فيه للقلم أَجاد فيه وأَفاد :

ثم افتنى عـــن سائر مــا يهتـــدي
وهو الذي تهدي الورى مـــن رسمه

ولراشد الخلاوي :

ولا يد إلا يـــد الله فوقهـــــا
ولا غالب إلا له الله غالبـــه

وله أَيضا :

فلى من قـــديم العمر نفس عزيزة
أَعض على عصيانهـــا بالنــواجد

وقوله :

مقـــام الفتى في منصب العز ساعـــة
ولا أَلف عام يصحب الذل صاحبه

فـــلا بالتمنى تبلغ النفس حظهـــا
ولا بالتـــأَني فاز بالصيد طالبـــه

ولأبي حمزة العامري :

تـأبي عن الطمـع الزهيـد نفوسنا
وفروجنـا تـأبي عـن الفحشـاء

فشهرت رأس الرمـح ثم ركزته
في المهرة المقـذولـة الشقـراء

ولبركات الشريف أيضاً هذه القطعة الجميلة :

فلا تعذلاني عن وقـوفي بربعـها
فمن قبلكم خالفت بالنصـح عذالي

أنا من ذوي عبد الحميد بن مدرك
ذوي الضرب في الهامات والنسب العالي

أروم الأمـور العاليـات بهمـة
ويمنعنى خذلان قـومى وإقـلالي

وجزت فجاج الأرض شرقاً ومغرباً
على كل عيص تقطع البيـد مرقال

وليس يلام المرء بعـد اجتهـاده
ولا يدفـع المقدور حيلات محتال

إلى أن قال مادحا :

عزيز الحجا . بدر الدجا . ركن من لجى
اليه صدوق الواو والعين والدال [1]

فتى لا يرى الأموال إلا ودائعاً
لديه سوى سيف ورمح وسر بال

وعدة بولاذ ولدن من القنـــا
وصفرا علنـــداة من الخيل مصهال

ولعرعر بن دجين :

جضيعى من الهندي مصقول صــــارم
لما ناش من جثل العظام رمـــاه

ولزامـــل الحسينى :

فما الحمد إلا من قديم غريزة
لنـــا دون كل العالمـــين سناه

---

(١) أى أنه صدوق الوعد . ويشابه هذا قول أبي الطيب :

تملك الحمد حتى ما لمفتخر في الحمد حاء ولا ميم ولا دال

أى ليس لأحد حمد غيره .

ولرميزان (*) :

فحسن بن يعقوب بدا في جبينــــه
وحكم ابن داود بــدا في شمائــله

وله أيضاً :

انقل – وقيت – رسالة مكتوبة
ان الكتاب بيان عقــل الكاتب

(*) هو رميزان بن غشام التميمي صاحب روضة سدير والشاعر المفلق والحكيم اللبق ، فهو يعتبر – في زمنه – من أعلام الجزيرة وحذاقها .. وكان مع ذلك شجاعاً جريئا استطاع بقوة عزمه ونفاذ حزمه أن يقيم سداً في وادي سدير ليصرف السيل إلى بلده رغم ما وقف دونه من صعاب دونها خرط القتاد . وهنا يقول :

حكرنا لها وادي سدير غصيبة بسيوفنا إلى مرهفات حدودها
جرى لنا في مفرق السيل وقعة إلى حضرها مالك الله يعودها

إلى أن يقول :

بذرت الحساني في الحصــــاني وغرني
مصافى الحصاني عن مصافى يسودهـــا
يا حيف ياشم العــــرانين خلفوا
اراذل عميــــان تبي من يقودهـــا
مـــــوت الفتى موتين مــــوت من الفنى
وموت من اخلاف الذراري جدودها
ومن مـــات مرث من ذراريه مثـــله
فهو مثـــل نار جر عنها وقودهـــا

قتله ابن عمه سعود بن محمد الهلالي عام ١٠٧٩ هـ .

ولمحسن الهزاني :

ابى الله ما يبقى من الخلق واحـد
وكل نعيم ما سوى الخلد نافـد
فلا تبتغى من غـير مولاك مطلباً
فلا عنك يوماً يمنع الرزق حاسد

ولشاعر نبطى آخر :

ومن لا يرد الغيظ بالحلم زينت
له النفس حالات خبيث ورودها
حوى من جليلات المعاني سمانها
وخلى المعايا للرزايا تعـودها

إلى ان قال :

فلا حملت جرد السبايا متـوجاً
ولا حضنت بيض النسا في مهودها
بـأوفى جميل من معاني جميله
وأزكى يميناً بالمـلا في وعـودها

ولابن عفالق :

منازل قـوم من ذؤابة وائـل
لهم شرف عال على من ينـاوحه

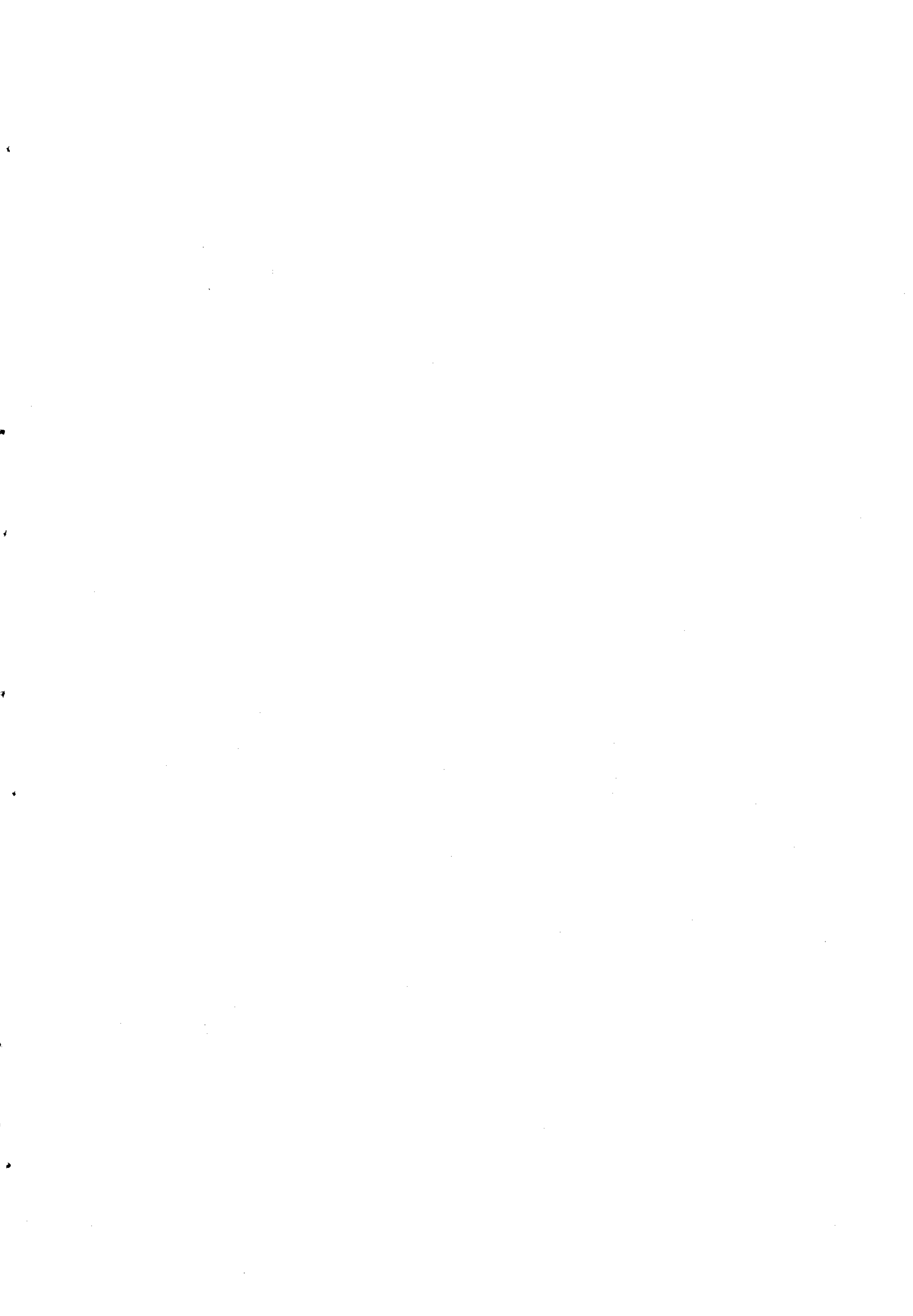
ولماجد القباني :

نديب على الدنيا شقا لو نديبه
على الدين ما مس النفوس عذاب

وقوله :

فما الناس إلا من تراب معادن
وما طاب من تلك المعادن طابا

وهذا شيء كثير ويكفى أن تعطينا هذه النماذج فكرة عن هذه الناحية .



الوصف في الشعر النبطي

يحتل الوصف في الشعر النبطى مكاناً رحباً ، ويأخذ منه بقسط أوفى والوصف هو أكبر الأغراض التى طرقها الشعر سواء كان عربياً أو نبطياً حتى ذهب من ذهب إلى أن كل شعر فهو وصف ، بمعنى أن الغزل وصف للمحبوبة ، والمدح وصف للممدوح ، والهجاء وصف للمذموم ، والرثاء وصف لمحاسن الميت . وهكذا .

وهذا وإن كان يصدق على الوصف عموما إلا أن ما اصطلح على تسميته بالوصف هو من البروز والشهرة بمكان يميزه عن غيره من الأغراض الأخرى ، يقول (المبرد) ـ يعنى الوصف ـ : « باب كأنه لا آخر له » [1]

والوصف ، كما يقول عنه عبد العظيم قناوي ـ : » هو عندهم تصوير الظواهر الطبيعية بصورة واضحة التقاسيم ، وتلوين الآثار الانسانية بألوان كاشفة عن الجمال ، وتحليل المشاعر الانسانية تحليلا يصل بك إلى الأعماق . »[2] .

---

(١) (الكامل) ج ٣ ص ٨٧٨ .

(٢) الوصف في الشعر العربي ج (١) ص (٤٢) .

فهم يقسمون الوصف إلى قسمين :

١ ـ وصف الظواهر الطبيعية .

٢ ـ وصف الآثار الانسانية .

وكلا هذين القسمين طرقهما شعر النبط وأوغل فيهما . فأَوصاف الغيث والسحاب وسباسب الأَرض . والفلوات . والرياض والأَشجار . والليل والنهار .. وغير ذلك من الظواهر الطبيعية .. كلها تناولها الشعر النبطى .

كما قد تناول الشجاعة والكرم والمروءة ، والنجدة ، والحب والهوي ، والناقة والفرس ..

كل ذلك وغيره من الآثار الانسانية . أَبدى فيها وأَعاد ..

وما أَخال الوصف في الشعر النبطى من حيث دقة التصوير . وسمو التعبير ، وعمق التفكير ، يقل عنه في الشعر العربي !!

خذ ـ مثلا ـ قول القاضى يصف نجم (المرزم) عند بزوغه :

يرفرف بنوره كل ما بان واختفى
كما عين عمهوج غنوج لعاشق[1]

---

(١) يرفرف بنوره : يتماوج ويضطرب . كما عين : كأنه عين . عمهوج : ذات جمال ودلال . غنوج : مرحة وخفيفة ظل . لعاشق : من أجل عاشق .

وهي ظاهرة مشهورة في هذا النجم ، كأنك تحسه في رأي العين يتماوج ويضطرب . وما اخال الفتاة اللعوب الغنجة ذات المرح وخفة الروح - وخصوصا في المجتمعات البدوية حيث تكون الفتاة على جانب من الانطلاق والتسامح البريء .. مع الاحتشام والخفر .. ما إخالها مع عاشقها الغزل الا كذلك ، ترمقه بنظرات متقطعة ، وتصعد بصرها تارة : وتصوبه أخرى ، وتغضه تارة وتحدج به تارة ، وتريغه تارة .

ولا تنس ما (لعمهوج) مع (غنوج) من الموسيقى الشعرية .

ويبدع رميزان في وصفه للحرابي ، رمضتها حرارة الأرض ، فامتطت أعالي الصخور والأحجار ، تتنسم الريح ، وتومىء برؤوسها لطلب النسيم .. يصفها بمؤذنين في مآذنهم يحركون رؤسهم بالأذان :

وحرابل بالقيظ تومى روسها
خوف اللظى ينجال عن مهمارها[1]

الى حميت الرمضا مقايلها الحصا
شروى مطاوعة بروس منارها[2]

---

(١) حرابل : جمع حرباء . خوف اللظى : مخافة الحرارة . ينجال : ينجلى .

(٢) مقايلها : جمع مقيل . شروى : مثل . مطاوعة : منتسبين لعلوم الشريعة والمراد هنا المؤذنون في رؤوس المآذن .

أما بركات الشريف فيصف بعض المعارك ، ويصور ما يتطاير من ريش الرماح بغربان اجتمعت على دمنة دار تو ما خلت من أهلها ، فهو يصف هذا الريش بهذه الغربان في طيرانها ووقوعها واقبالها وادبارها :

وريش القنا حومه كغربان دمنـــة
على رمم بين السمائين قاطبة (١)

ويصف ابن لعبون اندفاع براعم الكلأ المشتبك ، بالمخائط في حدتها واستقامتها فيقول :

قفر كلاه أنبوب ساق على أنبـــوب
زرق العسق بحماه مثل المغاليب (٢)

ويصف ابن سبيل نجيبا بقطاه لمحت عقابا ففرت مخلوعة اللب فلاقت إعصاراً ساعدها على الطيران مع كون القطاة من أسرع الطير طيرانا :

---

(١) ريش القنا : ما يتخذ حول نصل الرمح منه . حومه : طيرانه . دمنة : معهد المترحلين . رمم : جمع رمة . السمائين : المراد السماء والأرض ففيه التغليب .

(٢) كلاه : عشبه أنابيب بعضها فوق بعض . زرق العسق : اندفاع البراعم . المغاليب : المخايط .

يجفل إلى زول مع الحـــزم زيلان

ما يدركه بالمشى رقط الجناح (١)

يشدي قطاة طالعت حوم عقبان

صرت وصاعتها هبوب الرياح(٢)

ويفتخر راكان بن حثلين بقومه ويصف مظهرهم الحربي بمزنة – سحابة حمراء – لها هزيم بالرعد وتسكاب بالمطر ولكن رعدها هو صوت البارود ومطرها هو الرصاص وبرقها هو تلامع السيوف . وينتقل إلى وصف الرماح فيصف شباتها بالسن كلاب الصيد أَمعنت في العدو خلف الفريسة حتى نهكت فأَخرجت أَلسنتها من شدة الإعياء :

فان جر حربي علينـــــا جريرة

صبرنا عليه الين نقوى ردودها (٣)

---

(١) يجفل : ينفر . زول : بتشديد الواو بدا المرئي من بعيد زيلان : جمع زول وهو الشبح البعيد . رقط الجناح : الطيور السريعة الطيران .

(٢) يشدي : يشبه . طالعت : أبصرت . حوم عقبان : تحليق عقبان جمع عقاب وهو طائر من ابرز الجوارح . صرت : أومأت بطيرانها الشديد الصوت . صاعتها : جنحت بها .

(٣) حربي : محارب . جريرة . جنداً كثيراً . الين : حتى . ردودها : كناية عن الاخذ بالثأر .

فالى قوينـــا الرد نجزيه مزنـــــة
حمراً تزلزل في رهقها رعودها[1]

رعدها القهر ومصبب الدرج وبلهـــا
وحدب مقابيس البلى في حدودها[2]

ومواصيل بارقاب القناكن وصفها
أَلا سين سلق متعبتها طرودها[3]

وهذا وصف بديع جميل وفق إليه راكان .

ولم يعز على شاعر النبط أَن يجد وصفا يصور فيه روادف محبوبته ، ولكنه تصوير بديع ، ووصف حسن .. فهو يصفها بدعص رمل قائم ، تجرد من النبات ، وسلم من الاثر واللمس ، ثم أَصابه وابل ، أَشرقت عليه الشمس بعده ، فبدت شقرته ، وصفا لونه ، وطاب منظره :

---

(١) فالى قوينا : فاذا اقتدرنا . مزنة : المراد ملمومة من الجند كالمزنة في رعدها وجلبتها : علا صوتها . رهقها : اخافتها . رعودها : جمع رعد .

(٢) القهر : البارود . مصبب الدرج : معبأ الرصاص . وبلها : وابلها. حدب : جمع احدب وهى السيوف . مقابيس البلى : مفاتيح الشر .

(٣) مواصيل : جمع موصولة وهى سنان الرمح . كن وصفها : كأنها . الاسين سلق : السنة كلاب الصيد جمع سلوقي . طرودها : طرائدها .

الردف طعس يا على ما وطى بــــه
غب المطر شمس العصير شرقت به(١)

وأعتقد أنك قد وجدت معى في هذه النماذج صوراً وأخيلة لم يكن في حسبانك أن تجدها في شعر النبط .

أما ما يطرقه شعراء النبط من أوصاف لأشياء قل أن يخلو منها شعر شاعر كوصف الغيث والناقة ، والفرس .. وما إلى ذلك ، فسوف ، نجتزيء منها بما يسمح به المقام . .

يقول محسن الهزاني يصف السحاب والغيث ، وهو أحسن وصف وقفت عليه في هذه الناحية في الشعر العربي والنبطى. يقول :

خلاف الجفى والهجر واليأس والرجاء
بالاقدار يسقى دار واد المجامع(٢)

سبعة أســـابيع على يــــوم ثامن
بنجم الثريا ثم بالصرف تابــــع

(١) طعس : دعص وهو كثيب الرمل القائم . ما وطى به : لم يؤثر فيه المشى . غب المطر : بعده .

(٢) خلاف : بعد . بالأقدار : متعلق بيسقي . وادي المجامع : الحريق وهى بلاد بني هزان إلى اليوم .

بنـــو عريض حالك اللـــون مظلم

منه الفرج يرجى إلى شيف طالع[1]

لكن ربابه حينما ينشر الســـــدى

جنح الدجا ريلان صم المسامع[2]

نهـــاره كما ليـــل بهيم وليـــله

نـهار من إيضاح البروق اللوامـــع[3]

إلى ما غشا وقت العشا بعد ما نشى

حبا له من المشرق نسيم الذعاذع[4]

حبـــاذا الى هـــذا وهـــذا رفالذا

وهـــذا لهـــذا بالموازين تابـــع[5]

---

(١) بنو : بسحاب . إلى شيف : إذا رؤى ناشيء .

(٢) لكن : لكأن . ربابه : قطع السحاب البيضاء ترى في حالك سواده . السدى : هو خلاف المزن وهو ما يتمدد في الأفق أمام غليظ السحاب وكأنه بمثابة سدو البرد والمزن لحمته . ريلان : جمع رئل ولد النعام . صم المسامع : النعام .

(٣) كماليل : كليل . من ايضاح : بسبب اشتعال البروق اللامعة .

(٤) إلى ما غشى : إذا غشي الجو . حبا له : تصدى له وهى هبوب الصبا المشهورة بالقاح السحاب . الذعاذع : الهوى بين الرخاء والزعزع .

(٥) حباذا : المراد السحب المتفرقة ، الموازين : المقادير :

وزلزل وعزل بـه رباب ونـزل
بسجر وزجر مثل ضرب المدافع (١)

وخيم كما الحندس وغيم وديـم
الى حيث ما يبقى بالاوطان جاضع (٢)

وصكب وسكب ثم بالغيث ركب
وغطى ما وطا منه الوطا والمرافـع (٣)

وثور غبار الارض من ضرب ودقه
وضجن منه الجازيات الرواتع (٤)

بسيح وتسكاب إلى حيث ما يجى
له الحول والما في خباريه ناقـع (٥)

---

(١) زلزل : دمدم صوته . عزل : حل عزاليه والمراد شدة المطر . سجر : امتلاء . زجر : ارتفاع صوت الرعد .

(٢) خيم : أصبح كالخيام . كما : كمثل . الحندس : الظلام . غيم : حجب الشمس : ديم : انهمر . الى حيث : حتى . جاضع : مضطجع .

(٣) صكب وسكب : بمعنى دام تسكابه . وركب : لم ينتظر اقلاعه . الوطا : المنخفض من الأرض .

(٤) الجازيات : الظباء . تجتزىء عن الماء تهجر شربه . الرواتع : الراتعات .

(٥) خباريه : ملازمه .

ويقول بن لعبون :

يا مال هطـال صـدوق حقوقـه

مترادف مبناه طاق على طـاق [1]

يفتل نداف الطهـا من طبوقـه

مثل النعام ان ذارها زول تفاق [2]

ترفي مريضات النسايم فتـوقه

يشبه كما ليل على الصبح ينساق [3]

تفتر عن مثـل الدحاريج موقـه

أَربع ليـال مدلجات على ساق [4]

ولابن جعيثن :

يالله بنـو للرعـد به زلازيـل

ينشى من القبلة صدوق خياله [5]

(١) يامال : ليصبها . هطال : دائم المطر . صدوق حقوقه : منهمر مطره بشدة . طاق على طاق : طبقة على طبقة .

(٢) يفتل : يبدو . نداف : هو نافش القطن . طبوقه : طبقاته . زول تفاق : شبح قانص.

(٣) ترفي : ترفو . مريضات النسائم . هادىء النسيم . يشبه كماليل يشبه : ليلا .

(٤) تفتر : تتمايز : مثل الدحاريج : كقطع الحجارة الكبيرة . موقه : عيونه على ساق : متتابعات .

(٥) يالله بنو : أسألك سحاباً . زلازيل : صوت أجش عظيم . من القبلة وهى التى يأتي السحاب من قبلها . صدوق خياله : غير خلب .

وايلى انتهض ساق السدى بالهمايل
مثل النعام إلى تزايد جفاله (١)

وللعرينى :

سقوى الى حقت علينا السحابة
واخضر كل معذر من هضيبه (٢)

نونواه الحي ممانوي به
لين ايست منه الخلايق يجيبه (٣)

لكن رعاده برايد سحا به
طابور مصري دنا من حريبه (٤)

عله من البرة إلى اقصى اللهابة
واللى حدر منا يجيهم جذيبه (٥)

---

(١) وايلى انتهض : وإذا ارتفع . الهماليل : الشآبيب . جفاله : نفاره .

(٢) سقوى : سقيا . الى حقت : إذا انهل مطرها بشدة . كل معذر : كل سفح جبل . من هضيبه . مما ينحدر عليه .

(٣) نواه الحي : تمناه . لين ايست : إذا يئست . الخلائق : الخلق . يجيبه . يأتي به الله .

(٤) لكن : لكأن . رعاده : رعده . برايد سحابه : في جوانبه .

(٥) عله : لعله . البرة قرية من قرى اليمامة وهي بلاد يحي بن طالب الشاعر العرني المشهور . وبلاد عبد العزيز بن عيد الملقب (بالعزّي) الشاعر النبطي . اللهابة : منهل شمال الصمان . من المناهل الطويلة العمق . واللي حدر : والذى انحدر شرقي اليمامة . يجبيهم جذيبه يأتيهم سيله بدون ان يمسهم مطره .

عسى على الخمرة تمـــوه ربابه

يسقى لنا ذيك الفروع النجيبة (١)

ومزيرعة مجهم شجرهـا لـوى بـه

خلى صريع الطلح ما يلقى بـــه (٢)

حتى قري عبيـــد ملى شعابـــه

ما جاب في عصر الطرب له يجيبه (٣)

وديارنا اللي في مـــلاقي شعابه

يرجع لها عقب الشهابة عشيبة (٤)

---

(١) الخمرة : احدى الشعاب الكبار تنصب في وادي حنيفة من أعلاه . تموه : انقلب ماء ذيك الفروع النجيبة : تلك الشعاب الجميلة .

(٢) مزيرعة : أحد شعبي وادي العمارية ؛ والثانى اليسرى . وهذا الوادي ينصب في وادي حنيفة . مجهم شجرها : كبيره وكثيره . خلى صريع الطلح : ترك ما انصرع من هذا الشجر لا وجود له .

(٣) حتى قرى عبيد : قري بضم ففتح تصغير قري بفتحتين وهو المنبسط من الأرض يجري معه السيل بدون ان يجرحه : والمراد هنا قري الملقى مسقط رأس مؤلف هذا الكتاب .

ملى شعابه . ملأها . ما جاب : ما أتى به . عصر الطرب . عصر الخصب .

(٤) اللي : التي ملاقي شعابه . ملتقاها عقب الشهابة . بعد الاشهيهاب . عشيبة : ذات عشب .

ووادي حنيفة مدحبـــل الرجـــابه
جمه على الطيه يخضه عسيبه[1]

حتى النخل يشتاق حى مشى بـــه
باطراف سبحاته تنـــوح الربيبة[2]

ولهم في وصف الناقة شئون وابتكارات ، توارثوها خلفاً عن سلف . ومن أَحسن من وقفت له على شعر فيها العوني . قال :

ودنيت هجـــن يقربن المحـــاويل
هوج هجاهيج هجان نحايل[3]

---

(١) وادي حنيفة : هو أكبر أودية اليمامة ، وهو موطن بني حنيفة ويمتد من ثنية الأحيسي الى الدهناء مما يلي الخرج . مد حبل الرجابه : مدلاهله حبل الرجاء فيه . جمه : جمامه . الطية الواحدة من طي البئر . يخضه : يحركه والمراد أن جمام هذا الوادي بعد هذا السيل قد قفز إلى أعالي الآبار حتّى لتحركه عسب النخل .

(٢) حتّى النخل : لاجل أن النخل .. الخ . سبحاته : طيات العسب بعضها فوق بعض . الربيبة : الحمامة ذات الغناء والنوح .

(٣) دنيت : أدنيت . هجن : ابل سريعة . المحاويل : جمع محال وهى السير بالمفازه من الأرض ليس بها ماء . هوج : جمع هوجاء وهي الخفيفة المضطربة ، وهى صفة محمودة في الإبل . هجاهيج : سيرهن صلف . هجان : كريمات . نحايل . ناحلات من كثْرة السير .

قلايص عوص صعاصع شماليـــــل

من سلسلة نسل السباق السلاليل[1]

علاكم تطرب قــلوب المراسيـــــل

خفقات طفقات صلاب جلايل[2]

ولابن لعبون :

هجن هجاهيج بري حــــالهــا الدوب

من كثر ماراحن وماجن مناديب[3]

ينفى مناسمها الحصا تقــــل حالوب

غادر شبوبه ساهرات النحاحيب[4]

---

(١) قلائص : جمع قلوص وهى من الابل الطويلة القوائم الفتية . عوص : جمع عوصاء وهى الناقة الشديدة . صعاصع : مضطربات . شماليل : خفيفات . نسل السباق . السلايل : وهى الاصالة في الإبل كالعمانيات والمهرية والحرائر .. الخ .

(٢) علاكم : جمع علكوم وهى الناقة الصلبة . تطرب : تفرح . المراسيل : الرسل . خفقات طفقات : حذرات نافرات . جلايل : كبار الجسوم .

(٣) الدوب كثرة المشي : راحن وجن : أقبلن وأدبرن . مناديب : تحت الرسل.

(٤) تقل حالوب : كشأبوب البرد . غادر شبوبه : ترك شبوبه ـ قطع البرد الصغار ـ ساهرات نحاحيب : السحاب يسري في الليل له هزيم ودمدمة . يصف الحصاتنفيه مناسم هذه الناقة الشديدة على حفافي الطريق بالبرد تركه هذا العارض من السحاب وهو وصف بديع .

ولمحسن الهزاني :

فج المرافق كنهن الهراجيـــل
لين المقاود ناحلات الخفاف[1]

من سبعة اعوام وهن كنس حيــل
ما لمسن عن سوج عــوج الظلاف[2]

هجاهج يستتبعن المخــايـيـل
ودوارب في نشر طى الفيافي[3]

والفرس كالناقة في احتفاء العربي بها ، والتفنن في وصفها.. يقول راكان بن حثلين :

على جواد مثل ظبى الرمـــال
مثل العنود الى ترب العثامير[4]

---

(١) فج المرافق : واسعة ما بينهما . كنهن : كأنهن : الهراجيل : الطوال من الناس والضخام من الإبل . لين المقاود : داربات مروضات . ناحلات الخفاف : من كثرة السير .

(٢) كنس : ضامرات . حيل : لم يحملن . ما لمسن : ما تحسست ظهورهن عند تأثير الأقتاب فيها . سوج : جرح . عوج الظلاف : الاقتاب :

(٣) يستتبعن المخاييل : يتبعن آثار المطر ليرعينه . دوارب : مرنات .

(٤) العنود : قائدة الظباء . العثامير : جمع عثمور وهو الدعص من الرمل تألفه الظباء . ترب : تألف .

العنق عنـــق الى شطنهــــا الغزال

واذنيـن مثل مفلقات الكوافير [1]

وذرعان مثـــــل ملحيات السيالي

وسيقـان مثل مهدفات النواعير [2]

وحجبانهــا عــــدت بنوق الجلال

والغارب اشعى مثل رسم على بير [3]

والقين ما عدا على اربع قفـــــال

وحوافر يـزهن سدوس المسامير [4]

---

(١) العنق .. أى كان عنقها عنق ظبية ترقب ولدها من بعيد . شطنها : عاقها . أذنين : أذنيها . مفلقات الكوافير : طلع النخل في أغلفته .

(٢) ذرعان : ذراعاها . ملحيات السيالي : نوع من شجر البادية لحى عنه قشره فجاء أبيض يققا : سيقان : ما بين الركبة والحافر للفرس . مهدفات النواعير : مقوسات الخشب تجعل على سطح البئر تحمل البكرة والدلو ، فكأن ساقي هذه الفرس في تقويسهما وطولهما هذا النخع من الخشب .

(٣) حجبانها : الشعر في جفن الفرس . عدت : تجاوزت . بنوق : مكان ربط الحل . الجلال : الحل . اشعى طويل .

(٤) القين : مؤخر الحافر . ما عدا : ما تجاوز . أربع قفال : أربعة أصابع مضمومة إلى بعضها . يزهن : تزدان . سدوس المسامير : المعدة لربط حذاء الفرس في حافرها .

وكنه الى منـــه زواهــا الجفال

قرناس اهوى من رفيع المواكير[1]

يبكى عليها جـــل ذود متـــالي

الى نشى الوسمى مزونه مزابير[2]

كم قلطتهن صوب زين المفـــالى

في خايع عقب المطر ما بعد زير[3]

الى غدا الصمان مثـــل الزوالى

وزافت جويات الهمل بالنواوير[4]

ويقول أَبو حمزة العامري :

لم تلفنى إلا على يعبـــوبة

نوطا العنان مشبوحة العلبـــاء[5]

---

(١) كنه : كأنه . إلى منه : إذا هو . زواها الجفال : النفور . قرناس : الصقر نسل ريشه وخرج له ريش جديد . المواكير : جمع ماكر وهى وكن الطير .

(٢) جل ذود : كباره . متالي : تتلوها فصلانها إلى نشى الوسمي : إذا نشأ أول مطر الربيع . مزابير : كأنها الجبال .

(٣) قلطتهن : قدمتهن . زين المفالي : جميل المرعى . خايع : ملتف النبت . عقب المطر : بعد المطر . ما بعد زير : لم يزره أحد .

(٤) إلي : اذا . الصمان : مربع من مرابع العرب الشهيرة : فلله ما أجمل نبته وأحسن نواره وأطيب رائحته ، الزوالي : البسط تعمل من الصوف الملون بالألوان الجميلة المختلفة . زافت : اختلف نوارها . جويات : تصغير جيان وهى مواضع جميلة في الصمان : بالنواوير : بالنوار

(٥) يعبوبة : كناية عن الفرس الطويل. نوطا العنان: طويلته، مشبوحة العلباء: ناشزتها.

ما يقـــدر الرجل القصير يعنهـــا
الا أن يكون لهـــا على سنداء[1]

شبهت منخرهـــا ككوب عيـــلم
فحش عليـــه المايح الرواء[2]

هى الاوله حـــد الورود وصدرهـــا
خلف السبايا كنـــها عرجـــاء[3]

ويقول بركات الشريف :

قصير قينهـــا واف جمـــاها
كبيرة راس صهـــوتها رفيعـــة[4]

معارفهـــا كما بســـلة حريـــر
وذات مناخر جلـــغ وسيعـــه[5]

---

(١) يعنها : يقلدها الشكيمة . على سنداء : على مرتفع من الأرض .

(٢) كوكب عيلم : مثل النفق ينبع منه الماء الثر في بئر غزيرة الماء فحش : فرق رجليه . على شفيرها . المايح الرواء : جاذب الدلو .

(٣) الاولة : الاولى . حد الورود : وقته . السبايا : جماعة الخيل . كنها : كأنها .

(٤) قينها : مؤخر حافرها . جماها : هيكلها . كبيرة رأس : رأسها كبير وصهوتها مرتفعة .

(٥) معارفها : شعر رقبتها . بسلة : قبضة . جلغ : مجوفة . وسيعة : واسعة .

وحاركهـــــا كما ذيب مـــويق
على الرعيان ضار بالفديعة [1]

لهـــا صـدر وسيع الشبح رحب
منفجـــــة حواجبهــــا تليعـة [2]

منتجـة الفــلا من خيـــل نجد
طفوح الجري لينـــة الطبيعة [3]

الى ما سمعت صوت المـــذير
تنط عيونهـــا كنه خريعــــة [4]

وهكذا وصف المجاهل ، والوحش والليل ، والهواجر ، ونحوها .. مما حفل به الشعر النبطى ، واحتفل به ناظموه !

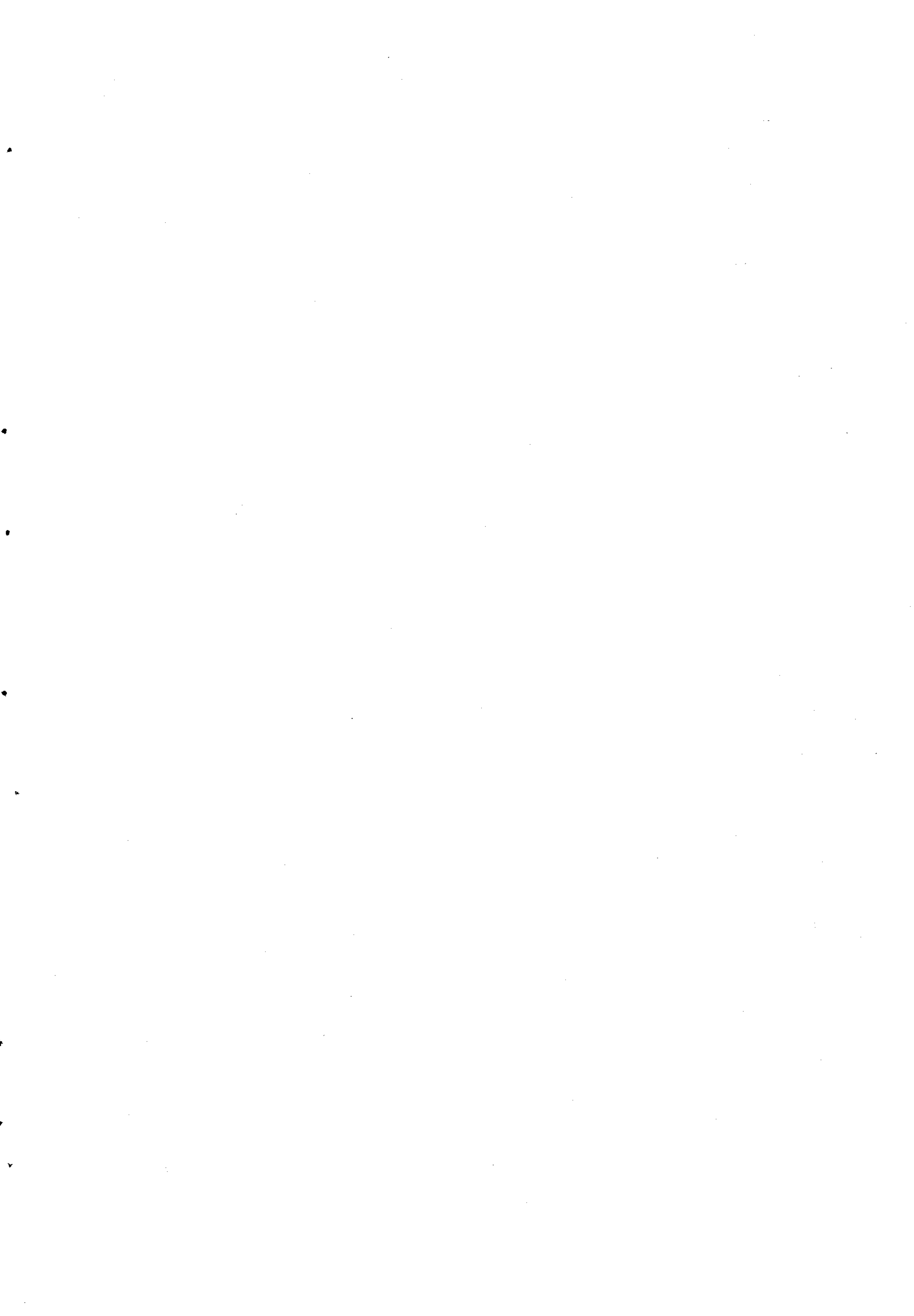
---

(١) حاركها : مجمع كتفيها . كما ذيب مويق : مثل ذئب مطل يرتقب غفلة الرعاة ليثب الرعيان : جمع راع . ضار بالفديعة : قد ألف السطو والخديعة .

(٢) وسيع الشبح : واسع الهيكل . منفجة حواجبها . واسع ما بينهما تليعة : طويلة .

(٣) منتجة : مهذب أصلها . من خيل نجد : ومنها تنمى السلالات العراب طفوح : سابحة .

(٤) المذير : النذير . تنط عيونها : تبرز عيناها وتمتعض . كنه خريعة : كأنها مخلوعة اللب .



الغـــزل في الشعـــر النبـــطي

واذا كان الشعر ذوب الضمير ، وقبس العاطفة ، وعصارة الوجدان .. تلقفته من مؤثر خارجى فتفاعلت معه ، وانعكس على صفحتها اشعاعا روحانياً ، تبرزه الحرارة ، ويتمثل في النبرات الموسيقية ، والنغم اللذيذ ، وكل ماكان هذا المؤثر الخارجى ذا فعالية أَكبر ، ونفوذ إلى العاطفة والوجدان اقوى .. كلما قويت الطاقة المولدة للشعر وقذفت به في قالب أنبل وأكمل

وغنى عن الدليل أَن نذهب إلى أَن ابن الصحراء يبز سواه من حيث شفافية الاحساس وقوة الشعور ، وتوقد العاطفة ، وصفاء الذهن .. وهذه هى الأَدوات الممغطسة اللاقطة للجمال ، والمتأَثرة بحرارة الوجد ولوعة الهوى ، وشقاء الحرمان ، في وسط يدين فيه ابن الصحراء بفضيلة العفاف ، ويؤمن بنزاهة العرض ، ويتحلى بنقاء الإزار .. وما مذهب بنى عذرة إلا مذهباً لاخوانهم – عرب الصحراء – وإن حملت الاسم تلك العشيرة . وما قول إحداهن : « أَو تزني الحرة ؟ ! » إلا رجعا لما يسود بيئتها ويتجلى في مجتمعها ..

فمن أَين للعربي متنفس ما بين هذين المؤثرين الكبيرين إلا أَن يذيب مهجته ويتنفس هذا الكبت شعرا يلتهب حرارة ، ويذوب رقة ، وينطلق اشعاعاً ، . ومن أَجل هذا جاء الغزل في الشعر – عربيه ونبطيه – في منتهى الجودة والاتقان .

ولعلنا باستعراض ما ندونه من نماذج نجد من الصور والأَخيلة والابتكارات مثلما نجده في الشعر العربي ، سواء بسواء. خذ – مثلا – قول ابن لعبون :

دار مى يـــــوم مى لى تسن
سنة العشاق عـــونك ياعوين[1]

دارهــــــا يـــوم الازار مورسن
والهـــوى مياح ورداهــا خنين[2]

غنجة العينين والخــــد الحسن
والقوام ان قام عود الياسمين[3]

---

(١) مي : مية . عونك يا عوين : أسألك اعانتك يامعين .

(٢) الازارمورسن : يوم أزارها يفوح بالورس وهو خليط من الطيب يجعل في جلابيب العذارى . مياح : ميال . خنين : تفوح منه الرائحة الطيبة .

(٣) غنجة العينين : فيهما جمال ودلال . عود الياسمين : شجر طيب الرائحة وفي أغصانه غضارة ونضارة ولين .

فهو يبكى دار مى . وبكاء الأطلال ديدن الشعراء ولكنه يوقظ هنالك ذكريات لذيذة هى ماسنته محبوبته آنذاك من العشاق . ولم يكتف بهذا بل ذيل : بعونك يا عوين . وهى عادة تقال أو يقال مثلها عند استعراض الذكريات الجميلة ، ويصحبها أنة تزيد في مد بعض حروفها ليظهر فيها التحسر والتوجع ..

ويتذكر بزتها يومذاك ، وكيف كان رداؤها وازارها ، وشذا رائحتها وجمالها . ورواؤها ، ثم ما في عينيها من غنج ودلال . فوق خد استبد بنصيب كبير من الحسن مع قوام يخجل غصن الياسمين لدانة وسموقا ..

ثم :

تشكى الجفا من لابسات الخلاخيل
نجل العيون معسلا الاشافي [1]
الفاضحـــات بحسنهن القنـــاديل
والذابحـــات بدلهـــن الزعـــاف [2]

(١) تشكي : تشكو . الخلاخيل : حلية تلبس في السيقان ويكون لها رنين إذا مشت لابستها . معسلات الاشافي : كأن في شفتيها أذيب العسل .

(٢) دلهن : غنجهن . الزعاف : طارد الهوى .

من أهيف غض بحسنه تهاويـــــل
والخد كنه بدر الانصاف صافي(١)

عرفه سواة الليـــل غاد عشاكيـــل
له فوق منبوز الردايف رداف(٢)

فلابسات الخلاخيل ، ونجل العيون ، ومعسلات الاشافي . أوصاف متباينة كلها من مقومات الجمال . ثم بقية أوصاف القطعة من النور ، والفتنة والهيف ، والبضاضة ، وكثاثة الفرع مع سواده .. ثم الفاضحات ، والذابحات وتهاويل الحسن .. وبدر الانصاف ، وغاد عشاكيل ، ومنبوز الردايف رادف . . تعابير موسيقية ، وجمل شعرية .. فيها الجاذبية والرواء .

وقد يطغى الحسن في دعج وغنج بعضهن حتى تصبح مالكة للعذارى ، وهن مماليك لها .

ومع ذلك فله لحظ فتاك أين منه فتك المشرفي .

---

(١) غض : بض . تهاويل : عجائب وغرائب . كنه : كأنه . بدر الانصاف : البدر ليلة تمامه . صافي : نقي لاقتر عليه .

(٢) عرفه : فرعه . سواة الليل : مثل الليل . غاد : صائر . منبوز الردايف : عبلها في انتصاب وقساوة . رداف : سبحات بعضها فوق بعض .

وأَحسن ما تشبه به الثنايا الدر ، وما يشبه به القوام . البان أَو الراك فيقول القاضى في ذلك :

ادعج غنج حط العذارى مماليك
والى مطى بسيوف الالحاظ فتاك[1]

فتح زهر ورد الخـــدود المفاليك
والى تبسم واضح الدر باداك[2]

ما احلاه لقبل في تمدريه يغـــــريك
يشبه قضيب البان او نبعة الراك[3]

واقرأَ مرة أَخري : ما احلاه لقبل .. ثم هل تجد ما أَجده من جمال هذا البيت وحلاوة نغمه .

واقرأَ له مرة أَخرى كيف يستحيل حديث محبوبته إلى سحر ، وسحر بابل أَيضا ، وكيف تنفرط درر الملاحة من ظرفه ولطفه .. ونهداه في استدارتهما وصغرهما يشبهان فنجانيقهوة

(١) أدعج : واسع العينين . حط : جعل . مماليك كأنهن اماء له من جماله . الى مطى : إذا صعد بصره . الالحاظ : العيون .

(٢) المفاليك : الجميلات . والى تبسم : وإذا ابتسم . واضح الدر : مبتدأ خبره باداك . ومعناه طالعك واضح الدر اثر ابتسامة .

(٣) لقبل : اذا أقبل . في تمدريه : في مشيته اللينة المتكسرة . يغريك . يفتنك . نبعة الراك : غصن الاراك . وهو شجر لين الافنان جميلها .

استدارا في لبة بدأت تظهر بها ملامح الفتنة وعرامة الانوثة .. وهو ادعج العينين وفي دعجهما غنج وغزل فهو يجيد الفتنة بهن ويشكل ملامحهن ليسبى اللب ويشغف القلب ..

ونطق تسلسل منـــه لى سحر بابيـل
وملح يتله من عجاريف دله (١)

زمـــة نهوده مثـــل دور الفناجيل
في لبـــة له توهـا مستقلة (٢)

مثل الخليـــل بغنج دعج مغازيل
يرمش ويغزل لي ومر يتله (٣)

وكل ما وجد الغزل وجد الصد والحرمان . والهجر والتمنع . – وأحب شيء إلى الانسان ما منعا – وأحر ما يكون التمنع حيث يكون المطل والوعود المعسولة ، والاماني المطلولة ، ويزيد ذلك حرارة إذا كان من فريد في جيله ، نادر في قبيله ليقول لنا ابن جعيثن :

---

(١) سحر بابيل : سحر بابل وهو الذي تحدث عنه القرآن . ملح يتله : ملاحة يحسن استغلالها . عجاريف : تشكل غنجه ودلاله .

(٢) زمة نهوده : بروزها . دور : استدارة . لبة : نحر . توها مستقلة : توما بدأت طلائع الفتنة تتجسم فيها .

(٣) مغازيل : ذات غزل ونظرات فتانة ، يرمش . ويغزل . ويتل نظرات تتشكل وتتفنن في الغزل والغنج والدلال .

مرتجهين بالمواصل ما يفيد
ضاحكات ميسرات بالوعـــود[1]

وافيـــات الهرج والمطلب بعيـــد
ساعة يصفن وساعات صـــدود[2]

ابتليت بواحـــد منهن فريـــد
به حـــلايا من ظبيات النفود[3]

زاهي وسطـــه بفتر ما يزيـــد
والردايف والنـــواهد والجعود[4]

كاسيات الترف عن برد الجليـــد
فوق متن معزل الردفين سود[5]

وهل نستطيع أن نحكم لمعشوق ما بالجمال ما لم نصور

---

(١) بالمواصل : بالوصل . ما يفيد : ما يدرك بغيته . ميسرات : موسرات .

(٢) وافيات الهرج : كلامهن معسول ولفظهن مقبول .

(٣) بواحد : معشوق . فريد : في زمانه . به حلايا : به امارات . ظبيات النفوذ : تصغير تمليح .

(٤) بفتر : الفتر ما بين رأس السبابة ورأس الابهام إذا فرج ما بينهما فهذا المقدار يساوى محيط وسط محبوبته . الردايف . الروادف . النواهد : الثدي . الجعود : شعر الرأس يشبه نبتاً يسمى الجعد طيب الرائحة يعلو بمقدار (٢٠ سم) متعثكل الأطراف وهو من فصيلة الشيح والقيصوم .

(٥) كاسيات : يعني الجعود . معزل الردفين : محسمهما . سود : المراد الظفائر .

للقاريء ملامح في مواطن الجمال برزت للناظرين ، وقامت خير شاهد للحسن عند المتوسمين .. وهذا ما أبرزه ابن جعيثن في مقطوعته التالية :

الساق دملوج سقنه مـــــدوده
في منبته ما هزعه كل هباب[1]

وامزايم مثــــل النقا في نفوده
يكسر عليهن راعى الدين لو تاب[2]

وانف قسم صـــافي خـــدوده وسوده
وخرس بلا كحل مظاليل وهداب[3]

جيـــده ونهـــده كاسياته جعــوده
وغر مناظيم عــذيات وعـــذاب[4]

(١) دملوج : فند الشجرة الممتلىء . مدوده : القنوات حوله . هزعه : لواه . هباب : كل نسيم يهب .

(٢) مزايم : متحمل . النقى : البروز يبدو في وسط النفوذ . يكسر : يصبو . راعي الدين : المتدين . لو تاب : لو أنه تائب .

(٣) سوده : المراد عيناه . خرس شديدة السواد بلا كحل خلقة . وليس التكحل في العينين كالكحل . مظاليل واهداب : يمتد لهما مع هدبهما ظل .

(٤) نهده : ثديه . كاسياته كستهما جعوده ــ ظفائره . غر مناظيم . المراد الثنايا . عذيات : نقيات . عذاب : جميلات .

وكثيراً ما يصاب الشاعر بمرض مزمن ، عز دواوه ، وتعذر شفاوه ، ويرى الاطبيب يطبه . ولا سبب يعالج به ، إلا شيئاً واحداً هو وصل الحبيب فهو أعز لديه من بلسم الطبيب يصور هذا المعنى الشاعر ناصر العريني فيقول :

يالى تعرفـــون اللظى في لاظى
أودع محامل مشة الصدر رضراض[1]

وش عادلو جابوا طبيب يحـاضى
شرب الدوى وهليلج الطب ماعاض[2]

أنـــا دواي المترفـــات المواضى
نوف الردوف اللي يعرفن الامراض[3]

صاف الخدود اللى غشاها البيـــاض
توضى كما الشيشة بدكان عواض[4]

(١) يالى : ياهؤلاء الذين . اللظى واللاظي : مرض فيه حرارة تأخذ بالقلب . أودع : ترك . محامل . حنايا . مشة الصدر : عظامه . رضراض . متكسرات .

(٢) وش عاد : ثم ماذا . لو جابوا : لو اتوا . يحاظي : يلازم . هليلج : نوع من العقاقير . ما عاظ : ما نفع .

(٣) المواضى : الوضيآت . نوف الردوف : نابياتها . اللي : اللواتى .

(٤) الى : التي . توضي : تضيء . كما الشيشة : كالمشكاة . دكان عواض : حانوت تاجر .

وأخيراً اليك هذه القطع الرقيقة في الغزل :

يقول محمد بن عرفج :

بلوى بليت بحب تلعـــــا عنـــود
في الشمس من طلعة جبينه تهايا[1]

ما أحلى دلـــوله يـــوم يقبل ينود
ومن اليدك ينفح بعصم الروايا[2]

واعيون تسحر بالمراميش ســـود
نجل تهواى بـــه سهوم المنايا[3]

بين النواهـــد والحشى والعضود
زجن عساي احيا كما انك دوايا[4]

---

(١) بلوى : من البلية والمراد بليت بلوى . تلعا : طويلة الرقبة . عنود قائدة الغزلان . في الشمس : خبر مقدم . تهايا : مبتدأ مؤخر . وفيه من البلاغة التشبيه المقلوب حيث جعل في الشمس ملامح من محبوبته .

(٢) دلوله : غزله وغنجه : ينود : يترنح في مشيته . اليدك : غرور الشباب وإدلال الجمال . ينفح : يومىء . عصم الروايا : كناية عن ظفائره المسترسلة التي تشبه الحبال تشد بها (الروى) المزادات .

(٣) المراميش : الهدب . نجل : واسعة . تهاوى تنطلق منها سهام المنايا .

(٤) الحشى : ما حول السرة . العضود : الاعضاد . زجن : فعل أمر من زجه إذا رمى به . عساى : لعلى . كما انك : لاجل أنك وهذه لغة قليلة يستعملها قلة من القبائل أصلها كما أنك دواى فافعل بى كذا وكذا .

يا سيد جيله يا ظليـــل الجعـــود

يا زين يا سلطان تلـــــع الصبايا(١)

ويقول رميزان :

مع طفلة تسبى الفـــؤاد بضحكها

مثل ابتسام البرق في ديجورها(٢)

مخموصة الاقـــدام ضامرة الحشى

كتف وردف والهفا بخصورها(٣)

ديقانة ، دجـــرانة ، سكرانة

تسوى العراق وشامها ومصورها(٤)

لولا اللبـــاس وطوقهـــا وحجولهـا

لقول خشف راتـــع بقفورها(٥)

---

(١) سيد جيله : بالجمال . ظليل الجعود . كثيفها . تلع الصبايا : طويلات الرقاب

(٢) طفلة : فتاة . في ديجورها : في ظلام الليلة الحالكة السواد .

(٣) مخموصة الاقدام : صغيرتهما . الحشى . الخصر . فهى نابية الكتفين والردفين وضامرة الخصر .

(٤) ديقانة ، دجرانة . سكرانة ، كلها صفات مرح وتمنع ودلال . تسوى : تساوى . مصورها : أمصارها .

(٥) الطوق : حلية تلبس في الرقبة . والحجول : تلبس في السيقان . خشف : غزال . قفورها : قفارها .

عجـــابة ، لعـــابة مزاحه

تشوى فؤاد الصب في تنورها[1]

معسولة مـــــدلولة مجمـــولة

من حسنها توضى نواحى سورها[2]

ويقول ابن عفالق من رباعية له :

ظبى على مارد حشى ضامري ورد

بمعثكل من فوق ناب الردف ورد[3]

حللت يابو وجنـــــة كنها الورد

مصيونة ما مسها كل قطاف[4]

ويقول محسن الهزاني من رباعية له أيضاً :

سبب عـــذاب العاشق اللي متعس

خشوف ريم بالموابـــــر تلعس

---

(١) عجابة .. الخ : أوصاف ملاحة وخفة ظل . تشوى . من الشي وهو الاحراق .

(٢) معسولة . الخ : صفات جمال : توضي : تضيء . سورها : جدران بيتها .

(٣) مارد حشى ضامري : على صميم قلبي . المعثكل : صفة لفرعه .

(٤) حللت : أنت بحل مما توقعه بي . وجنة . صفحة الخد . مصيونة : مصونة . قطاف : قاطف زهر الورد .

خـــذن من جنح الدجـــا يوم عسعس
جدايل دلق على المتن شراع(١)

في مفرق السوقين يـــوم التقينـــا
ولقلوبنـــا كم بالمباسم سقينـــــا

ياما تـحاكينـــــا وياما بكينـــــا
وياما رمعنا من عنانا بالاصباع(٢)

منهن يا مشكاي عفرا بهـــا طوق
تلعـــا سناد وشوفها طافح فوق

تسلب عقول أهـــل الهوي بالحكى بوق
في مشيها من غير سقم تـمر ياع(٣)

---

(١) اللي متعس : الذي ملدد . بالموابر تلعس : يتخذن الوشم . خذن : اخذن . جدايل . ظفائر . دلق : مسترسلات . شراع : واردات .

(٢) مفرق السوقين : ملتقى الطريقين . لقلوبنا : متعلق بسقينا . ياما تحاكينا : كم تحدثنا وكم بكينا وكم ضربنا بأصابعنا في ذلك اللقاء .

(٣) يا مشكاى : يامن اشكو إليه . عفرا : بيضاء . تلعاسناد : طويلة ومنتصبة الجسم . طافح : عال . بالحكى بوق : الباء متعلقة (بتسلب) والحكى الكلام . وبوق نائب عن المصدر في تسلب . فبدلا من ان يقول تسلبها سلباً قال تسلبها بوق والبوق بمعني السلب فهو دال عليه . من غير سقم : جملة معترضة . وفيه الاحتراس تمرياع : تثن وتكسر .

ومنهن فتاة كاعب ما لهـــا رنق

خمرية المجدول مسلوبة العنـــــق

شميت منهـــا ريحة العنبر الطلق

مدلولة لا شك ما هى بمطواع(1)

تشبه لغصن البـــــان لا من تثنى

ياما لهـــا من مستهــــــام تمنى

لا هيب لا نوطـــــا ولا هيب دنا

لولا بهاها قلت ذي عنز مقطاع(2)

وقوله :

اشتكى لك من هــــوي نجل العيون

يوسفيات المهـــا حم الشفاه(3)

(1) رنق : مثل . خمرية المجدول : لون شعرها أشقر . مسلوبة العنق : عنقها اتلع . شميت : شممت . ريحة . رائحة . الطلق : الصرف . مدلولة : مهذبة . مهيب مطواع : ليست بطيعة .

(2) لا من : إذا ما . ياما : كم . لا هي بلا : و (بلا) زائدة . نوطاً : مفرطة الطول : دنا : مفرطة القصر . بهاها : جمالها المشع . ذى عنز مقطاع : هذه أنثي ظبي

(3) يوسفيات : نسبة إلى يوسف في الجمال . حم الشفاه : جميلاتها عنبريات . الروائح : ريحهن العنبر .

عنبريات الروايـــح بالكمـــال
في جمال قايمـــات قاعـــدات

ساعـــدني يـــوم عجات الشباب
بالمواصـــل والدلول الباهـــرات (١)

وانكرني يـــــوم لاح بي المشيب
لا جزى الله بالجميل الغاويات (٢)

عذبني باعتـــــدال وانعـــواج
وانغماز كالبروق الموضيـــات (٣)

وانحراف وانصراف وانغـــراف
وارتشاف معســـلات صافيـــات

واغتمـــــاز وافتـــزاز والتـــزاز
واهتزاز قدودهـــن المـــايســـات

واجتمـــاع والتمـــاع وامتنـــاع
واستمـــاع للحـــكايا المطربات

(١) عجات الشباب . عنفوانه . الدلول الباهرات : الغنج والدلال .

(٢) لاح بي المشيب : بدأ في فودي . الغاويات . المدلات بجمالهن .

(٣) اعتدال .. الخ : صفات غيهن ودلالهن . الموضيات : المضيآت .

واقتراب وابعـــاد وارتحــــاب

واشتمام عطورهـــن الفايحات[١]

وقول حسين الصايغ :

تعززوا لى عند غضات الاشباب

لا يتلفنى بالكفوف المخاضيب[٢]

او باللواحظ سمهريات الاهــداب

أَو بابتسمام ثغور هن المشانيب[٣]

من هجر مدلول من البيض عجاب

سيد العذارى الخردات الرعابيب[٤]

خرعوب لقلوب المحبين نهــاب

يفتى بقتل اهل الغرام المصاويب[٥]

---

(١) هذه الأوصاف في الأبيات الأربعة كلها أوأكثرها مترادفة . والمراد ما يعذب به الشاعر من صور وأنواع التمنع والدلال ..

(٢) تعززوا لى : أرثوا لى : غضات الاشباب : الناعمات الكواعب . المخاضيب المخضبة .

(٣) اللواحظ : العيون . سمهريات الاهداب : هدبها كالرماح السمهريات . المشانيب : جمع أشنب .

(٤) مدلول : مترف . عجاب : مزاح . الخردات : الخرد . الرعابيب : ضامرات الخصور .

(٥) خرعوب : لين القوام ناعمه . المصاويب . المصابين .

مخماص خصر ضامر الكشح مكعاب
ساقيه دمج كنهن الأنابيب(١)

والقد غصن لى ذكر مايسه لاب
ازرى بعسال الرماح اليعاسيب(٢)

فان رنحه ريح الصبا والهوى طاب
ازرى بمياس الغصون المشاذيب(٣)

يا هيه ما ترحم شبح مفرقه شاب
حليف شوق هذبته التجاريب(٤)

هل بعد ما سقيتنى بالهوى صاب
وصل تريح به القلوب المتاعيب(٥)

فاغضى ولجلج لي بالألحاظ وانساب
واضفى على صبح المحيا الجلابيب(٦)

---

(١) مخماص : ضامر . مكعاب : كاعب . دمج : ملمومة ممتلئة . كنهن : كأنهن .

(٢) لي ذكر مايسه : يحركه أدنى حركة : أزرى : خجل وبز غيره . اليعاسيب : الطوال .

(٣) المشاذيب : المائسات .

(٤) ياهيه : ياهذا . شبح : هيكل عظمي شفه الوجد وبراه الانين .

(٥) المتاعيب : المتعبة .

(٦) لحلج : أبده بلحظه . انساب : أعرض . صبح المحيا : المراد غرته والتعبير مجازي . الجلابيب : جمع جلباب وهو ما تدنيه المرأة على وجهها .

الأغراض البلاغية في شعر النبط

أنا ممن يؤمن بأَن البلاغة في الكلام ليست بوضع حدود ، واستنتاجات ومعالم ، ومقاييس ، ليجعلها مفاتيح في يد المتعلم ، والدارس ، حتى إذا هضمها ، وأَتقنها ، واستطاع أَن يستنبطها بنفسه من الكلام العربي متى سمعه أَو قرأَه .. حكمنا بأَنه بليغ ، أَو قد أَدرك بلاغة اللغة العربية !!

وإنما البلاغة في تربية الملكة ، وسلامة الذوق ، وشفافية الاحساس . فهى مؤثر وجداني تلتقطه الحاسة المدركة ، وتبعثه في الشعور اهتزازاً وتأْثيراً .

فالبلاغة في الكلام بمثابة الجمال في الزهرة ، إن أَخذتها على أَنها جميلة وحسب ، ورحت تمتع نظرك بنضارتها ، وحسنها ، وجاذبيتها ، ازددت بها حبا واليها شوقاً .

وإن رحت تبحث عن مصدر الجمال فيها ، وتقلب تضاعيفها وتفتش طياتها ، ذهب جمالها ، وذبلت نضارتها وانقلبت شيئاً عادياً ، لا جاذبية فيه ولا تأْثير .

وهكذا شأَن اللغة العربية ، وبلاغتها . إذا شاقك فيها

قطعة شعرية أو نثرية ، ثم ذهبت تبحث عن مصدر جمالها ، وسلطت عليها المبضع ، وجعلت تشقق في أَحوال المسند ، والمسند إليه ، والفصل ، والوصل ، والقصر ، والمجاز بـأَنواعه والاستعارات ، والكنايات ، وأَنواع البديع . أَذهبت جمال هذه القطعة ، وأَطفـأَت جذوة تـأَثيرها .. وهكذا كان العربي يفهم بلاغة القول بدون تشقيق ولا تلمس .

فالوليد بن المغيرة حينما تركه القرآن مبهوتاً لبلاغته السحرية ، وهو من هو في الفصاحة والبيا ن ، لم يكن مصدر هذا التـأَثر لديه شيئا مما نسميه البلاغة اليوم ، وإنما كان اشعاعا روحانيا ، سرى في كيانه ، وخلب لبه ، إنه قد أَدرك الحلاوة والطلاوة ، والاغداق والايراق ، والسمو والعلو .. فقال قولته المشهورة ..

وهكذا لما سمع عتبة بن ربيعة إجابة النبى عليه السلام على اقتراح قريش عليه ، ومطالبتهم اياه بالتخلى عن هذا الامر ، تتمثل في قوله تعالى :

(حم تنزيل من الرحمن الرحيم ، كتاب فصلت آياته ، قرآنا عربيا لقوم يعلمون ، بشيراً ونذيرا فأَعرض أَكثرهم فهم لا يسمعون ، وقالوا قلوبنا في أَكنة مما تدعونا إليه ، وفي آذاننا

وقر ، ومن بيننا وبينك حجاب ، فاعمل اننا عاملون) .. إلى قوله : (ذلك تقدير العزيز العليم ، فان أعرضوا) .

وكان يستمع لهذه الآيات في خوف واشفاق ، وكان مأخوذا بهذا الاسلوب التأديبى العجيب ، حتى إذا بلغ (فان أعرضوا) أخذ يده فجعلها على في رسول الله صلاة الله وسلامه عليه ، وناشده الله والرحم ان يكف مخافة أن تأخذهم الصاعقة في ذلك الوقت ، من شدة تأثير هذا الكلاء في نفسه ! !

هكذا بلاغة القرآن ، وهكذا يفهمه العربي ، وهكذا لو سألت أديبا ذواقة سمع القرآن فهزه ، أو الشعر فأعجبه . هل كان مصدر ذلك انه يتابع القرآن أو غيره في هذه القواعد التى حفظها في البلاغة ، ويتأثر كلما مرت به قاعدة ، أو كلما وجدها تنطبق على جملة .. أو أنه قد نسي أو تناسى تلك القواعد فتركها جانبا ، وظل يتلذذ بهذا الأسلوب بمؤثر خارجى آخر لا علاقة لتلك القواعد به ؟ !

سوف يقول لك لا محالة هذا الاخير !

وأخيرا فان الجمال سواء كان حسيا أو معنويا ، لا نحاول ادراكة بالتقاسيم والتشقيقات ولكن بالأذواق والادراكات ..

ولعلنا بهذا لم ننأ عن موضوعنا ، ونكون قد عملنا لحسابه ، ذلك انني أريد أن اثبت أن البلاغة في هذا اللون من الأدب لا تختلف عنها في أي لون آخر ، وأن البدوي الحاذق الذي لم يشم للثقافة رائحة – بله القواعد البلاغية – يعجب بمليحه ، كما يفر من قبيحه .

والمتذوق للشعر النبطى يجد فيه من الجمال ، والصور ما يجده الذواقة العربي في فصيح اللغة ، والأدب . فلطالما اهتز له السامعون واثاب عليه المثيبون ، ووجد فيه الجمال والسحر الحلال ..

ولسنا حينما نقول هذا القول ، نجد أن شعر النبط خال من الأغراض البلاغية الاصطلاحية ، بل هو كصنوه حافل بها ، غنى بقواعدها ، وسوف نورد في هذا الفصل ما اتفق لنا من الشواهد بدون إحاطة أو استقصاء ، إذ لو ذهبنا نورد على كل جزئية شاهداً لطال بنا البحث ، ولحدنا عن طريقنا المرسومة .

يقول الشاعر النبطى (ناصر العرينى) مشبها خدي محبوبته بمشكاة ، ومستكملا اركان التشبيه الاربعة :

صافي الخدود اللى غشاها البياضي
توضى كما الشيشة بدكان عواض[1]

فالمشبه خدا محبوبته ، والمشبه به (الشيشة) ـ المشكاة ـ ووجه الشبه الوضاءة ، واداة التشبيه (كما) المؤدية معنى كمثل ، وغرض التشبيه هو تزيين المشبه ، وهو في هذا المثال مرسل مفصل لذكر أداة التشبيه ووجه الشبه .

أَما التشبيه التمثيلى فيتمثل في أَبيات لمحمد أَبي دباس ، في وجده على ابنه البعيدة داره ، المنقطعة اخباره، فهو يمثل وجده بوجد قناص اولع بصقر جميل المظهر نادر المخبر ، اندفع خلف حبارى ذات بيض ذعرت آخر النهار وامعن في طلبها حتى داهمه الليل وباتت يدا صاحبه منه صفرا .

عشرين عام كلها ارجوك يا دباس
مثل الغرير إلى تولـع بطيره[2]

---

(١) اللي : التي . غشاها البياض : أشربت به . توضى : تضيء . كما الشيشة : مثل المشكاة . بدكان عواض : بحانوت بائع .

(٢) أرجوك : أنتظرك . دباس : ابنه . الغرير : الشاب قليل التجربة . تولع بطيره : أولع بصقره .

عدل المناكب هيلع فرخ قرناس
يمناه في لطم الحباري شطيره[١]

عانق خلوج روحت عقب مرواس
عند العصير لبيضها مستذيرة[٢]

والليل جاه وحال من دونه الياس
روحه على فرقاه فرت فريره[٣]

فهذا تشبيه تمثيلى وجه الشبه فيه صورة منتزعة من متعدد

وفي التشبيه الضمنى يقول أَبو زيد :

لعل رجل شوفته قد حاله
تعطى سريع زوجته فيه الابدال[٤]

---

(١) عدل المناكب : بارز جذمي الجناحين : هيلع : صارم . فرخ قرناس : سليل فصيلة ممتازة تنسل ريشها كل عام (تقرنس) وتخرج خوافي وقوادم جديدة بغاية القوة والمتانة . يمناه : يمينه والمراد صوائده . لطم الحباري : ضربها الحبارى وزان (صوارى) جمع حبارى وهو طائر كبير ذليل اعتاد الناس صيده بالجوارح شطيرة : لبقة خفيفة .

(٢) عانق : تبع . خلوج : حبارى ذات فراخ . روحت : راحت . عقب مرواس : بعد غيبة عن فراخها . عند العصير : وقت تضيف الشمس للغروب وتسميه العامة بهذا الاسم تصغيراً للعصر . مستذيرة : نافرة مذعورة .

(٣) الليل جاه : جنه . روحه : الضمير يرجع إلى القانص . على فرقاه : من أجل فراقه . فرت فريره : فرت روحه مثل فرار هذا الطائر .

(٤) رجل : أى رجل كان شوفته : رؤيته . قد حاله : قدر نفسه . الابدال : البديل منه بفراقه أو هلاكه .

فالحمرة تدرك معوشة عيـــاله

لا عاد ما يبغى منه بعض الأَحوال[1]

فالمشبه والمشبه به ليسا بارزين – هنا – على صورة التشبيه المعهود ، بل يلمحان من الأَسلوب فقط .

وهكذا كل تشبيه ضمنى ، والغرض منه هنا إمكان ما أَسند إلى المشبه من حكم .

ومثال التشبيه المقلوب قول ابن لعبون :

الى افتر بسام الفجر تقل خرعوب

تضحك على الداية فدنوا يعابيب[2]

فالمفروض أَن ضحكة الغادة الخرعبة ، تشبه بابتسام الفجر لا العكس ولكنه بالغ بالتشبيه فقلب مشبهها ابتسام الفجر بابتسام الخرعبة ، ومعلوم أَن وجه الشبه دائماً في المشبه به أَقوى منه في المشبه .

---

(١) الحمرة : طائر صغير ذليل . معوشة عياله : قوت فراخها . لا عاد : ما دام . ما يبغي منه بعض الاحوال : ما يراد منها شيء آخر .

(٢) الى أفتر : اذا ضحك . بسام الفجر : ضاحكه . تقل خرعوب : مثل الخرعبة المرأة تتثني لينا ورقة . الداية : القابلة . دنوا يعابيب . ادنوا يعملات .

وفي المجاز اللغوي قول العوني يمدح ابن صباح :

الى احترك سبع الجزاير تحركت
والى رسا ترسى رواسى جبالها[1]

فتحركت ، ورسا ، لفظان مستعملان في غير ما وضعا له ، ففيهما إذا مجاز لغوي ، والعلاقة بينهما وبين المعنى الحقيقى المشابهة ، والقرينة المانعة هى امتناع تحرك سبع الجزائر ورسو الممدوح .

ومثال الاستعارة التصريحية قول ابن لعبون :

شبل نشا ماداس بالعمر عذروب
ومنزه ماعاب عرضه ولا عيب[2]

فشبه ممدوحه بالشبل بجامع الشجاعة في الكل ، ثم استعار اللفظ الدال على المشبه به وهو الشبل للمشبه وهو الممدوح ،

---

(١) الى احترك : إذا تحرك . سبع الجزاير : لعل المراد بها القارات وهو تعبير عامى لا يستند إلى حقيقة علمية والمراد به التهويل . والى رسا : واذا رسا ترسو . رواسي جبالها الضمير يعود على الجزائر .

(٢) شبل : ولد الأسد . ما داس : ما أتى بالعمر — مدة عمره . عذروب : ما دنس عرضه ولم يعب من قبل غيره .

على سبيل الاستعارة التصريحية ، والقرينة ما داس بالعمر عذروب .

وفي الاستعارة المكنية البيت الذي بعد شاهد التصريحية في نظم هذه القصيدة :

ديم المحل مرغى الفحل عقب ما هوب
يرزم طويل الناب شوق الرعابيب[1]

فشبه الممدوح بالربيع ، ثم حذف الربيع ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الديم على سبيل الاستعارة المكنية ، والقرينة اثبات الهملان للمدوح :

(١) ديم المحل : الديم المطر الدائم التسكاب والمحل الجدب . مرغي الفحل : جاعل الجمل الشرس يرغى بعد هديره ، وهما حالتان للجمل متباينتان يرغى إذا خضع وذل ، ويهدر إذا تعاظم واغتاظ . عقب ما هوب يرزم : بعد ما كان يزمجر ويشقشق . طويل الناب : بازله والمعنى أنه مكتمل في سنه :

وابن اللبون إذا ما لز في قرن   لم يستطع صولة البزل القناعيس

شوق الرعابيب : صفة أخرى للممدوح بأنه ممن تشتاقه الرعابيب ذوات الحسن والملاحة .

وفي الاستعارة الاصلية قول راكان بن حثلين [*] :

فيا الله يا المطلوب يا قايد الرجا
يا عالم نفسى رداها وجـودها [1]
انك توفقها على الحق والهـــدى
ما دام خضرا مابعد هاف عودها [2]

(*) هو راكان بن فلاح بن حثلين زعيم قبيلة العجمان ومن أسرة تتزعم هذه القبيلة خلفاً عن سلف وقد كان شاعرنا إلى جانب زعامته المطلقة شجاعاً فاتكا ، وفارساً مغواراً ، وأحد أعلام الجزيرة في زمنه ، عرضته شجاعته وزعامته لحذر الحكام ، وتسليط الأضواء نحوه حتى سجن وعذب . . وشعره خير مصور لحياته ، وناطق عن نفسه الكبيرة الطموح . يقول من قصيدة .

حريبنا نسقيه كأس من الصدى والحبة الزرقا لكبده برودها
وان زارنا سبع يدور لغره كفوفه دروع من فجايا صيودها
عبينا لزوراته قراها الى أقبلت وخطرنا على زيزومها اللي يقودها
ومع الزود تكفيني مناعير لابتي واتاجر بنفسي واتنومس بزودها
وعسى جواد ما تعرج يصيبها شبا مطرق يقطع ملاقي عضودها
وانا ذخيرتهم الى دبرت بهم شعث النواصي والنشاما شهودها
ونقلط للعقال بالعقـــل مثلهـــا ونعبا لعيلات المقرد قرودها
حلاوة الدنيـــا لهـــذى ومثلها ونفس الفتى لابدها من لحودها

عاش في أواخر القرن الثالث عشر وترك له في مسامع الزمن ذكر يروى وشعر يهوى ..

(١) المطلوب : المدعو . قايد الرجا : مناط الرجاء . رداها : تقصيرها . جودها : كياستها .

(٢) انك : نسألك . على الحق : الى الحق . مادام . مادامت . خضرا : حية : ما بعدها ف عودها : قبل ان يأتيها الهلاك .

شبه نفسه بشجرة بجامع الحياة في كل ، ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الاخضرار ، فالاستعارة إذا مكنية أَصلية .

وهكذا في بقية الاستعارات التبعية ، والمرشحة ، والمجردة ، والمطلقة ، والتمثيلية كلها لا يعوزنا فيها شاهد من الشعر النبطى

وفي المجاز المرسل يقول مبارك بن مويم :

أَوصيك لا تدنق مدانق مـــذلة

عليك عيون المرقبات نظور(١)

فالمراد بالعيون هنا أَهل العيون ، وهم المتتبعون لأَحوال الناس ، فالاستعمال إذاً مجازي ، والعين جزء من الإنسان المتتبع ، وقد أَطلق الجزء وأَريد الكل على سبيل المجاز ، العلاقة في الشاهد الجزئية .

وفي المجاز العقلى قول راكان بن حثلين :

يتلون براق سمر يشعل اشعــال

تلقى الترابي فايض عقب سيله(٢)

---

(١) تدنق مدانق مذلة : تسف بنفسك اسفاف ذل : عليك : فان عليك . المرقبات الرقباء . نظور : ناظرة .

(٢) يتلون : يتبعون . براق : بارق . سمر : ظل طيلة ليله يشعل اشعال : يشتعل اشتعالا . تلقى : تجد . الترابي فايض عقب سيله : فائضا بعد مسيله .

فاسند الفيضان إلى التراني ، وهو واد والوادي لا يفيض وإنما يفيض ماؤه ، إذاً فهذا مجاز عقلى وما المسوغ لاسناد الفيضان إلى الوادي ؟ المسوغ لذلك هى العلاقة المكانية .

وفي الكناية يقول ابن لعبون :

عفيف الجيب ما داس الملامـــا
ولا وقف على طرق المخازي(١)

فعفة الحبيب كناية عن صفة وهى العفة في الشخص ، والطهارة ، وإذا كان جيبه خالياً مما هو محرم عليه لزم منه العفة والصيانة .

وحسبنا أن أوردنا بعض الشواهد على أَمهات مسائل علم البيان .

أَما علم المعاني فمعظم بحوثه يقتضيها أَسلوب الكلام ولو كان عامياً ، كالخبر والانشا وما يتفرع عنهما . وليس في الشعر النبطى ناحية تشذ عن قواعدهما ، فلا حاجة لاقحام الشواهد في هذا البحث ، اللهم إلا القصر ، والفصل والوصل ، لأَهميتها فسوف نورد ما يتفق لنا من شواهد فيها .

---

(١) ما داس : ما أتى. المخازي : المخزيات .

ففى القصر بالنفى والاستثناء يقول القاضى :

ولا ذكر مخلوق عن العيب معصوم

الا الذي ظلل علـيه الغمام [1]

فالعصمة ليست موجودة لأحد ، إلا لمن ظلل عليه الغمام وهو النبى عليه السلام ، فهى مقصور ، والنبى مقصور عليه ، وهى من باب قصر الصفة على الموصوف ، وهو قصر اضافي بالنسبة إلى سائر الانبياء .

وهكذا بقية طرق القصر .

وفي الفصل قول العرينى :

يا اللي تروم المرجلة رسمهـا جـاك

مشكاة ليل شبها ناصح لك [2]

وجب الفصل هنا لأن بين الجملتين تمام الاتحاد ، فالجملة الثانية تعتبر بياناً للأولى ، فبين الجملتين كمال الاتصال .

---

(١) الذي ظلل عليه الغمام : هو النبي عليه السلام وهذه من معجزاته .

(٢) يالى : ياالذي . تروم المرجلة . تعشق المعالي . رسمها جاك . خذ امارتها . شبها : أوقدها .

وفي الوصل يقول عبيد بن رشيد :

اشرب هماج المـا ولو كان مطروق

واصبر على صكات بقعا والاكوان[1]

وصل هنا بقصد اشراك الجملتين في الحكم الاعرابي .

أَما الصور البديعية فلها نصيبها الأَوفي من شعر النبط ، والبديع يقول عنه علماء البلاغة : إنه بمثابة طلاء وتحلية وتزيين للكلام ابتكره المتأَخرون وليس من صميم علوم البلاغة في شيء .

فهل جاء شعراء النبط مقلدين ، أَو اتفق لهم على سجيتهم العربية الأَصيلة وليس للتقليد أثر عليهم ؟ !

أَما محيط هؤلاء الشعراء فلا يسمح لهم بالتقليد ، ولا يمكن أَن نقول إن هذه الصور البديعية البارزة في شعر النبط ، جاءت نتيجة لمحاكاة وتقليد وإنما لملكة مرتكزة في طبع العربي .

وعلى هذا فلا يصح أَن نقول عن كل بديع في شعر انه طلاء

(١) هماج الماء : أجاجه . مطروق : معكر . صكات بقعا : نكبات الدنيا . الاكوان : جمع كون وهوالهرج والقتال .

بل نفرق بين ما جاء عفو السجية والطبيعة ، وبين ما ظهرت فيه الصنعة والتكلف . فالأَول صورة من صور البلاغة ، التى اصطلحوا على تسميتها كما في البيان والمعاني ..

والثاني تكلف وصنعة بمثابة التكحل للشوهاء ، وليس التكحل في العينين كالكحل ! !

ومن الشواهد في صور البديع ، قول الشريف محمد بن عون في الاقتباس :

لا تعترض أَمر القدر في جدالك
ولا تحسب ان الى مصيبك بيخطيك[1]

وفي الأَغراق في المبالغة قول ابن لعبون يصف قاعا صفصفا :

تاخذ به الشرية زمانين برتـــــــوب
وعامين تسجع ساهية عقب ترتيب[2]

---

(١) إن اللي : إن الذى . بيخطيك : سيخطئك . وهذه قطعة من حديث طويل أوصى بها النبي عليه السلام ابن عباس ، ابتدأه بقوله : (ياغلام احفظ الله يحفظك ..)

(٢) تأخذ به الشرية : تظل به الحنظلة . وقد سبق شرح مفردات هذا البيت في مكان آخر من هذا الكتاب .

وقول ابن مسلم :

لو ان هدب عيونها في زراجـــــة
شفت الجوازي في ظلاله يقيلون[1]

وفي الطباق قول ابن ربيعة :

بيت السلف بيت الخلف والمظاهير
بيت عمار المنتفق من عماره[2]

بيت لهم ورد الرياسة وتصـــدير
حلوين علقم للذي به مرارة[3]

وقول فهيد بن دحيم [*] :

---

(١) في زراجه : سهل منبسط . شفت : رأيت . الجوازي : الظباء . تجتزىء عن الماء : يقيلون تتخذه كناسا لها .

(٢) بيت السلف : يكنون أحيانا عن الرجل ببيته . المظاهير : الإبل تحمل الهوادج : عمار المنتفق : عزهم ، وهم قبيلة ذات سيادة وحول تسكن شمال الجزيرة مما يلي العراق . من عماره : بسبب عماره — قوة ومتانة — .

(٣) ورد وتصدير : ورد وصدر . حلوين : فيهم كرم وبر لمن والاهم . علقم : وفيهم مرارة وشجا لمن ناوأهم .

(*) هو فهيد بن دحيم من أهالي الرياض توفي قريباً وقد عرفته وتحدثت إليه وسمعت شيئاً من شعره كان جنديا وقد قدر عليه رزقه ولهذا جاء شعره يحمل الضيق با لدنيا والتشاؤم منها .. وله وطنيات جيدة نفث فيها ما يجيش بنفسه من خواطر واحاسيس فحفظ له عدة شواهد في هذا المجال .

هجلة وردها كل ماشى وركاب

وكل شرب منها وحنا ظمينا[١]

يا حلوها لى عدل ماها للاجناب

ويامرها وان عدل ماها علينا[٢]

وفي الجناس قول سليمان بن عفالق في احدى رباعياته :

وش حال نفس عذبت في هوي البيض

عوارضي بعد التجافي غدن بيض

وعيونهن سلت على قلبى البيض

لكنى اخفى ما جرى لى ولا ابديش[٣]

وقول محسن الهزاني :

سالت مدامع ناظري بالهـــوا مى

لا من هوى ليلى ولا من هوى مى

---

(١) هجلة : بحيرة ماء . ركاب : راكب . حنا : نحن . ظمينا : ظمئنا .

(٢) ياحلوها : ما احلاها . لي عدل ماها للاجناب : اذا صرف ماؤها للبعيدين . يامرها : ما اشد مرارتها . والمراد أن هذه البحيرة تطيب النفس بمائها لقوم فتحلو حيث يشربون منها بسهولة ويسر . ويمن بها على آخرين فلا ينالون منها إلا بمرارة وعسر .

(٣) وش حال : كيف حال . في هوى البيض : النساء الجميلات . عوارضي : صفحتا وجهي . غدن بيض : أصبحتا بيضاوين من الشيب . سلت : أصلتت على قلبي بيض السيوف . ولا ابديش : ولا ابدي شيئا .

واليوم موفي لى ثلاثة عـــوامى
يامن لقرم القوم بالكون ذباح (١)

وفي تـأكيد المدح بما يشبه الذم قول ابن مسلم :

ما به من المنقود كود العـــلاقة
والاعيــون لاسطن ما يعفون(٢)

وقول ابن جعثين :

بين اشافيها كما ذوب النبـــات
بس فوق ردوفهـا مثل الرطيب(٣)

وقول حميدان الشويعر :

هيه يا راكب فوق حمرا ردوم
من خيار النضى طبعها ما حلاه(٤)

---

(١) بالهوامي : بالدموع الهاميات . ولا من هوى مي : مي معطوف على ليلى . موف لى : مكمل . عوامي : اعوام . القرم فارس القوم وزعيمهم . ذباح : صيغة مبالغة في كثرة الذبح .

(٢) مابه : ما بها . من المنقود : من العيب : كود العلاقة : إلا هذه الحلية الجميلة لا سطن : إذا سطت . ما يعفون : ما ينجي منها .

(٣) اشافيها : شفتيها . كما ذوب النبات : مثل قوالب الشكر تذاب في الماء . بس فوق ردوفها : لكن فوق ردفيها . مثل الرطيب : مثل سعف النخل المتكاثف ، والمراد شعر راسها المنسدل على ردفيها .

(٤) هيه : اداة تنبيه واستحثاث . ياراكب : ايها الراكب . فوق : على حمرا ردوم الخ المراد الناقة القوية السريعة. النضى : الابل المذللة. ما حلاه: ماأحسنه واحلاه .

عيبها زورها ما ينوش العضـــود
وخفها سالم ما رقع عن حفاه[1]

وفي المقابلة قول العوني :

سبع ضروم يقصم العظم ملحـوم
حراب ضراب حمول وزعال[2]

ريف على العانين نصر لمظـلوم
سو على المسوين قصاف الاجال

وقول العزي :

السيف مـكن في العـرابي ذبابـة
ظلم بهم عدل وعدل بهم ميل[3]

وفي الألغاز قول ابن جعيثن ملغزاً في القلم :

لقيت ميت ينقله خمس انـــاثي
كلف ثلاث وسالم منه ثنتين[4]

---

(١) ما ينوش : ما ينال . ما رقع عن حفاه : ما رقعت اخفافها عن الوجاء .

(٢) سبق شرح مفردات هذا البيت والذي بعده في مكان آخر من هذا الكتاب .

(٣) العرابي : الاعرابي ، و (ال) فيه للجنس والباء في (بهم) في الموضعين بمعنى فيهم .

(٤) كلف ثلاث : شغلهن .

الى شكا حـــر الظمـــا واستغاث

سارن همام واوردنه على العين[1]

يمشن به معهـــن يحضر المراثي

لو كان ما يدري عن الشين والزين[2]

وفي مراعاة النظير قول ابن لعبون :

حديث بالهـــوى تروي صحـــاحه

ضعيفات النسايم بالتـــــوني[3]

عن الضحـــاك عن مبسم اقاحـــه

عن البراق عن ثغـــرد رون

وفي التورية قول سليمان بن على :

وان ســـــألتك واجـــتريت

ويـــن رحت ويـــن جيت[4]

والربـــــع مـــــرو كميت

وانت حي لـــك شنـــار[5]

---

(١) الى شكا : إذا شكا . همام : عجلات . العين : الماء .

(٢) لو كان : لو انه .

(٣) ضعيفات : فاعل تروي . بالتوني : بالتأني .

(٤) اجترّيت : اجترأت . وين : أين . رحت : ذهبت . جيت : أتيت .

(٥) والربع : الجماعة . كميت : جبل مطل على بلدة مراة . لك شنار : ذكر .

فلفظ مروا كميت محتمل – لفظاً لا كتابة – لمعنيين قريب وبعيد فالقريب هو مروا بلك وانت ميت ، والبعيد مروا بجبل كميت ! ؟

وفي الاقتباس يقول رميزان :

عش ما تعيش فكل حى ميت
وحش ما تحوش فكل شيء ذاهب[1]

اقتبس معنى الحديث : (عش ما عشت فانك ميت ، واحبب ما احببت فانك مفارقه ، واعمل ما شئت فانك ملاقيه)

وفي الاطراد قول رميزان :

جـــبر بن سيـــار بن حزمى عسى
يكفى صروف الدهر والاتعاسى[2]

وفي التشريع قول ابن لعبون :

يا قلب لو هب الهوى لك وناحى
بالك تجيبه يا الغوي وين ما راح[3]

---

(١) ما تعيش : مدة حياتك . ما تحوش : ما تجمع .

(٢) جبر بن سيار : هو شاعر النبط الشهير عاش في زمن حميدان الشويعر وتوفي حوالي عام ١١٢٠ . الاتعاس : النكبات .

(٣) هب الهوى : ساعفك الحد . بالك : اياك ان تجيبه . ياالغوي : الغوى الضال . وين ما راح : اين ما يمم .

كب السفاه وما حوى من مزاح

ضامى ظعونه ترتوي دمع سفاح [1]

فهذان البيتان مبنيان على قافيتين ، فالقافية الاولى ماا‌ستقل بها كل بيت بمجموع حروفه ، والقافية الثانية نستخلصها من كل بيت نحو :

يا قلب لـو هب الهـوي

بالك تجيبـه يالغـوى

ومثله في التشريع قول حاضر بن حضير :

يا مل قلب تذكر عصره الماضى وطاريه

يحن حنـة حوار بايعين امه ومفرود [2]

هذا وانا من طواريق الهوي قاضى ولا ابيـه

لاشك عند المعاند قرضة السمة ولا الزود[3]

فيصح لنا أن نستخلص من كل بيت آخر مع الغاء كلمة من كل شطر نحو :

---

(١) كب : اترك . ضامى ظعونه : عطشها .

(٢) يامل قلب : يامن لقلب . طاريه : ذكره . حوار : فصيل الناقة . مفرود : قد فرد من أمه .

(٣) طواريق الهوى : طرقه . قاضى : منته ولا أبيه . ولا أريده . لا شك : لكن . المعاند : العناد . قرضة السمة : يؤكل السم لدى المراء . الزود : الغلب .

يا مل قلب تذكر عصره الماضي
يحن حنة حوار بايعين امه

.. الخ

وفي اللف والنشر المرتب قول محسن الهزاني متغزلا :

الثنايا والعواتق والخدود
صافيات ناعمات كاملات[1]

والجدايل والنواهد والحجول
سابحات قاعدات حايرات[2]

والردايف والخواصر والبطون
زاميات ضامرات هافيات[3]

والنواظر والمفاليج العذاب
مغزلات مغضيات ضاحكات[4]

---

(١) كاملات : مكتملات الحسن .

(٢) الجدايل : الضفائر . النواهد : جمع نهد . الحجول : حلية تلبس في سيقان النساء . حايرات : لا تستطيع حراكا من شدة امتلاء ساقيها .

(٣) والردايف : جمع ردف : زاميات : عاليات . هافيات : ملتصقات .

(٤) النواظر : جمع ناظرة وهى العين والمفاليج العذاب : الاسنان المفلجة الجميلة . مغزلات : غنجات .

بالمواعـــد والمواصـــل والكذوب

باطلات باخـــلات ميسرات[1]

وفي العكس قول بعضهم :

يا نسيم الهبايب خبري وين خلى

خبري وين خلى يا نسيم الهبايب[2]

يوم جتنا الركايب قمت ارحب واهلى

قمت ارحب واهلى يوم جتنا الركايب[3]

وفي الاحتراس قول محسن الهزاني من رباعية :

ومنهن يا مشكاي عفرا بها طـــوق

تلعا سناد وشوفها طافح فوق

تسلب عقول اهل الهوى بالحكى بوق

في مشيها – من غير سقم – تمرياع[4]

---

(١) بالمواعد : الوعد : المواصل : الوصل . الكذوب : الكذب . ميسرات : موسرات .

(٢) الهبايب : الرياح ؛ وين خلي : أين حبيبي .

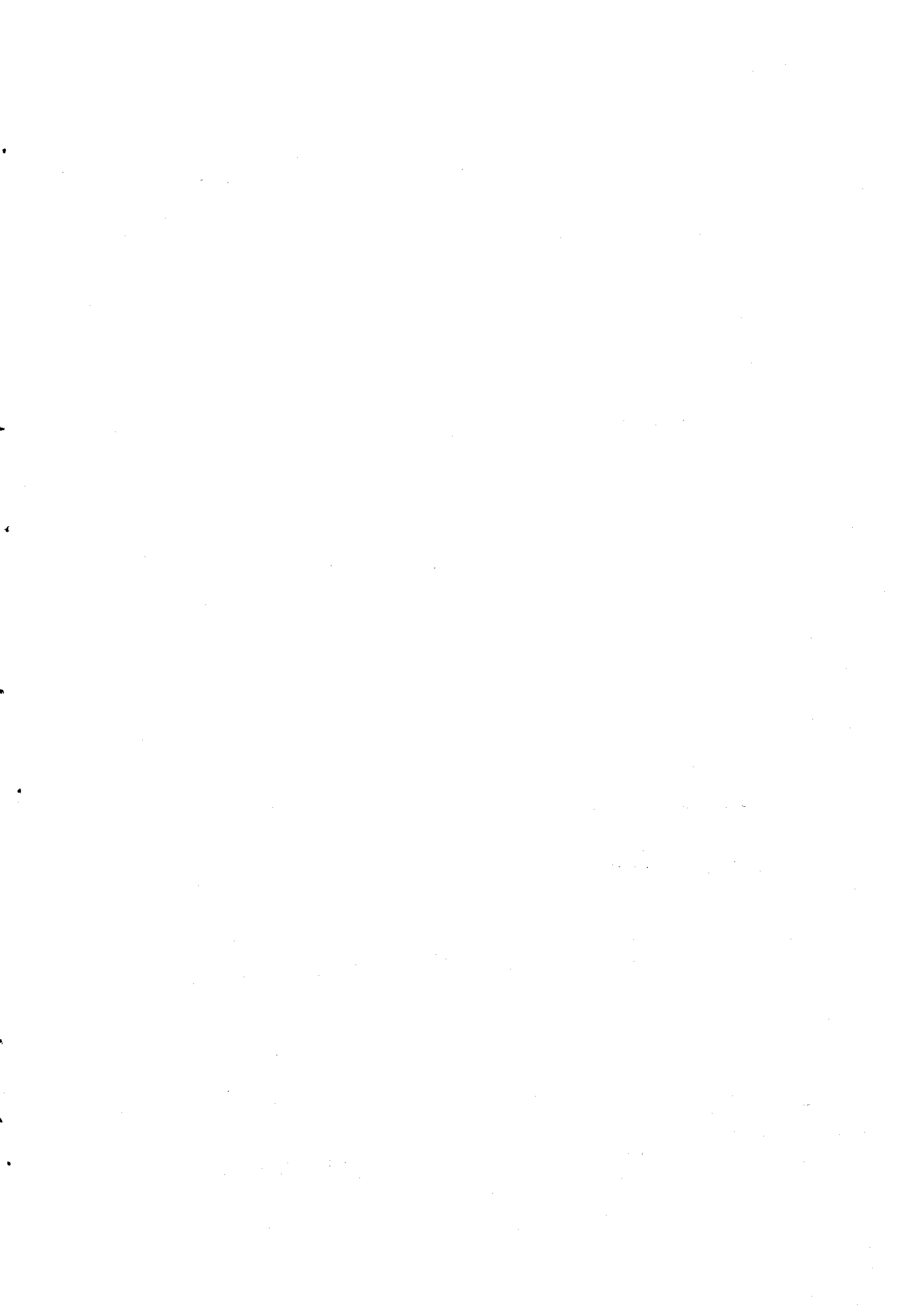
(٣) قمت ارحب واهلي : جعلت اقابلها بالترحاب والتحية .

(٤) مضى شرح مفردات هذا البيت في باب الغزل في شعر النبط .

وفي التضمين قول ابن لعبون :

واقفى مصركن جاكات شــــاله
(جلمود صخر حطه السيل من عال)[1]

(١) تقدم شرح مفردات هذا البيت .



اللهجات العربية وشعر النبط

الحديث عن اللهجات العربية متشعب الأطراف ، متسع النواحى ، فاننا نكاد نلمس هذا التمايز في النطق ، حتى بين القريتين ، ليس بينهما إلا بضعة أميال ، فما ظنك به بين الاقليمين ، بله القطرين المتباعدين ، وقد ألممنا بشيء من هذا ، في أحد البحوث المتقدمة . والذي يهمنا الآن هو أن نعرف مدى هذا التمايز ، في ناحية واحدة هى شعر النبط .. فالدارس لهذا الشعر دراسة عميقة ، يكاد يرجع كل شاعر إلى بلده ، الذي اصطبغ بلهجته ، واشرب لغته ، شريطة أن يكون هذا الدارس ممن ألم بهذه اللهجات وتقلب بين الأصقاع والجهات .

وكما يكون هذا الاختلاف بين القرى والحواضر ، فكذلك يكون بين البوادي والعشائر . بل إنه في هذه الناحية أبرز وأظهر ، وأظن أن ابن الجزيرة ـ مهما قل اختلاطه بطبقات الناس ـ لا يمتري في أن يقول في أحد الرجلين كلماه أحدهما من قبيلة شمر ، والآخر من قبيلة قحطان ، انك يا هذا شمري ، وانك يا هذا قحطاني ، عند أول لقاء ، وكذا

الحال بين العتيبى والعجمى ، وكذا بين سائر القبائل ! !

وإذا كان الاختلاف في اللهجات معظمه قائم على الاختلاف في النطق والرسم ، أو في الرسم فقط .. فاننا لا نعدم شواهد في الشعر النبطى ، تقوم دليلا على لهجة الجهة التى نبت منها ، والقبيلة التى انبثق فيها .

ولا يفوتنا أن ندرك أن هذا الاختلاف ، في النطق ، أو في الرسم ، أو فيهما معا ، يقع في قلب الجزيرة فقط ، وبين أقسامها المتقاربة ، وإلا فان هناك أقساماً نائية ، وأقطاراً شاسعة ، اختلف في ما بينهما النطق والرسم والوزن .. فالشعر الشعبى – على اختلافهم في تسميته – هو في مصر غيره في الشام ، وهو في الشام غيره في العراق ..

وهكذا الحال في عمان ، وحضرموت ، واليمن ، وعرب شمالى افريقيا ..

ولو تسنى لنا أن نتكلم عنه في جميع هذه البلدان من جميع جوانبه ، ونلم بفنونه ، وأوزانه ، وأغراضه .. لاقتضانا ذلك مؤلفات مستقلة ، عن كل ناحية ..

ولكن حسبنا أَن نذكر الشاهد والمثل ، ونورد ما لا غنى لنا عن إيراده ..

ولنقرأ لشعراء النبط في قلب الجزيرة ، هادفين لاستشفاف لهجاتهم من تضاعيف شعرهم ..

يقول الشاعر ناصر العرينى فيما سماها عروس شِعره :

البارحة في لايح طويق ونيت
ون الحجر من ونتى يوم ونيت

من شوفتى غرو على شوفه اشفيت
أَنا مصد ، مير الاقدار ميلات[1]

هل تعرف أَية عامية التى تستعيض عن (لكن الاستثنائية) بـ (مير) إنها عامية العارض ـ الرياض وما جاوره ـ إذاً فالشاعر من هذا الصقع وهذا شعر عارضى ، وقد يشاركهم في هذه العامية بعض نواحى من نجد على قلة . وبعضهم يقول : (مار) .

---

(١) سيأتي التعليق على هذا البيت .

ويقول يصف الغيث :

عساه لى جا فوق حمران راضى

وهبت شمال وكن يقفاه عراض[1]

ولا إخالك تشك في أن ظرف الزمان (إذا) يستبدل في عامية نجد بـ (الى) أو (إلى) بالألف المقصورة ، أو بالياء ، وأحياناً تحذف الف الوصل ، التى تتقدم اللام ، فيكتفى بـ (لى) ، ولا أخالك تشك أيضاً في أن من ينطقها بالياء مثبتة معها الألف حينا ، ومتروكة حينا ، انهم أهل العارض أيضاً .. وهكذا في كثير من الأمثلة .

واقرأ لابن جعيثن :

اسلا بذكراهم عن الهـــم ساعة

عساهم لحاجاتي على هدهر عون[2]

فهذه العامية هنا أكلت بعض اسم الاشارة في (هدهر) وأصله : على هذا الدهر ولكننا لو نطقنا به على أصله لضاع وزن

(١) لي جا : إذا جاء . حمران : واد من اودية الاحيسي بأعلى وادى حنيفة . راضى : قرو أبطا . هبت شمال : انطلقت ريح الشمال لتقبل بهذا السحاب إلى الجنوب فينتظم وادي حنيفة انتظاما . كن بقفاه عراض : وكأن في أعجازه من يهتفون برقصة الحرب ويضربون دفوفهم من شدة رعده ووقع مطره .

(٢) أسلا : أسلو : على هدهر : على هذا الدهر . عون : معين .

البيت ، ولكن الشاعر هنا وجد في عامية قومه ما يحفظ له وزن بيته ، وسوف لا نطيل الانتجاع لمعرفة أَهل هذه العامية ، فهم أَهل سدير ومن جاورهم .

واقرأَ له مرة أَخري في حوادث الأَيام :

يجنى بغارات على فاية الضحى
ويدعن بي ناب المقادير غارس (١)

ففى هذا البيت (يجنى) و (يدعن) وهو تعبير – على قربه من اللغة الفصحى – سائد في ذلك الاقليم ، وربما يشاركه فيه بعض الجهات ، إِلا أَنه في هذه الناحية أَبرز – ومعنى يجنى : يأَتيننى . ومعنى يدعن : يتركن . وهكذا نعرف من لغة ابن جعيثن أَنه من سدير .

والعامية التى لا تأَتي بضمير المؤنثة المتصل ، بل يشترك في ضمير المذكر هو ، وهى أَمثال قول القاضى :

واياك لا تقصـــد لئيم لحاجـــة
لو هى بكفه حال دونه جبل قاف(٢)

(١) يجى : يأتينى . فاية الضحى : علنه واشتداده . يدعن : يتركن . غارس : مغلب .

(٢) لا تقصد : ان تقصد . لو هي بكفه : لو أنها بيده . دونه : دونها . جبل قاف : لعله الجبل المقسم به في القرآن الكريم .

وقوله :

كم ضيقـــة ينفك مشكل مجـــاله
باحسن منه ما عاد يخطر على البال(١)

فالضمير في حال دونه البارز ، يرجع لحاجة . والضمير في (مجاله) و (منه) يرجع إلى الضيقة ، وكلاهما مؤنث . وهذا النموذج من هذه العامية ، يجعلنا نحكم من أول وهله ، إن الشاعر من شمال الجزيرة القصيم وما جاوره !

وقد لا تحتاج إلى طويل تفكير في العامية ، التى لا تفارقك منها لهجة التفدية بالحى ، وبالميت ، ومن غدا ومن راح .. الخ حتى إذا مر عليك هذا البيت :

قل له يقلك يا خلف من غدا له
من الحى والميت من العم والخال(٢)

لا تماري في أن هذه عامية الشمال ـ حائل وما جاورها ـ قبل أن تعرف ان هذا الشاعر هو عبد الله الرشيد أحد حكام حائل في عهد حكمهم الماضى .

---

(١) ضيقة : كربة . مشكل مجاله : عويص مشكلتها . باحسن منه : بصورة أحسن منها لا يخطر على بال أحد .

(٢) يقل لك : يقول لك . ياخلف من غداله : ياعوضه وخليفته . من الحى : الخ ياخليفة هؤلاء كلهم .

كما تدرك أَن هذه العامية نفسها ، هى على مذهب القائل :

أَيها السائل عنهم وعني
لست من قيس ولا قيس مني

في حذف نون الوقاية من (عن) و (من) الشاذ حذفها ، فيهما لغة إِذا اتصل بهما ضمير المتكلم . فحينما نسمع هذا البيت للشاعر نفسه :

سلم عليه ولا تقل له مقاله
الا إن نشد عن حالتى أَو عِني سال[1]

لا تشك في أَنه من ذلك الصقع !

وهذه اللغة نفسها تستعيض عن الفعل (ذهب) بـ (نهج) وكذا سائر ما تصرف منه .. يقول شاعرهم حسن بن هزاع :

انهج معى ميزاتك الجارسينا
وتسطى بهم يالعشر لو كان واعين[2]

وهى أَيضاً تستعمل لفظ (دهج) بمعنى (مر) أَو (أَلم) يقول شاعرهم أَيضاً :

(١) مقاله : أية مقالة . نشد : سأل . سال : سأل .

(٢) انهج : اذهب . ميزاتك : ضامن لك . نسطى : نسطو . واعين منتبهين .

لو يدهجه وبـــل الثريا ويسقيه

ويمطر بياقوت ومسك سحابه (١)

وتنفرد أيضاً بلهجة خاصة في لفظ (شيء) فهي تقلب همزتها نوناً فتقول : (شين) فهذا هو شاعرهم (حطاب) صاحب (الجوف) يقول :

تف على الدنيا ولو به طربنـــا

يا بو محمد تقل ما عشت شينا

أما العامية التي تأكل همزة المضارعة ، من مضارع الفعل (دري) إذا تقدمته (ما) النافية ، وجاء للمتكلم فهي عامية الوشم وما حوله .

ولذا لا نشك في أن حميدان هو أحد أبناء القصب ، الذين هذه عاميتهم حينما يقول :

لي نشدها بعلها بهرج لطيف

طوحت صوتها : مـادري مـادري (٢)

ولا نعدم ـ أيضاً ـ عامية تقلب القاف جيما ، وهي عامية

(١) يدهجه : يمر به . وبل : وابل .

(٢) لي نشدها : إذا سألها . هرج : كلام . طوحت . صوتها : رفعت عقيرتها . ما درى ما درى : لا أدرى لا أدرى .

الخليج العربي ويشاركهم فيها أهالي حوطة بنى تميم في نجد وأَهالي الجوف في الشمال ، ولكنها في الخليج العربي أَشد شيوعاً وذيوعاً ، ولذا نحكم بأَن قائل هذا البيت – سليم بن عبد الحى– من ذلك الاقليم :

تراه أَمرا وسيــــع الحلم رفــــق
على درب الجدا ماقط تاهـــا[1]

والجدا يقصد به القدا وهو الصواب . وكقول شاعر آخر من البحرين :

اقبل زيارة كاعب ترفــــه الحال
بكر عجيــــلة حيها يافهيم[2]

وفي لغتهم أَيضاً تخفيف همزة الماء إلى ياء فيقولون : ماي ، استمع إلى ابن لعبون ، في تشبيهه العجيب ، الذي لم يسبق إليه ، وانعم نظرك في دقة هذا الوصف .. يقول :

ان تماوج ثوبهـــا فوق الردوف
فالهوى والماي من فوق الغريف[3]

---

(١) أمر : امرءاً . وسيع الحلم : كثير الحلم . الجدا : الصواب . تاه : ضل .

(٢) ترفه الحال : رشيقة . عجيلة حيها : عقيلتهم . فهيم : صاحب الفهم .

(٣) يصف تماوج ثوبها فوق روادفها . بالماء الضحل حركه النسيم ، فظل يقبل ويدبر ، فوق الطمي الابيض ، الراسب تحت الماء .

والقاعدة الصرفية تقضى بحذف عين الفعل الأَجوف ، أَمثال (قال) و (باع) و (قام) في فعل الأَمر فيها فيقال : قل ، وبع ، وقم ، إلا أَن عامية الحجاز لا تعترف بهذا ، فتقول : قول ، وبيع ، وقوم . لذا لا يستغرب على الشاعر النبطى ، بديوي ، الوقداني ، وهو من عرب الحجاز ، أَن يقول :

لا تعمـــر الدار والقـــالات تخربها
بيع الردي بالخسارة واشتر الغالى[1]

وقوله :

صون عرضك عن مـــلاقاة السفيه
واترك الكذبان سودان الوجيـــــه
من حكى منهم يعـــود الكذب فيه
كيف تـأَخذ هرج من بابة هبيل[2]

وهذه العامية أَيضاً هى التى تشتق من الفعل الناقص (ظل) مضارعا فتقول : (يظلي) بمعنى يدوم ويستمر ، يقول بديوي :

---

(١) القالات : الحوادث . الردي : الردىء .

(٢) صون : صن . الوجيه : الوجوه . حكى : تكلم . هرج : كلام . بابة هبيل : طبقة مسلوب اللب ناقص العقل .

وان جفتك الدار ومال بك الزمان

لا تعيش بدار ذل أو هـــوان

لو (يظلى) نبتها من زعفـــران

صاحب الاخطار واجعلها دليل[1]

فلا نتردد في أن هذا الشاعر حجازي ، حينما قال ذلك ..

وكما قلنا ـ سابقاً ـ أن للقبائل أيضاً في البادية ، مثل ما لأهل المدن ، والأقاليم ، في افتخاتهم في العاميات ، فبماذا تحكم على اعرابي لقيته ، واستخبرته ، هل في هذا الوادي من عرب ؟ ! فأجابك : ماش عرب بمعنى لا عرب هنا ، أو ماهنا عرب ، الا تحكم بأنه عتيبي من عتيبة نجد .

وأظنك لا تشك في أن قائل هذا البيت ـ شليويح ـ لا تشك في أنه عتيبى !

وحنا ثمانميـــة عـــداد جموعنـــا

ماش أجنبى فينا ولا برقاوي[2]

والقاعدة العربية ، ان الفعل (تفعّل) يكون مصدره

---

(١) يظلي : يمكث ويستمر .

(٢) حنا : نحن . جموعنا : جيشنا . ماش أجنبي : لا غريب . برقاوي : نسبة الى برقى أحد جذمي قبيلة عتيبة الكبيرين والجذم الآخر الروقة الذين منهم الشاعر .

(تفعُّل) إلا إذا كان ناقصاً ، فتقلب الفه الاخيرة ياء ، ويكسر ما قبلها نحو تأَنى تأنيا ، ولكن هناك عامية قد اوجدت له مصدرا خاصا وهو (تفعال) بكسر التاء والفاء وفتح العين المشددة .. فتقول : ترزم ترزام ، وتقصف تقصاف .. الخ . وهذه عامية يام وبالأَخص العجمان ، وربما شاركهم فيها بعض بطون قحطان .. فليس يبعد عنك أَن هذا البيت صدر من يام ، أَو من قحطان إذا لم تدرك ان قائله هو راكان بن حثلين اليامى العجمى ، والبيت هو قوله :

معهم فرنجى تقصف تقصـــــاف

مثل الرعـــد في مدلهم الغمام(١)

والمعروف عن (مع) الاسم أَن له حالتين باعتبار نطقه ، الأَولى تحريك العين ، والثانية سكونها ، ويأَتي مضافا فيكون ظرفا ، وله حينئذ ثلاث حالات ، ويأَتي غير مضاف فينون ويكون حالا . وفي حالة اضافته محركا أَو مسكنا لا يتغير عن صورته الاصلية .. غير ان عامية (يام) تشعر من نطقها بتوليد الف في آخره ، كما جاء في بيت راكان بن حثلين الآتي :

---

(١) فرنجي : بنادق منسوبة الى الافرنج . تقصف : له قصف ورعد . مدلهم : مظلم .

معا وجـــه سلفان إلى لاح بارق
نحت له ولو هو نازح من حدودها[1]

مما يدلك على ان الشعر يامى .

أَما العامية التى تستعيض عن (قط) ظرف الزمان المختصة بالنفى ، واستغراق الماضى ب (زيد) بكسر الزاي واسكان الياء والتى تجمع بين ثلاثة ضمائر في فعل واحد ، وتصل ما بينها ، مع كون أَحدها منفصلا واثنان منهما للرفع ، فلعلك تدركها حينما تقرأ الأَبيات الآتية :

بري حالي بري عـــود من ثمام
مبطى عنه الحيـــا ما زيد جاه[2]

يا ابن سالم هاضنى صـــوت الحمام
باح سدي والعزا ما احرزتناه[3]

(١) معاوجه : أمام . سلفان : جمع سلف وهى الظعائن . نحت له : قصدته . ولو هو : ولو أنه .

(٢) بري حالي : برى الهم حالى حتى تركنى مثل عود الثمام . مبطي : بعد عنه المطر . ما زيد جاه : ما قط طرقه .

(٣) هاضني : شغفني . باح سدى : هاج مكنوني . ما أحرزتناه : ما أدركته ولا قويت عليه .

شدوا الفرجان في شف الجهـــام
خلي وادي السيح ما واجهتناه[1]

بونهيدات كمـــا بيض الحمـــام
او فواريز الذهب شبهتنـــاه[2]

أليست هذه لغة الدواسر حاضرة وبادية ؟ .

ورغم ان ابن سبيل حضري إلا أن نشأته المتنقلة بين الحاضرة والبادية ومجاورته في بلدة (نفي) إحدي هجر قبيلة عتيبة جعلت شعره ينطبع بطابع اللهجة العتيبية فجاءت معظم تعابيره تشف عنها .. وفي ما يلى نستخلص بعض التعابير التى وردت في شعره بهذه اللهجة ..

كثيراً ما تسمع في هذه اللهجة (هاء) كهاء التنبيه التى تتقدم اسم الاشارة يأتون بها عند الانتقال من معنى إلى معنى ، أو عند الاستفهام أو العطف ، وكأن المراد منها تهيئة ذهن السامع لما سيأتي بعدها .. اقرأ لابن سبيل :

---

(١) شدوا : رحلوا . الفرجان : قبيلة معشوقته . وهم من بطون الدواسر الكبار . في شف الجهام : من أجل النعم . ما واجهتناه : لم التق به .

(٢) بونهيدات : صاحب نهيدات . والتصغير هنا على بابه لأن نهيدات محبوبته في عينه كأصغر ما تكون النهود . كما : كأنها . فواريز : فصوص . شبهتناه : أنا شبهتها بذلك .

هلهن شرارات عليهن جنـــاة
طلبهن الحاكم وجنــه بكرهان[1]

ها يوم ربي جابهـــــن ياعزاتي
شيلوا عليهن ضارب الدرب مشتان[2]

وقوله :

دورت لك بمقومين الصـــــلاة
اتعتبتني من بين حضر وبدوان[3]

هاثم جـــاني من رفيـــق وصـــاة
. . . . [4]

ويأتي في لهجتهم لفظة (يقع) وزان (شبع) والمراد بها (يمكن) وقد يشاركهم في ذلك بعض القبائل ، وقد سمعت قبيلة سبيع تستعملها . يقول ابن سبيل :

---

(١) هلهن شرارات : أهلهن من قبيلة الشرارات وهى قبيلة تسكن شمالي غربي الجزيرة . وهذه القبيلة مشهورة باصالة الابل . وقد عملوا جناية فجازاهم الحاكم بأخذ هذه الإبل العزيزة لديهم . كرهان : كره .

(٢) هايوم : ثم لما . ياعزاتي : ياذوي نجدتي . شيلو عليهن : ارحلوهن . ضارب الدرب مشتان : سالك الطريق منشغل .

(٣) دورت : بحثت . مقومين الصلاة : الحاضرة .

(٤) رفيق : صديق . وصاة : نبأ .

وقالوا تراها مع فريق عطـــوات
والا يقع شيفت معاورد كرزان [1]

وهذه اللهجة تبدل همزة (الآن) بواو فتقول (الوان) يقول بن سبيل :

هاثم جاني من رفيـــــق وصـــاة
قالوا لها مع نزلة الهيضل الوان

وبعض بطون عنزة وحرب وقبائل شمال الحجاز يجعلونها بدلا او عطف بيان من اسم الاشارة (ذا) فيقولون : (ذا الوان) .

وهكذا تجد في هذه النماذج ما يشف لك عن صورة واضحة المعالم ، عن اللغة العامية في قلب الجزيرة ، وتمايز ما بينها ، بالنسبة إلى أقاليمها ، وقبائلها ، وكيف ان الشعر البنطى يعتبر مرجعا قوياً لمعرفة هذه اللهجات ، والوقوف على حقائقها ودقائقها

---

(١) تراها : أنها . عطوات : بطن من الروقة من عتيبة وفي نسائهم جمال . والا يقع : وإلا يمكن . شيفت : روئيت معا ورد كرزان : مع سقاة كرزان ، وهم بطن من عتيبة أيضا .

شعر الملوك والامراء

وكما كان لامريء القيس(الملك) في العصر الجاهلي ، ولأَبي فراس (الأَمير) في العصر الحمداني ، ومن بينهما ، ومن بعدهما ، من شعر خالد ، تناقلته الرواة ، وحفلت به دواوين الأَدب ، حتى قيل : بديء الشعر بملك ، وختم بملك ، بديء بامريء القيس ، وختم بابي فراس !! فكذلك وجد الشعر النبطى من هذه الطبقات من يستجيب له ، ويعنى بقرضه وحفظه !! أَو وجدت هذه الطبقات في الشعر النبطى متنفساً للتعبير عن خواطرها ، ومهيعاً لبث أَفكارها وخلجاتها .. وهذا يعطينا أَ كبر دليل على ما لهذا الشعر من قيمة رفيعة ، ومكانة سامية ، وتأَثير في نفوس الجمهور ، لا ما يزعمه بعض الزاعمين ، من أَن هذا الشعر ولد في طبقات العامة ، وظل فيها ، وليس من هم رجال الجد والزعامة ، والطبقات المستنيرة الواعية ، وقد تقدم القول بالفرق بين هذه البلاد ـ الجزيرة العربية ـ والأَقطار العربية الأَخرى ، في النظرة إلى الأَدب الشعبى ، ومنه الشعر النبطى ، أَنظر صفحة (١٢) من هذا الكتاب .

وقد سبق أَن تحدثنا عن أَقصى زمن وصل إلينا شعره النبطى

عن طريق الرواية ، أو التدوين ، وهو ليس ببعيد ، وهذا يرجع إلى أَسباب كثيرة ، من أَهمها عدم الاهتمام من قبل العلماء والأَدباء بهذه الأَلوان من الأَدب ، فلم يدونوها ، لهذا يتطرق إليها النسيان ، ويدب إليها الفناء سريعاً : ومن أَقدم من وجدنا له شعراً من هذه الطبقة عمر بن سعود ، وبركات الشريف ، وتركى بن عبد الله آل سعود فمن دونهم :

عمر بن عبد العزيز بن سعود (*) :

له شعر جيد ، في شتى أَغراض الشعر ، ولكن أَخنى عليه الدهر ، فذهب مع كثير من الآثار والأَخبار .. ولم نعثر له إلا على قصيدة واحدة ، بعث بها من مصر وهو إذ ذاك في أَسر الأَتراك ، مع من أَسر من الأَسرة السعودية ، بعد حادثة الدرعية. فمن هذه القصيدة قوله يصف نجيباً حمل صاحبه رسالة لوطنه :

هارب يقطع مسير العشر خمس
دارب مع كل درب ما يهاب (١)

(*) هو عمر بن عبد العزيز بن محمد المؤسس الأول للدولة السعودية في جزيرة العرب ، وعمر هذا هو أحد الاقطاب في دعم الدولة وبنائها ، وله مواقف مشهورة في حرب الاتراك للدرعية ، فكان يسد ثغرة واسعة في الدفاع عن بلاده ، هى شعيب الحريقة وما جاورها من المتاريس . وله قصر شامخ في حى الطريف ، لا يزال شامخ البناء رغم عوادي الزمان ، وعوامل التعرية ، يعرف الآن : بمقصورة عمر .

(١) هارب : كالهارب . مسير العشر : عشر الليالي يقطع مسافتها في خمس ليال.

راعي نبت الحيـــا عـــام يزيد
مع مروية الهنادي والحراب[١]

يعفج أَرقاب الزهر في كل روض
بالمساس وبالقفور من العداب[٢]

منوته قطع التنايف والفجـــوج
كن زوله مع صحاصيح السراب[٣]

زول ربدا حين حست بالجفال
صفت الجنحان قفت بالرعاب[٤]

راكبـــه من كل هـــم مستريح
ما يهاب من الدروب أِللي صعاب[٥]

---

(١) مروية الهنادي : مروية السيوف من دماء الاعداء .

(٢) يعفج : يدوس . المساس : الارض الصلبة . القفور : جمع قفر . العداب التلال من الرمل أو غيره .

(٣) منوته : أمنيته . التنايف : التنائف ، جمع تنوفة وهي الارض القفر ومثلها الفجوج – جمع فج . كن زوله : كان شبحه مع صحاصيح السراب على امتداد الارض ورؤيته من بعد ما يبديه الآل ويخفيه وفي البيت مع ما بعده ما يسمى عند العروضيين با (التضمين) من عيوب القافية .

(٤) ربدا : نعامة . حست : آنست . قفت بالرعاب : أدبرت نافرة مهتاجة .

(٥) راكبه : راكبها . إللي صعاب : الوعرة الموحشة .

يقطع الفرجـــــة بعزم ما يغـــــور

بالظلام اهم من ضار الذياب(١)

يوم ركبه من ربى مصر وسار

قلت ريض قدر ما اكتب لى كتاب(٢)

وفيها يتغزل :

احــــــور العينين كاسيه الجمـــــال

كن خده بدر نصف بالسحاب(٣)

وارد القرنين ملعوس الخدود

تشتكى من ضيم رد فيها الثياب(٤)

نافل جيله وهــــــو توه صغير

بالجمال اليوسفى ترف الشباب(٥)

---

(١) الفرجة : الموماة . ما يغور : ما يبطل .

(٢) ريض : تأن . قدر : حتي أعد كتاباً أبعثه معك .

(٣) كن خده : كأن خده . بدر نصف : بدرتم . في سحاب : تمايز عنه السحاب فبدى كاصفى ما يكون وهى حالة مشهودة في صفاء القمر .

(٤) وارد القرنين : مسترسل الشعر . ملعوس الخدود . متخذا الوشم في خدوده . من ضيم ردفيها : لعبالتها وانتصابها .

(٥) نافل جيله : قدبز جيله بالجمال وهو لا يزال صغيراً . ترف الشباب : لطيفه .

تركي بن عبد الله (*) :

لم تمدنا المراجع ، والرويات عن شعر هذا البطل ، بأكثر من قصيدة واحدة ، وهى قصيدته التى بعثها لابن عمه مشاري بن سعود ، الذي جلا عن بلدان نجد ، بعد نكبة آل سعود في دولتهم الأَولى بالدرعية ، وكان جلاء مشاري فراراً بنفسه ، ومن معه من عسف الاتراك ، وظلمهم ، وقد ظل في مهاجره ، حتى بدأ الدور الثاني لدولة آل سعود ، على يدي البطل الخالد تركى بن عبد الله آل سعود ، ولما استتب له الأَمر ، بدأ في جمع شتات أَسرته المشردة ، ولم يكن لديه من النفوذ ، والتأثير لاستجلاب ابن عمه اليائس من إعادة دولتهم ، الفاقد للثقة ، في نفسه وبلاده ، إلا أَن يذيب مهجته في قصيدة مشجية مبكية ، يبعثها إليه لأَنه البصير بمآتي القلوب ، ومداخل النفوس ، فكانت هذه القصيدة التى نورد نماذج منها :

(*) تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود ، وأبوه عبد الله ليس الذى قوضت دولة آل سعود في دورها الأول على عهده ، وأسره إبراهيم باشا ، وقتله الاتراك كما يظن بعض الباحثين — فتركي هذا هو المؤسس الأول للدور الثاني من أدوار الدولة السعودية ، عام ١٢٣٥ هـ وقد أفلتته يد القدر من مشنقة الاتراك ، فكان سماً زعافاً لهم . وقد اغتاله ابن عمه مشاري بن عبد الرحمن عام ١٢٤٩ هـ فقام بالأمر من بعده ابنه فيصل ..

استهل هذه القصيدة بقوله :

طار الكرى عن موق عيني وفرا
وفزيت من نومي طرت لى طواري(1)

وابديت من جاش الحشى ما تطرى
واسهرت من حولي بكثر الهذاري(2)

سر يا قلم واكتب على ما تـــورا
أزكى سلام لابن عمي مشاري(3)

شيخ على درب الشجاعة مضرا
من لابة يوم الملاقا ضواري(4)

ويمضى على هذه الوتيرة ، إلى أن يفضى إلى استفزازه ، واستنهاضه ، فيقول :

---

(1) طار الكرى : نفر النوم وارقت . فزيت : فزعت . طرت لي طواري : طرأت على خواطر وأفكار مزعجة .

(2) جاش الحشى : حلم القلب ورباطته . ما تطرى : ما بدا . الهذارى : الهدرمة والهذيان .

(3) على ما تورى : على ما يبدو لك وترضى عنه . أزكي سلام : أكتب أزكى سلام .

(4) شيخ : هو الزعيم هنا . درب : طريق . مضرا : مروض ومدرب . لابة : فئة . الملاقا : الوغى . ضواري : سغاب نهمون على أكل عدوهم وفيه الاستعارة .

يا حيف يا خطوى الشجاع المضرا
تصير خـــدام لحمر العتاري[1]

من الزاد غـــاد له سنام وسرا
من الذل شبعان وما العز عاري[2]

دنياك يا ابن العم هــذي مغرا
ولا خير في دنيا تراوي النكاري[3]

اشهر بجنحــــان السعد لا تدري
وما قدر الباري على العبد جاري[4]

ما في يــــــد المخلوق نفع وضرا
والعمر ما يبقيه كثر التداري[5]

وبعدئذ يصف له حاله ، وما كان عليه ، وما هى الخطة التى رسمها حتى حقق بغيته ، ووصل إلى هدفه :

---

(١) يا حيف : واعيباه . خطوى : أحد . خدام : خادماً . حمر العتارى : حمر العلباوات . والمراد بهم الاتراك في مصر .

(٢) الزاد : الطعام . غادله : صائر له . سنام وسرا : كناية عن السمنة .

(٣) مغرا : غرارة . تراوى : ترى . النكارى : المنكرات . والمراد لا تغتر بها ولا تعبأ بما ينالك من خيرها أو شرها .

(٤) اشهر : حلق . جنحان السعد : اجنحة الحد والنصيب . لا تدرى : لا تخشى إلا الله فما قدر عليك سوف يأتيك .

(٥) نفع وضرا : ولا ضر . التداري : المخاشاة والمتاجرة به .

ان سايلـــــوا عنى فحـــالي تسرا

قبقب شراع العز إن كنت داري(١)

يوم ان كل من عشيره تبرا

حطيت الاجرب لى صديق مباري(٢)

نعم الصديق الى سطا ثم جرى

يودع مناعير النشـــاما حباري(٣)

رميت عنى برقـــــع الذل برا

ولا خير في من لايدوس المحاري(٤)

---

(١) سايلوا : تساءلوا . قبقب : ارتفع وخفق . شراع العز : المراد الغلبة والمناعة. داري : مدرك وفاهم .

(٢) يوم ان كل : حينما كل انسان تبرأ من خليله وصديقه . حطيت : جعلت . الاجرب : اسم لسيفه القاطع . صديق مباري : خليلا مرافقا . والمراد اكتفيت به عن الخلان حينما عزوا وفقدوا .

(٣) إلي سطا : إذا سطا . جرى : عمل . يودع : يترك . مناعير : شجعان . النشاما : الكرام . حباري : جمع حبارى وهو طائر معروف بالذل .

(٤) رميت : القيت . برقع : ما تستر به المرأة وجهها . برا : بعيدا . يدوس المحاري : يصل مناطق الخطر .

وحكمت نجد عقب ما هى تطرا
مصيونة عن حر لفح الذواري[1]

ومن ثمن القافي جذى ما تجري
تازي حريمه للجواري جواري[2]

من غاص غبات البحر جاب درا
ويحمد مصابيح السرى كل ساري[3]

والعمـــــــــر ما يزداد مثقال ذرا
عمر الفتى والرزق في كف باري[4]

ولم تكد هذه القصيدة تقع على مشاري ، حتى حركت كوامن قلبه ، والهبت إحساسه ، وغيرت نظرته الأولى ، فاستجاب لنداء ابن عمه ، المتمثل في هذه القصيدة ، وخرج إلى وطنه .

---

(١) عقب ما هى : بعدما كانت . تطرى : تسام الهون والذل وجعلتها مصونة . الخ الذواري : السمائم .

(٢) ثمن : قدر القافي : العاقبة . جذى : قصر . ما تجرى : ما أقدم . تازى . تلجأ . حريمه : نساؤه . للجوارى . جمع جارية وهى الامة المملوكة . والمعني من لم يقدم ربما يفضي به الذل لان تكون نساؤه إماء للاماء ! !

(٣) غاص : غطس في البحر . غبات : جمع غبة وهى لحة الماء الغزير . جاب : جاء . الدر : اللؤلؤ . وفي عجز البيت اشارة إلى المثل (عند الصباح يحمد القوم السرى).

(٤) ذرا : أى ذرة . بارى : بارىء .

فيصل بن تركي آل سعود (*) :

وفيصل كوالده ، مقل ، ولعلها في تاريخهما الحافل بالفتن والاضطرابات ، ما له كبير الأثر والاستبداد باستغلال مواهبهما والاستيلاء على تفكيرهما ، ففيصل هو الآخر لم نعثر له إلا على قصيدة واحدة ، قالها متأثراً بعدم وفاء فئة كان يظن انها من أكبر أنصاره ، فخانوه أحوج ما يكون إليهم ، فكأن لسان حاله يقول :

كل خليـــــل كنت خاللتـــــه
لا يترك الله له سارحـــــــه

كلهـــــــم اروغ من ثعلب
ما أشبه الليـــــلة بالبـــــارحة

(*) هو فيصل بن تركي آل سعود كان في من وقع في أسر المصريين في غزوهم لنجد ، وظل في مصر من سنة ١٢٢٤ هـ الى ١٢٤٢ هـ ثم فر إلى نجد و شارك والده في بناء دولتهم وكان شجاعا ورعا عطوفا ، وقد جهز المصريون حملتهم الاخرى بقيادة خورشيد باشا سنة ١٢٥٤ ، وبعد معارك دامية بينهم وبين فيصل استسلم للأسر وارسل مرة أخرى إلى مصر ثم فر منها واستعاد الامارة وظل حتى توفي سنة (١٢٨٢ - ١٨٦٦) .

ويستهل هذه القصيدة بقوله :

الحمد لله جت على حسن الاوفاق

وتبدلت حـــال العسر بالتياسير[1]

هبت هبوب النصر من سبع الاطباق

للدين عـــز ونقمة للخنازير[2]

مفهوم قلبى للرعابيب ما اشتاق

ايضا ولا همه لجمـــــع الدنانير[3]

ثم يذكر ما جرى له من هذه الطائفة ، وقد أسدى إليهم في شكل حكاية ، وينتهى إلى :

أحد أصافي له على الصفح واعتاق

واحد أصافي له بحد البواتير[4]

(١) لله : بتفخيم اللام المشددة وفتح الاولى . جت : جاءت . الاوفاق : جمع توفيق . التياسير . جمع تيسير .

(٢) هبت هبوب النصر : تحركت رياح النصر . سبع الاطباق : سبع السماوات . الخنازير : كناية عن نجاسة أعدائه .

(٣) مفهوم قلبي : إدراكه . الرعابيب : جمع رعبوبة وهى الفتاة الحسناء . ولا همه ولا يهتم بجمع الدنيا .

(١) واحد : فئة . اصافي : أود . عتاق : مسالمة : حد البواتير : السيوف . كناية عن محاربتهم .

فاول نراسلهم بتسجيل واوراق
واليوم باطراف الرماح السماهير(۱)

ويفتخر بموقف آبائه ، وأجداده ، في حكمهم لنجد وفي ذودهم الأعداء عنها :

حنا حمينا نجد من كل فساق
من حمر مصر والوجيه المناكير(۲)

محمد بن سعود (*) :

لم نعثر له من الشعر إلا على قصيدة واحدة ، بعث بها إلى أحد أمراء آل رشيد ، وكان ابن رشيد ، قد بعث إليه بقصيدة غمزه فيها بجماله ، وكان محمد هذا جميل الطلعة ، وسيما ، طوالا ، ولكنه جمال الرجال ، الذي باجتماعه مع جمال الخصال ، يكون صاحبه من الرجال الكمل ، في مظهرهم ومخبرهم ، ولا أرى القرآن الا يشير إلى هذا في مدحه لطالوت :

(۱) فأول : أول الامر . نراسلهم : بالمكاتبة . السماهير : الطوال .

(۲) حنا : نحن : فساق : فاسق . حمر مصر : الحمر الاهلية والمراد بهم الاتراك . الوجيه المناكير : الوجوه المشئومة المنكرة .

(*) هو الأمير محمد بن سعود والد سمو الأمير سلمان بن محمد اشتهر بالشجاعة الفائقة والاقدام المتناهى وله قصص في ذلك واخبار يطول شرحها والذهب من معدنه لا يستغرب .

« قال ان الله اصطفاه عليكم ، وزاده بسطة في العلم والجسم .. »
وقد لقن خصمه في قصيدته هذه ، درسا في ذلك .

فمن هذه القصيدة :

الناس مثل الناس ما غط بان
ومن قال أنا الطّيب يعديه ابن من[1]

الشين ما يدقـم شباة السنان
والزين ما يقصر يدين يطولن[2]

الى ايتفى زين وفعـل بيـان
لذة نعيم في الحشا وان توافن[3]

الى اعتليت قطى بنت الحصان
عيب على احرافهن لين ينحن[4]

---

(١) غط : اخفى . يعديه : ينحيه . ابن من : ابن فلان أو فلان . فالشجاعة ليست وقفا على أحد .

(٢) ما يدقم : ما يفل . يطولن : طائلات بالشجاعة والاقدام .

(٣) الى ايتفى : اذا اتفق . بيان : بين : الحشا : الفؤاد . وان توافن : ان اجتمعن

(٤) الى اعتليت : إذا امتيطت . قطي : جمع قطاة وهى أوراك الفرس ومؤخر ظهره . بنت الحصان : كناية عن الفرس . عيب : أراه عيبا علي . احرافهن : صدهن . لين ينحن : حتّى يبلغن المدى الذي أردنه .

اضرب بحد السيف وارخ العنان
لين العذارى يا سعد لى يعذرن[1]

بركات الشريف :

يسلك هذا الشاعر المجيد في شعره ، مسلك شعراء الحكم والنصائح، ومعظم شعره ،في هذا الباب موجه إلى ابنه مالك ، فلقد تلقف منه مالك هذا نصائح ، مالو تمسك بها أو ببعضها لوجد نفسه من الرجال الكمل ، البارزين ، يقول في إحدى هذه النصائح التى مطلعها :

يا مرقب بالصبح ظليت باديك
ما واحد قبلي خبرته تعلاك[2]

وليت يا ذا الدهر ما اكثر بلاويك
الله يزودنا السلامة من اتلاك[3]

* * *

(١) لين العذارى : حتى العذارى . وكان النساء العربيات أول ما ينظرن من الرجل شجاعته . ولسن بعاذرات أحد الا بعد فعل يرضين عنه .

(٢) يامرقب : لله علم تسورته غدوة . ظليت . قمت . باديك : متسلقك . خبرته علمته . تعلاك : صعدك .

(٣) وليت : ذهبت . بلاويك : بلاياك . أتلاك : نهايتك .

يا مالك اسمع جابتى يوم أوصيك

واعرف ترى يابوك بآمرك وانهاك(1)

وصية من والد طامـــع فيك

يسبق على الساقة لسانه لعلياك(2)

أوصيك بالتقوى عسى الله يهديك

لها وتدركها بتوفيق مولاك(3)

* * *

واعرف ترى مكة ولاها ابن اخيك

ولو تطلبه خمسة دنانير ما انطاك(4)

وهرج النميمة والقفـــا لا يجى فيك

واياك عرض الغافل اياك اياك(5)

---

(1) جابتي : كلامي . يوم اوصيك : وقت نصحي لك . ترى : اني يابوك : يا أباك . بامرك : سآمرك .

(2) وصية : مصدر لاوصيك . الساقة : المؤخرة . علياك : فخرك وسؤددك .

(3) عسى الله يهديك : ان يهديك : لها : الضمير يرجع للتقوى .

(4) ترى : ان . ولاها . حكم فيها . ابن أخيك . ابن عمك في لغتهم العامية . تطلبه . تريد منه . ما أنطاك : ما أعطاك .

(5) هرج النميمة : كلام النميمة . القفا : الغيبة . لا يجي : لا يكون فيك . واياك عرض الغافل . الخ تأكيد بعد تأكيد .

واذا نويت احذر تعـــلم بطاريك
كم واحد تبغى له العرف واغواك[1]

واحذر شماتة صاحب لك مصافيك
والى جرى لك جارى قلت لولاك[2]

يا ذيب وان جتك الغنم في مفاليك
فاكمن الى حيث الرعايا تعداك[3]

ومن أَول يا ذيب تفرس بياديك
واليوم جاذيب عن الفرس عداك[4]

والهقوة انك ما تجى دون أَهاليك
وما ذكر عود الورد يثمر بتنباك[5]

---

(١) تعلم : تخبر . طاريك : نيتك وقصدك . كم واحد : كم شخص . تبغى : تريد . العرف : الهداية . أغواك : أضلك .

(٢) شماتة : اللوم والتعنيف . والى : وإذا : جاري : جار — حادثة قلت لولاك : أي إذا حدث لك حادث بعد مشورة هذا الصديق قلت لولاك أشرت علي بكذا ما كان كذا . وشماتة صاحب من باب اضافة المصدر إلى مفعوله .

(٣) ياذيب : ياشبيه الذيب . مفاليك . مراتعك . الرعايا : القطعان . تعداك . تتجاوزك .

(٤) بياديك : بيديك . عداك : أبعدك .

(٥) الهقوة : الظن : تجى : تكون . دون اهاليك : أقل منهم . تنباك : تبغ .

والحر مثلك يستحى يصحب الديك

وان صاحبه عاعا معاعاة الادياك(1)

ومن نم لك ينم بك دون تشكيك

والاه قد ازرى رفيقك وأزراك(2)

ما اخطاك ما صابك ولو كان راميك

واللي يصيبك لو تتقيت ما اخطاك(3)

وله من قصيدة أخرى ، عاتب فيها ابن عمه ، على كلمة سمعها منه تقدح في حقه ، فجاءت هذه القصيدة تفيض بالعتب المؤدب ، والحكم الغالية ، يقول في مطلع القصيدة :

عفا الله عن عين للاغضى محاربة

وجسم دنيف وزايد الهم شاع به(4)

اسهر الى نام المعافى ومدمعى

قد انهل ما بين النظيرين ساكبه(5)

---

(1) الحر : الكريمَ الصقرّ . عاعى : صاح صياح الديكة .

(2) والاه : أذابه . أزرى : اخجل . رفيقك : صديقك .

(3) صابك : أصابك . والى : والذى . تتقيت : اختفيت . وفيه اشارة إلى الحديث واعلم أن ما اصابك . الخ .

(4) للاغضا : لا طباق الجفن للنوم . دنيف : مهزول . شاع به : إنتشر .

(5) الى : اذا . النظيرين : العينين .

ويقول في عتابه :

ولكن جاني منك مضمون كلمة

على حضرة الرماق والخلق قاطبة[1]

بهـــا تعاتبنى وما دست زلة

وغيري ولو داس الردى ما تعاتبه[2]

عساك تذكرني الى جتك ضيقـــة

وجا المال يحدى جافل من معازبه[3]

ثم يبين له خطته :

الى نبحتنا من قريب كلابـــــه

ودبت من البغضا علينا عقاربه

نحينـــاه باوراك المطايا ويممت

بناصوب حزم صارخات ثعالبه[4]

---

(١) جاني : جاءني . مضمون كلمة : فحواها . على حضرة . في حضرة الرماق النظارة . والخلق : الجمهور . قاطبة : محتشدة .

(٢) دست : وطأت . زلة : خطيئة . الردى : العيب .

(٣) الى : إذا .

(٤) نحيناه : تركناه . اكوار : جمع كور وهو الرحل يممت : المطايا . حزم . حزن . ثعالبه : جمع ثعلب .

بيوم من الجوزاء ويستاقد الحصـا

تلوذ باعضاد المطايا جخادبه (١)

مـــوت الفتى في كل دو سملق

خلي من الاوناس قفر جوانبه (٢)

على الرجل احسن من مقامه بديرة

يعيش بها والغبن فيها مطانبه (٣)

قلته على بيت قــديم سمعته

على مثلما قال التميمي لصاحبه (٤)

أَخذ معناه فقال :

اذا الخل اوراك الصدود فوره

صدود ولو كانت جزال وهايبه (٥)

---

(١) بيوم : متعلق بنحيناه . الجوزاء: أحد نجوم الصيف وهى بين التويبع والمرزم ـ الهقعة ـ يستاقد : يشتعل من شدة الحر . أعضاد : جمع عضد وهو ما فوق ركبة البعير حتى نهاية يده . جخادبه : جمع جخدب .

(٢) دو : مفازة . سملق: ممتد . الاوناس : الاناسى. قفر جوانبه : جوانبه قفر على الرجل أحسن : أحسن للرجل . ديرة : بلاد . مطانبه : مجاوره مأخوذ من طنب البيت .

(٤) قلته على بيت : أخذت هذا المعنى من بيت .. الخ .

(٥) أوراك : أراك . فوره : أره . ولو كان كثير العطاء .

وأَصل بيت التميمى هو :

(الاقفى جزا الاقفا ولا خير في فتى
يتبع هوى من لا يريد هواه)

ويمضى :

وخاطر بنفسك في لقى كل كايد
تحوش الغنايم والمقادير غالبة (١)

فلا خطر يـــوم بيدني منيـــة
ولا حذر ينجى من الموت صاحبه (٢)

وتري ما يعيب الدوح الا من اصله
ولا آفة الانسان الا قرايبـــه (٣)

---

(١) خاطر : جازف واقدم . لقى ملاقاة . كايد . صعب شاق . تحوش : تحوز . الغنايم : الغنائم . والقدر سوف ينفذ ولا يقدم أجلك أقدامك ، ولا يؤخره احجامك .

(٢) بيدني : سيدني . صاحبه : من تحلى به .

(٣) ترى : ان . يعيب : يميل . الدوح : الشجر . الا من اصله : إلا بسبب أصله . ولا آفة الانسان : ولا يؤثر في الانسان ويؤلمه . قرايبه : أقاربه .

وقديماً قيل :

احذر عـــدوك مـــرة واحذر صديقك ألف مـــرة
فلربمـــا انقلب الصـــديق فكان أعـــلم بالمضرة

قاسم بن ثاني :

كان محمد بن ثاني ـ والد قاسم ـ حاكما لقطر ، إلا أن حكمه غير مطلق ، فقد كان لآل خليفة حكام البحرين نفوذ في امارة قطر ، وكان محمد بن ثاني لا يمضى في أمر إلا بعد موافقة آل خليفة ، باسم المحبة والاخاء ، ولكن ذلك يخفى ما هو أدهى ، وأمر .. ولما شب قاسم عن الطوق ، وشعر بهذا الخناق الآخذ بتلابيب امارتهم ، أراد أن يستبد ـ وإنما العاجز من لا يستبد ـ فأخذ يتنكر لآل خليفة ، حتى شعروا بالجفوة التامة ، وعند ذلك دبروا حيلة للتخلص من قاسم ، فبعثوا لوالده يستزيرون قاسماً ، باسم تأكيد الصلة ، وشد الروابط ، فأرسل قاسماً إلى البحرين ، فكان نزله السجن ، وكان أن جهز أمراء البحرين جيوشاً لاحتلال قطر ، لاقت من القطريين مقاومة تامة ، حتى أسر من الجيش الغاري عدد كثير ، فاضطر البحرانيون أن يطلقوا قاسماً فداء لأسراهم ، وعندها قال قاسم هذه القصيدة ، التى نورد نماذج منها :

أري من صروف الدهر ما كدر الصفا

وجفن سهر مهوب بالنوم ذايل [1]

---

(١) مهوب : ليس : ذايل : مطبق .

ركبنا على ماشوة زجهـــا الهوى

وجينا من الشيخ المسمى نسايل(١)

وقلطنا وسلمنـــــا على كاسب الثنا

وجلسنا ودار بنا الفكر كيف قايل(٢)

فقال اقلطوا للمجلس اللي خلافــكم

وصكت علينا محكمات الحبايل(٣)

فيا رجل ياللي ما بعد داست الخنـــا

ولا قد تمشت في دروب الخلايل(٤)

ولا وقفت في ما قف ينقدونه

ولا وثرت درب عن الحق مايل(٥)

* * *

(١) ماشوة : سفينة . زجها : ازجاها . الهوى : الريح . جينا : جئنا . من الشيخ . الخ : نسأل عن الشيخ ذي الشهرة والاسم الكبير :

(٢) قلطنا : تقدمنا . كاسب الثناء : مدرك الجميل . كيف قايل : على كل مدار .

(٣) اقلطوا : تقدموا . الى : الذى . خلافكم : خلفكم . صكت : ارتجت . الحبايل : الاقفال :

(٤) يارجل : ينادى رجله . اللي : اللتي . داست الخنا: وطأت موطىء الريبة . تمشت : مشت . الخلايل : ما يخل بالانسان .

(٥) ماقف : موقف . وثرت : بدا أثرها . مايل : مائل .

فويل لقاضى الارض من قاضى السما
الى عاد ميزانه عن الحق مايل(١)

وله من قصيدة ضمنها كثيراً من الحكم ، والمواعظ ، وشفت عن عقيدة سليمة ، وطوية حسنة ، وليس بدعا أَن يأْتي هذا من قاسم فهو العالم الجليل ، والسلفى المحض ، والموقف نفسه وماله لخدمة العلم ، والعلماء .. قال :

وكذا قد بدا الاسلام في حال غربة
ويرجع غريب وحن به اغراب(٢)

وخرجت من بين السلاطين كننى
حر تعلوى فوق روس هضاب(٣)

اراهم بخزر العين شزر عداوة
دين ادينه رب كل اربـــــاب(٤)

---

(١) الى عاد : إذا كان . وفيه اشارة الى البيتين :

اذا خان الامير وكاتبـــــاه وقاضي الارض داهن في القضاء
فويل ثم ويـــــل ثم ويـــــل لقاضى الارض من قاضى السماء

(٢) كذا : مثل هذا . حن : نحن . أغراب : غرباء . وفيه اشارة إلى الحديث : بدا الاسلام غريباً .. الخ .

(٣) كنى : كأنني . حر : صقر . تعلوى : ارتفع .

(٤) دين : دينا مفعول لأجله . أدينه : أدين به .

لك الحمد يا من هو بتقواه عزنا

وجعل لنا الدين القويم حجاب

حجاب حجبنا عن موالاة غيره

وذا شان من طاع الاله يثاب[1]

وله من قصيدة أخرى في هذا المعنى :

وعن طاعتك ما غيرتنا الليالى

وفي منهج التوحيد ما نتبع الهون[2]

فبذا رقينا شامخات الجبال

عن ملك دولات وعن حكم قانون[3]

ومع ذا نوالى كل من لك يوالى

ونبغض جميع الى لغيرك يوالون[4]

عبادة الاوثان حزب الضلال

باصنامهم واوثانهم يستغيثون[5]

---

(١) غيره : الضمير يعود إلى الله . طاع : أطاع .

(٢) الهون : الضعف .

(٣) رقينا : صعدنا والمراد العز والرفعة التي لا يساميها ملك الدولات ، ولا ندع قانون السماء بالقوانين الوضعية وفي ذلك تعريض ببعض الامارات والحكام .

(٤) ومع ذا : ومع ما تقدم فلا بد من الولاء والبراء . الى : الذين .

(٥) عبادة : عباد . بأصنامهم : الباء متعلقة بيستغيثون .

ومحاربين الله عزيز الجـــــلال
ومحاربين الى بدينـــــه يدينون[1]

مجتمعـــــة ما بين جاف وغـــالى
عدوان بالدين الحنيفى يسوون[2]

فحنا حرار في ليـــــالى السيالى
هداتنا يفرح بهـــا كل مغبون[3]

وانفوسنا ترخص لنا كل غالى
ونرخص بها في ساعة الناس يغلون[4]

آل خليفة :

يعنى آل خليفة حكام البحرين ، بالأدب عموما ، وبهذا اللون منه خصوصاً ، ولهم فيه اشعار جزلة ومشاركات جميلة :

فمن شعر الشيخ سلمان بن حمد ، قصيدة يتشوق فيها إلى البراري والفلوات ، جادها الغيث واشتبك نوارها ، وغردت أطيارها :

---

(١) حرب لأوليائه حزب لأعدائه ولبئس المنهج .

(٢) مجتمعة : طائفة : مجتمعة عدوان : أعداء . يسوون : يعدلون .

(٣) حنا : نحن . حرار : صقور . السيالي : الشدات والأزمات : هداتنا : جمع هدة وهى المرة من مبادأة العدو . مغبون : موتور .

(٤) ولرخص نفوسنا عندنا حيث ينبغي الرخص دان لنا أعداؤنا وارغمنا أنوف مناوئينا اما غيرنا فنفوسهم دائماً غالية لديهم . وذل من يغبط الذليل بعيش .

ودي بسير البر من عقب الامطار

ومن عقب ما تنشف نداوة غديره[1]

واهد خطوات اشقر يلحق طيـــار

الى ضربهـــا حولت مستديرة[2]

والى ضوينا صفهم شاق الانظار

والكل منـــا معجبه فعل طيره[3]

عن دوجة في القفر ماني بصبـــار

حيث القنص ماريت مثله نظيره[4]

أَما الشيخ محمد بن عيسى ، فشاعر العرب والنبط ، والهوى والشباب ، له الرقائق الجميلة ، والنغمات العطرة ، استمع إليه

---

(١) ودي : مناى . سير البر : السير في البرارى . عقب : بعد . نداوة : من الندى وهو الرطوبة .

(٢) اهد: من الهدد وهو اطلاق الطير الجارح للصيد . خطوات : باسكان الطاء : أشقر : لونه كذلك يلحق : يدرك . طيار : يدرك الطريدة طائرة . الى : إذا . حوات : نزلت . مستديرة من الدوران اثناء السقوط .

(٣) الى : إذا . ضوينا : رحنا .

(٤) دوجة : جولة . ماني : ما انا . وعن متعلقة بصبار . حيث : لان . ما ريت : ما رأيت . نظيراً له يماثله .

نهاري نهار الناس اسعى إذا سعوا
وبالليل افكاري وسيـــع مجالها[1]

ولوع هلوع اطرد الياس بالرجـــا
ومن حقق الرجوى بمولاه نالهـا[2]

وممـــا دعاني وازدهاني وهاضنى
تلاوح بروق زاد نوضى اشتعالها[3]

تشوق الذي مثلى غريم مولـــع
بشوف المغاني نازحات هجالهـــا[4]

يلومونني ناس على غير حجـــة
وهنى نفس لا عليها ولا لهـــا[5]

---

(١) وسيع : واسع .

(٢) الرجوى : الرجاء .

(٣) هاضني : اثار أشجاني . تلاوح : اشتعال . زاد نوض : كثر وميض .

(٤) غريم : موله . شوف : رؤية . هجالها : جمع هجلة وهى المكان المنخفض تجتمع فيه السيول .

(٥) ناس : اناس . وفي هذا لغة البراغيث . هني : ما أهنأ : وفي هذا العجز المثل بكامله . أما البيت الأول من هذه القطعة ففيه اشارة إلى البيتين العربيين :

أقضي نهاري بالحديث وبالمنى ويجمعني والهم بالليـل جامـع
نهاري نهار الناس حتى اذا دجى لي الليل هزتني اليك المضاجع

وتجد هذه القطعة مستقيمة الوزن العربي لولا ما في البيت الثالث من عيب الاقواء .

ولصاحب السمو الشيخ عبد الله بن عيسى ، شعر جميل جيد . جاء في احدى قصائده السياسية قوله :

ياخوي ضاع السمت في ذا الزمان
اقطعك يا دهر بخبثه تلون[1]
ياليت وقتى سابق ذا الاوان
ما شفت انا الاجناب مع ذا التمدن[2]
اكثر تمدنهم غدا بهرجاني
ما فيه خير للرجل لا تفطن[3]
والا سياستهم خداع عيان
شوف الذي تسمعه عن مجلس الامن[4]
لو زانت النية صلح كل شان
واستامنوا ذا الناس من حرب ومحن[5]
ضاعت ديانتهم وضاع الاماني
ما يصلح العالم بلادين جزمن[6]

---

(١) ياخوى : يا أخي . ضاع السمت : فقد . أقطعك : فلتنقطع .
(٢) وقتي : زمني . ما شفت : ما رأيت . الاجناب : الاجانب .
(٣) غدا بهرجانى : صار بهرجا . لا : إذا .
(٤) عيان : مشاهد . شوف : تدبر .
(٥) شان : شأن . استامنوا ذا الناس : فيه لغة البراغيث .
(٦) ضاعت : فقدت . ديانتهم : دينهم . جز من : بالتأكيد الدارج .

أما الشيخ علي بن خليفة بن سلمان . فله أيضاً قصائد جيدة لقد فقد صقره الاشقر ذا العينين الملتهبتين ، والحجل القصير ، والكف الصارم ، فهو يقول :

يا من يبشرني وياخـــــذ بشارة
بالطير لو شافه على راس مرقاب(١)

* * *

مع ذا وعندي من مواكر حراره
اشقر على برقى الجناحين وثاب(٢)

يا ما حلى وقت العصير افتراره
الى عاد مشقى والقنانيص ركاب(٣)

مع غلمة عـــودتهم بالصقارة
ولا ناب للخفرات رغب وطلاب(٤)

---

(١) بشارة : جعل . الطير : الصقر . لو شافه : لو رآه . راس مرقاب : رأس علم .

(٢) مع ذا : ليس هو الوحيد عندى . مواكر حراره : جمع ماكر وهو الوكن والعش . والمراد من أمثاله . والحرار : النوع الممتاز من الصقور . أشقر : صفة لموصوف محذوف . والاشقر منها هو الجيد . برقي الجناحين : الحبارى ريش جناحيها مفصل بالسواد والبياض .

(٣) ياما حلى : ياما احلى . افتراره : استدارته . الى عاد : ما دام . مشقى : مولع . القنانيص : القناص . ركاب : راكبون .

(٤) غلمة : غلمان . الصقارة : ترويض الصقور . ولا ناب : ولا انا . الخفرات : النساء الحييات .

شفى معاهـــم سجـــة وافتكاره
في وسط روض فيه ريح النفل طاب[1]

آل الرشيد :

وقل أَن تجد أَميراً من أَمراء آل الرشيد ، الاوله شعر . ومعظم شعرهم من باب الفخر والحماسة ، والاعتزاز ، والادلال. وممن اشتهر منهم بالشعر اثنان هما عبيد الرشيد ، وعبد الله الرشيد ، وعبيد أَكثر وأَجزل شعراً من عبد الله ، يقول عبيد من قصيدة :

من فعل ربعى مروية كل مذلوق
يوم الوغى يفرح بهم كل بلشان[2]
أَشرب هماج الما ولو كان مطروق
واصبر على صكات بقعا والاكوان[3]

(١) شفى : مناى . معاهم : معهم . سجة : سبحة . افتكاره : تفكر . روض : روضة ، ريح : رائحة . النفل نبت طيب الرائحة .

(٢) ربعى : طائفتى . مروية : بالتخفيف من الرى ضد العطش . كل مذلوق : المراد به ذو الحد من سيف ورمح . الوغى : الحرب بهم : يعود الى ربعه — جماعته — بلشان : حيران مضطهد .

(٣) هماج : الماء المالح . مطروق : كدر من فعل الماشية وغيرها . صكات بقعا . صكات : نكبات . وبقعا : هى الدنيا ولعله مأخوذ من الصاقعة والباقعة للارزاء والنكبات . الاكوان : جمع كون وهو لقاء الاعداء .

شابت عوارضنا بزارق ومزروق
وصوايح بظهور طوعات الارسان[1]

أَما عبد الله فيقول من قصيدة :

لكن الى ركب الرشا للمحالة
واستثقلت ماني من الحرب ملال[2]

نرسى كما ترسى رواسي جبـــاله
ما ننهزع من وطي حافي ونعـــال[3]

ومن عاف صاف الما وكدر زلاله
نسقيه كدر لين يروى ويكتال[4]

شهودي بجلدي والعدو به بداله
والناس تدري بالجدايد والاسمال[5]

---

(١) زارق ومرزوق : طاعن ومطعون . والمراد كثرة الاصطلاء بنار الحروب . صوايح : صيحات . طوعات الارسان : الابل الطيعة .

(٢) إلى : إذا . الرشاء : الحبل يجذب به الماء . المحالة : البكرة . استثقلت : لقحت . ماني : ما أنا . ملال : ملول .

(٣) نرسى : نثبت . والضمير في جباله يرجع الى غير مذكور كما هى عادتهم احيانا ننهزع : نتقهقر . وطى . وطء . حافي ونعال : المراد الخاص والعام .

(٤) عاف : لم يرد . لين : حتّى . يكتال : يمتار .

(٥) شهودي بجلدي : هى الندوب وآثار الجروح . بداله : مثله . الجدايد والاسمال القديم والحديث .

ولأسرة السداري ، شعر جيد جميل ، ينبىء عما عليه هذه الأسرة الكريمة ، من فضل ونبل ، يقول أحمد بن عبد الله السديري من قصيدة طويلة :

وثيابنا مهيب تصبح مواريس
الا من البارود فيها غشاير(١)
مناب من يلهى بكثر المعاريس
كيفاتنا من فوق عوص فطاير(٢)
نسري الى من الدجا جا خراميس
من فوق ما يحتاج ضرب المساير(٣)

ولعبد الله بن أحمد السديري :

لا تحسبون المرجـــلة بالشباريق
وقولة حسين اللون وازين دله(٤)

---

(١) مهيب : ليست . مواريس : ملطخة بالورس . وهو نوع من الطيب تتضمخ به العروس . غشاير : آثار .

(٢) مناب : لسنا . المعاريس : الزواج الكثير . كيفاتنا : جمع كيف . عوص : نجائب . فطاير : مسنة .

(٣) جاخر اميس : صار شديد الظلمة . ما يحتاج ضرب المساير : مالا يحتاج ضرب العصي .

(٤) المرجلة : الرجولة . الشباريق : الخداع والتزويق . حسين اللون : حسنه . وازين دله : دعابته .

المرجلة تبغى رجـــال صناديق

لوالبـــه ما كل من جايحله[1]

ورد على التالى الى جن مع الضيق

الى زعتر المضيوم بالصوت كله[2]

* * *

تري الغبن يرث على الكبد تحريق

ماينفعك من صاحبك قول خله[3]

أما أسرة آل ماضى فلها هى الأخري ، شعر رائع ممتع ، تستل من خلاله دلائل الزعامة والشمم والمروءة .. اقرأ لعبد العزيز بن جاسر ابن ماضى من قصيدة طويلة بديعة :

ليمن تتابع حادث الدهر وانتهى

وايقنت ان افراجها في حصورها[4]

---

(١) صناديق : كناية عن حفظ الاسرار . لوالبه : جمع لولب : والمراد لايستطيع أحد ان يستظهر ما لديه .

(٢) رد على التالي : عودة على الاخير في الهزيمة . الى جن : المراد الخيل . زعتّر : رفع عقيرته .

(٣) ترى : ان يرث يورث . خله : اتركه .

(٤) ليمن : اذا . افراج : جمع فرج . بفتحتين .

ايقنت ان يبعث لنا الله ناصر

والاضطداد يجعل كيدها في نحورها[1]

واضرب على صعبات الاشيا وكن لها

بصدم لشدات المعاني صبورها[2]

وامسك عنان العزم بالكف يافتى

فحتف المنايا زار من لا يزورها

ولتركى بن فوزان بن ماضى من قصيدة :

الحيف ما يصبر على الحيف رجال

ان كان في راسه زعانف صطاره[3]

اليوم صرف الدهر لى جاب الاهوال

قد سطره قبلي قوي العبارة[4]

استنعج السرحـــان والهرماسال

وركب الرديف وراعى الكورداره[5]

---

(١) يجعل كيدها في نحورها : فيه الاقتباس .

(٢)) صعبات الاشياء : صعابها .

(٣) الحيف : الجنف . رجال : رجل . زعانف صطاره : شجاعة وانفة .

(٤) جاب : أتى . ولى : متعلق بجاب . قوى العبارة : الشاعر القوى الذى يريد أن يضمن له .

(٥) استنعج : صار نعجة . والسرحان : الذئب . الرديف : الراكب على مؤخزة الرحل . داره : نحاه .

ولآل عريعر أمراء الخط سابقاً ، وذوي الشهرة في التاريخ ، لهم شعر يشف عن مجدهم وسؤددهم ، استمع لعرعر بن دجين أحد مشائخهم :

جضيعى من الهندي مصقول صارم
لما ناش من جثل العظام رماه
وثـــوبي من البولاد درع وطاسه
يبين لعين الناظرين سناه (١)
فناراعى الهدلا شقا كل عايل
ولو صار مدح الروح فيه سفاه(٢)
فما الشعر الا يفرح القلب ساعة
والافعال تبري للعليل حشاه(٣)

ولآل سليم أمراء عنيزة ، اشعار ، هى صدى ما يعتمل في نفوسهم ، وما هم به جديرون .. فها هو زامل السليم في شعره الحربي البليغ :

---

(١) البولاد : الحديد : سناوُه : ضوءه .

(٢) راعي الهدلا : صاحب الناقة أو الفرس الموسومة بهذه الصفة . شقا كل عايل : شجى في حلق كل معتد . أقول هذا ولو أن مدح النفس معيب ولكنى على بر في ما قلت .

(٣) يقول ان الشعر مهمته التسلية والتخفيف ولكن الذي يشفى الغليل هي الافعال.

والله ما يجلى عن الكبد اللهيب
كود الفرنجى يوم يظهر من خباه[1]

ومصقلات معتبينه للحريب
تصرخ الى من اللحم علق الشباه[2]

كم فرقت يوم الملاقا من حبيب
عليه خله بالدجا يكثر بكاه[3]

خلى عشا برق النسور وكل ذيب
والضبعة العرجا تعشى من شواه[4]

وله من مقطوعة حربية أخرى :

نضرب البر العبر ما نخاف من الخطر
من وقف بنحورنا طلقت حلايله[5]

---

(١) اللهيب : الحرارة . كود : سوى : الفرنجي : البنادق . يظهر من خباه : يخرج من جرابه .

(٢) معتبينه : معدونه للحريب : المحارب .

(٣) الملاقا : اللقى . خله : حبيبه .

(٤) خلى : ترك . برق النسور : من اضافة الصفة للموصوف . والمعنى ان لونها أبرق .

(٥) نضرب : نسافر . البر العبر : الصحراء الموحشة الخالية . نحورنا : أمامنا . طلقت حلائله : المعنى قتل ولبست نساوه ثياب الحداد .

مع هل العوجا كما السيل الى منه حدر
بامر شيخ مقدم قد مضت فعايله(١)

وربعى القصمان مامنهم اللي ما حضر
باللقى يا شيخ كسابة للطايلة(٢)

ولو ذهبنا نتتبع أَشعار أَمراء الجزيرة ، وشخصياتها البارزة ، من أَمثال آل مهنا ، وآل مرعى ، والهزازنة ، والأَشراف ، والقضاة ، والبواريد ، وآل عسكر ، والتواجر ، وآل مبـــارك ، وغيرهم.. وغيرهم ممن اثر لهم شعر جيد ، كان له صدي في ربوع الجزيرة . لو ذهبنا نعدد شعراءهم ، ونورد شيئاً من اشعارهم ، لاستبد ذلك بكتابنا ، وخرجنا عن صلب موضوعنا ، ولكن يكفى من القلادة ما أَحاط بالعنق !!

أَما أَمراء بادية الجزيرة ، فكلهم ، أَو أَكثرهم يقرض الشعر ، وفي شعرهم صورة لبيـآتهم وطبعائهم ، قل ان نجد للرقة والسلاسة فيها مكاناً ، ولعلنا نجد مجالا لتناول هذا الموضوع بالدرس والموازنة في مكان آخر من هذا الكتاب .. ونكتفى من

---

(١) كما السيل : كأنهم السيل المنحدر . العوجا : العارض وما جاوره . فعايله : أفعاله الطيبة .

(٢) ربعى : قومى.القصمان : نسبة الى القصيم . كسابة للطايلة من شأنهم كسب المجد.

ذكر هؤلاء بأَربعة ، كان لهم في الشعر يد ، وفي الشهرة مكان .. وهم :

مشعان بن هذال شيخ مشايخ عنزة ، ووراكان بن حثلين شيخ العجمان ، وتركى بن حميد شيخ عتيبة ، ومحمد بن هادي شيخ قحطان .

مشعان بن هذال :

له شعر جيد ، ضمنه فخره ، وفخر قومه ، قال من قصيدة :

حنا شباة الحرب وان شبت النـــار
وتفازعت بين الجموع المشاهير[1]

وحنا هل الجمع المسمى الى سار
مركاضنا يشبع به السبع والطير[2]

ورفاقته والى حــــذانا لهم جار
وحنا عليهم نحمى الجار ونجير[3]

---

(١) حنا : نحن . شباة الحرب . حده : تفازعت : نفرت : المشاهير : الكبار :

(٢) الجمع المسمى : المشهور . مركاضنا : معركتنا .

(٣) رفاقته : جماعته . اللي حذانا : الذي حولنا .

ومن قصيدة له أخرى :

ياما حلى وقت الضحى طق شوباش
وقامت تنــازا بالمناعير جلعود(١)

وأنا على مثل النداوي الى حاش
تنزع كما ينزع من الكف بارود(٢)

ومن لا يروي شذرة السيف لا عاش
اصبح عليه مورد الجيب مقدود(٣)

وله أيضا :

يا بايـــع جوخ على غير اهاليه
مثل الذي ينزل بقصر خرابه(٤)

لو يدهجه وبل الثريا ويسقيه
ويمطر بياقوت ومسك سحابه(٥)

---

(١) ياما حلى : ياما احلى . شوباش : ضرب الدفوف والاستعداد للاغارة . وقامت تنازا : جعلت تقفز : والضمير يعود على الخيل وإن لم يجر لها ذكر . المناعير : الشجعان . جلعود : ململمة .

(٢) النداوي : الطير . الى حاش : إذا انطلق . تنزع كما ينزع : تنطلق كما ينطلق البارود .

(٣) شذرة السيف : حده . مورد الجيب : ما يفوح منه رائحة الورد . مقدود : مشقوق .

(٤) أهاليه : أهله . خرابة : متهدم .

(٥) يدهجه : يمره .

ما ينبت النوار لو سال واديه
صبخا وجفجاف هيار جنابه[1]

ولد الردي لو طاب لك لا تماشيه
يومين والثالث يبين الردي به[2]

راكان بن حثلين :

له شعر كثير وجيد ، هو وحى أيامه المليئة بالفتن والأحداث المترعة بالمصائب ، والمحن .. يقول من قصيدة بعث بها إلى عبد الله آل فيصل ابن تركى آل سعود ، استهلها بقوله :

قال المعيضي بالضحى يبدع القاف
في دار سمحين الوجيه الكرام[3]

وبعدئذ يبعث ركباً ، ويصف سفينتهم أولا ، – وكان إذ ذاك في البحرين – ثم يصف ابلهم السريعة ، وينتهى :

---

(١) النوار : الزهر . صبخا : سبخه . جفجاف هيار جنابه : متداع منهار لأنه لا أساس له .

(٢) ولد الردى : ابن النذل .

(٣) المعيضي : قبيلته آل معيض فخذ من العجمان . يبدع القاف : ينشىء الشعر . سمحين الوجيه : سمحى الوجوه .

يمشن ثلاث عقب الاوما والاصلاف
والرابعة يلفن لولد اليمام (١)

لى جيت مجلسهم تقل دولة اشراف
اختص ابو تركى برد السلام(٢)

سلام احلى من لبن كل مشعاف
واخن وانوج من عنابير شام(٣)

ولفتها يا شيخ من كل الاطراف
نمرى كما وصف الجـراد التهامى(٤)

والله لولا جمعك اللي له ارداف
دولة هل العوجا سواة النظام(٥)

---

(١) يمشن : الابل ثلاث ليال . عقب : بعد . الا وما : الايماء . والاصلاف . العنق في المسير . يلفن . يصلن . لولد اليمام . لابن الامام .

(٢) لي جيت : إذا جئت . تقل : تقول . اختص : خص ابو تركي : عبد الله الفيصل . برد : برفع .

(٣) مشعاف : ذات الشعفة من الابل وليس عند البدوي اطيب من لبن الابل . اخن وانوج : اشد خنة ونوجانا وهما ذيوع الرائحة . عنابير شام : عنبر الشام .

(٤) ولفتها : عبأتها والمراد الفرقة الكبيرة من الجيش . نمرى : مجموعة نمور . كما : كأنها (ووصف) مقحمة يستقيم المعنى بدونها . التهامي : الاحمر ووجه الشبه الكثرة والحمرة .

(٥) الى : الذي . أرداف : كثرة . دولة : طائفة . هل العوجاء : أهل العارض ومن جاورهم . سواة : مثل . النظام . الجيش المنظم في طاعتهم واقدامهم .

انا نعدلكم على كل مزقاف

فعل تعرفونه جديد وعـامى[1]

عاداتنـــا عنـــد المظاهير ننشاف

الى طار ستر معورجات الوشام[2]

ليتك لنا يا شيخ بالعين تنشاف

يـوم اقبلت دولات صبيان يام[3]

معهـــم فرنجى لحسه تقصاف

مثل الرعد في مدلهـم الغمام[4]

وقد سجنه الاتراك ، ولما شعر بمرارة السجن ، وقساوة الكبت ، بعد الغدوات ، والروحات ، في ربوع الصمان ، والدهناء ، حيث الخزامى والعرار ، والصبا ، والنعامى ، قال من قصيدة طويلة :

---

(١) نعدلكم : نصرفكم . مزقاف : فرس شديد سريع . عامى : قديم .

(٢) المظاهير : جمع مظهور وهو الجمال تحمل الهوادج . ننشاف : نرى . الى : اذا . طار : سقط . معورجات الوشام : مفصلات الوشم .

(٣) تنشاف : ترى . دولات : زمر . صبيان يام : شبابها والعجمان من قبيلة يام .

(٤) فرنجي : بنادق . حسه : صوته . تقصاف : هزيم .

فياحظ من ذعذع على خشمه الهوى
وتنشى من اوراق الخزاما فنودها[1]

وتيمم الصمان الى نشف الثري
من الطف والاحادر من نفودها[2]

معاوجه سلفان الى لاح بارق
نحت له ولو هو نازح من حدوها[3]

* * *

فان جـــر حربي علينـــا جريرة
صبرنا عليه الين نقوى ردودها[4]

فايلا قوينـــا الرد نجزيه مزنة
حمرا تزلزل في رهقها رعودها[5]

---

(١) ياحظ : ما أكبر نصيب . ذعذع : مر . خشمه : أنفه . الهوى : النسيم . تنشى : شم . الخزامى : نبت طيب الرائحة ذو زهر أزرق . فنودها . أغصانها .

(٢) الصمان : مكان خصب . الى : اذا . نشف الثرى : يبست الارض . الطف مكان . النفود : الدهناء . حادر : منحدر .

(٣) معاوجه سلفان : أمام قطعان الماشية . الى : إذا . لاح بارق : اشتعل . نحت له : عمدت اليه . ولو هو : ولو كان . نازح : بعيد . من حدودها : عن حدودها .

(٤) جريرة : جيش . الين : حتى . ردودها : ردها .

(٥) فايلا : اذا . قوينا : عليه . مزنة : كناية عن الغارة . رهقها : منظرها المهيب .

رعدها القهر ومصبب الدرج وبلهـــا
وحدب مقابيس البلا في حدودها(١)

تركى بن حميد :

بين يدي الآن من شعره ، قصيدة جزلة ، يحسده كثير من الشعراء عليها ، ضمنها كثيراً من الحكم النادرة ، التى تستغرب أن تكون من ابن البادية ، الناشىء بين النجاد والوهاد ، استمع إليه :

قالوا جهلت وقلت جهل بلا قيس
الجاهل الى ما يعرف اليموم (٢)
واشوف عدلات الليالى مقابيس
ولاحد من الدنيا عظامه سلوم(٣)
والبني ما يصلح على غير تأسيس
ومن لا تعلم لا تسر العلوم(٤)

---

(١) القهر : البارود . الدرج : الرصاص . حدب : جمع أحدب وهى السيوف
(٢) بلاقيس : بلا قياس . اليمومي : طريق الصواب .
(٣) أشوف : ارى . مقابيس . منطوية على سوء . ولاحد : ولا احد . عظامه سلوم : كل قد كسرت الدنيا عظامه – من ذارأيت مسلماً لا ينكب ؟ ! .
(٤) البني : البناء . من لا تعلم : من لم يتعلم . العلوم : التوصيات .

ثم يفضى إلى وصف الجياد ، التى يفرج على صهواتها هو وطائفته همومه وغمومه ، فيقول :

قب تنـــازي بالنشامى كراديس
والطير في روجاتهنه يحوم[١]

عرج ولوهــن كنهن القــرانيس
على الطريح مصوبرات كضوم[٢]

ثم ينشر حكمه :

من لا يدوس الراي من قبل ماديس
عليه داسوه العيـــال القروم[٣]

---

(١) قب : جمع قباء وهو الفرس الضامر البطن المقوس الظهر والجنبان . تنازى : لها نزوان على حزون الارض . النشامى : الشجعان . كراديس : جمع كردوس وهى الزمر . ويحوم الطير على مضطربهن لعلمه أن قوته هنالك .

(٢) عرج : جمع عرجاء ومن عادة الفرس الاصيل إذا أخذ بشكيمته ان يتعارج ويتجانف بين اعطاء القياد وبين الاستجابة لسجيته . ولوهن : ولو انهن . كنهن القرانيس : كأنهن الصقور نمت قوادمها وخوافيها بعد السقوط . الطريح : القتيل . مصوبرات : واقفات . كضوم : كاضمات الاعنة . وهذا يشابه قول عمرو بن كلثوم :

وسيد معشر قـــد توجـــوه بتاج الملك يحمي المحجرينا
تركنا الخيل عاكفة عليـــه مقلدة أعنتهـــا صـــفونا

(٣) يدوس الراى : يحوك الرأى ويحكمه . العيال : الرجال : القروم : الشجعان.

ومن لايقلط شذرة السيف والكيس
تبدي عليه من الليـالى ثلوم[1]

اعمل وتلقى وافهم العلم بالقيس
دنياك لو زانت تراها نقوم[2]

تضحك وتخفى لك خفي الهناديس
تفطر لها يوم والآخر تصوم[3]

أَما محمد بن هادي بن قرملة شيخ قحطان ، فقد كان له من النفوذ والسلطة ، ما يشابه الحكام في نفوذهم ، وسلطتهم ، بحكم امارته المطلقة على قبيلة عظيمة من خيرة قبائل العرب ، ومن أَكثرها ، ولهذا فان أَمراء القبائل الأَخري تهدي إِليه الهدايا ، وتخطب وده ، ومن هؤلاء راكان ابن حثلين شيخ العجمان ، وهم من هم ، في الشجاعة والنجدة ، فانه قد أَهدى إِليه فرسه ، ولكن النفوذ والسلطة ، لا تجعلانه يحتمل أَي

---

(١) يقلط : يقدم . شذرة السيف : حده . الكيس : كناية عن الكرم والبذل . تبدي : تبدو . ثلوم : ثغرات ونكبات .

(٢) تلقى : تجد . بالقيس : بالقياس . زانت . طابت . تراها : فانها . نقوم : ذات نقمة وانقلاب .

(٣) الهناديس : الالغاز والمعميات . تفطر وتصوم : والمراد أنها قلب تتلون تلون الغول . وفي البيت المقابلة .

بادرة تـأتيه من أي شخص كان ، إذ لما أحس ما أحس من العجمان ، قال محتدا محتدما :

لى لابة حدرتهــا من تهامــة
وسلاحها صنع الفرنجى والاروام(١)

ياذا البهم والله ان تباري الجهامة
حتاك تنزل بين صفوي والوجـام(٢)

لابد من يـــوم يثور كتامه
اما على المطران والا على يام(٣)

وهنا يحس راكان وقبيلته ، بالمضض والألم ، أبعد أن أهدوا إليه الهدايا ، وقدموا إليه يد المسالمة ، يرغي ويزبد ، ويتهدد ويتوعد ؟ ! ، لا ، إنهم سيدينونه كما دان ، ويكيلون له الصاع صاعين . فيجيبه راكان :

---

(١) لابة : طائفة . حدرتها : اتيت بها . تهامة : ما بين جبال السروات والبحر الاحمر . الفرنجي : الافرنج . الاروام : الروم .

(٢) البهم : صغار الغنم . تباري : تصاحب . الجهامة : الظعائن وسواد القطين . حتاك : حتى انك . صفوى والاوجام : قريتان قرب القطيف .

(٣) يثور : بتشديد الواو . كتامه : قتامه . يقول ان اليوم الذى ينعقد القتام فيه قريب . المطران : قبيلة مطير . والا على يام : واما على قبيلة يام الذين هم العجمان ومن لف لفهم .

يا راكب حـــــر تذرب سنامه

ني على ني جديد وما العــــام[1]

يلفى لنـــــا شيخ كبير العمامة

شيخ ورمحه في هل الخيل مسلام[2]

أَهديت لك نور السلف والجهامة

ابغيه ذخر في مقاديم الايام[3]

غديت انا واياك مثـــــل النعامة

جاها بلاها من ثقيلات الاقدام[4]

فان كان تبغى للجحادر سلامــــة

فلا تحدر بالجحادر على يام[5]

---

(١) ياراكب : ياراكبا . حرا : نجيبا حرا : والحرار من انساب الابل الجيدة الشهيرة . تذرب سنامه : علا واكتنز . ني على ني : بناء على بناء شبه شحم سنامه بالنأى يقام دون السيل .

(٢) يلفى : يصل . شيخ ورمحه : مبتدأ وخبره الجملة الحالية : هل الخيل : أهل الخيل . مسلام : يسلمهم لا ينالهم بسوء رغم أنه شيخ والشيخ لا بد أن يكون شجاعا .

(٣) نور السلف والجهامة : بهجة الحى وزين القطين والمراد الفرس . ابغيه : اريده ذخرا عندك في الايام القادمة .

(٤) غديت : صرت . جاها بلاها : جاءها بلاؤها : ثقيلات الاقدام : مناسمها تعوقها عن الطيران مع انها في عداد الطيور ؟

(٥) تبغى : تريد الجحادر . لقب لقحطان أو لطائفة منهم . تحدر : تنحدر والمراد تذهب بهم .

يحرم عليك النوط فكة بلامـــه
ما دام فيها واحد من ضنى يام [1]

---

(١) يحرم عليك : ذلا ، لا شرعا : النوط : وعاء التمر . فكة بلامه : بدل بعض من كل من النوط . والمراد حل وكائه فيها : يعود الى هجر وما حولها . واحد : اى واحد . من ضنى : من نسل يام وفي هذا البيت مع ما قبله الايطاء

النقائض في شعر النبط

والشعر النبطى حافل بالنقائض ، معرق فيها ، والدواعى والملابسات التى هيأَت نقائض الشعر العربي ، واثارتها بين الشعراء حرباً كلامية لا هوادة فيها . هى هى التى تغذي هذا الجانب في الشعر النبطى ..

فما نراه بين ابن لعبون وابن ربيعة الشاعرين النبطيين من تهاج ومعارك كلامية ، وقودها النعرات الجنسية ، والتعصب القبلى .. هو هو ما نراه بين جرير والفرزدق وغيرهما ..

فالصراع الذي بين آل وطبان ، ومعهم آل سعدون ، وفي كفتهم الشاعر ابن ربيعة ، وبين أَهل حريملاء ، ومعهم أَهل حرمة ، يناصرهم ابن زهير ، وفي كفتهم ابن لعبون .. هذا الصراع هو وقود هذه المناقضات ..

يقول ابن لعبون في ابن ربيعة من قصيدة طويلة :

يمناك تقصر عن فعل نيـــة الخير

ومن المراجل ما ذكر بلك نماره[1]

---

(١) نية الخير : سبيله . المراجل : المكارم . نمارة : شجاعة ونخوة .

من طلعتك سهمتك رقص وتسطير
وبالعون ما بك عقب شعرك تجاره[1]

تفخر بسلطان العرب وانت من غير
ما مفخر البزون ليث المغارة[2]

تدري بجدك من مقـــافي بقاقير
اقبل وحطه مقرن في جواره[3]

واقفيت تشتم للصفرات والبير
تقول عـــود جيتى له خسارة[4]

لو انت منهم ما رضو لك بتصغير
عنــــــد القبايل مظهرين وقاره[5]

---

(١) من طلعتك : منذ نشأت . سهمتك : ديدنك . بالعون : كلمة يقولونها تشبه القسم .

(٢) تفخر بسلطان العرب : بابن سعود لان ابن ربيعة ينتمي لآل سعود . البزون : القط .

(٣) من مقافي بقاقير . من رعاة البقر . حطه : جعله . مقرن جد آل مقرن .

(٤) الصفرات والبير : قريتان من قرى المحمل مر بهما ابن ربيعة بعد قفوله من بني عمه آل سعود وكأنه غير راض عن هبته فقال قصيدة ذكر فيها الصفرات والبير ذكرا غير حسن .

(٥) بتصغير : بتحقير . القبايل : القبائل . وقاره : اعظامه واحترامه .

ويجيبه ابن ربيعة بنقيضة لها جاء منها :

خذ ما تراه وخل عنك التفاكير
يا قلب ياللي كل ما جاه داره[1]

صار الجزا لي من رفيقى معـــايير
ليتة يشارهنى مشاري مشاره[2]

ان كان حنايا خوالك عطاطـير
فحمود تبطل شيمته واعتباره[3]

ابـــوك اخـــذ هندية بالدنانير
بيضا وتكرم داخليـه طهـاره[4]

تشهد لنـا عقال قومك بتفخير
وحنا هل العوجا وحنا فقاره[5]

يا هيه ، من صنعا الى ما ورا الدير
انشدك من كل البوادي جواره[6]

(١) التفاكير : التفكيرات . ياللي : ياالذي . داره : أداره .
(٢) رفيقي : صديقي . معايير : نبز بالألقاب . يشارهني : يعتب كل منا صاحبه.
(٣) حنا : نحن . عطاطير : جمع عطار وكانوا يكرهون الصناعات ونحوها عادة .
(٤) تقدم شرح مفردات هذا البيت قريبا .
(٥) عقال : عقلاء . بتفخير : بالفخر . حناهل العوجاء : نحن أهل العوجاء ، وهى ندبة أهل العارض وما جاوره . حنا فقاره : نحن سنام ذلك الصقع .
(٦) ياهيه : يا هذا . الدير لعله دير الزور في سوريا . جواره : بجواره .

أما العزي والعرينى فقد كان ما بين ابن صباح وابن رشيد ـ آنذاك ـ سبباً في رفع كل منهما عقيرته في جانب من يحب ، فكان العزي في جانب ابن رشيد ، وكان العرينى في جانب ابن صباح لحسن صلته بابن سعود ، وذلك يوم وقعة (الصريف) يقول العزي :

يا مزنة غرانشت من مغيبـــه
ترعد وتبرق ساقها رب الارباب[1]

همت ودمت وادلهمت غضيبـــة
واستثقلت باللي للارواح جذاب[2]

ترمي السخط ياويل من بي تصيبه
باركانها تسمع كما ضرب الاطواب[3]

تبغى الحريب اللي دنا من حريبـــه
ابن صباح اللى تعرض للاسباب[4]

---

(١) يامزنة : يالمزنة . من مغيبه : من جهة مغيب الشمس . وهى جهة نشوء المزن في تلك الجهة .

(٢) همت : علا هزيمها . دمت : جرفت ما مرت به : ادلهمت : اسودت . غضيبة : موحشة . باللى : بالذي يزهق الارواح .

(٣) السخط : تقذف بالهلاك . من بي تصيبه : من ستصيبه . كما ضرب الاطواب كضرب المدافع .

(٤) اللى تعرض للاسباب : الذى اجج نار الحرب بمساعيه .

إلى أن قال :

يا ذيب سفوة ناد ذيب الزريبة
واقنب لها ياذيب في كل مرقاب[1]

ولا تفرس الا كل بيضا تريبه
وافرس مشاكيل وزلبات واركاب[2]

نويروعك بالخضيرا نحيبـــــه
يبغى الجمــوع الى عليها السما ذاب[3]

وينقل إلى العرينى ان العزي قد قال هذه القصيدة ، في هذا الغرض ، ولم يعرف الناقل منها ، إلاأنها مبنية على (آبوإيبه) فيندفع :

يا قاطعين البيـــد ودوالى كتاب
رد على قول لفى منه ريبـــة[4]

قول عن العزي وانا انكرت ما جاب
مطيع نمام مشى بالحريبـــــة[5]

---

(١) سفوة والزريبة : مكانان . اقنب : صوت . مرقاب : مؤضع عال .
(٢) مشاكيل : رجال كرام . زلبات : خيل .
(٣) الخضيرا : كبد السماء . نحيبه : صوته المخيف . اللى عليها السما ذاب : كناية عن انها امطرت بالرصاص .
(٤) البيد : جمع بيداء . ودوا : اوصلوا . لفى : وصل . منه ريبة : يرتاب منه
(٥) ما جاب : ما أتى به . مطيع : لا اطيع . بالحريبة : بالقطيعة .

إلى أَن قال :

يا بادع القيل في دار الاجناب

شبهت بك موس قطع في قضيبه[١]

الشيخ ابو جابر حثا المال بابياب

غرس غذا وادي حنيفة رطيبه[٢]

والحرب يكفونه مجدعة الاسلاب

لى جدد وا جرح تعايس طبيبه[٣]

لى قيل ياهل الخيل ذا يوم الحزاب

يتلون ابو خالد مدرب مهيبه[٤]

ايلى اهوى على عمشى السعد كنه عقاب

طير الوحوش الى هوى من شعيبه[٥]

---

(١) يابادع القيل : يا قارض الشعر . شبهت بك : شبهتك : موس قطع في قضيبه : موسى يغمد في مقبضه بينما المنتظر ان لا ينال مقبضه منه سوء .

(٢) أبو جابر : مبارك الصباح . بأبياب : بأنابيب أو صفائح :

(٣) مجدعة الاسلاب : ملقون لباسهم في الحروب وهى عادة معروفة عند بعض العرب . تعايس طبيبه : عز دواؤه على الطبيب .

(٤) لى قيل : إذا قيل . ذا يوم الأحزاب : هذا يوم عظيم يشبه يوم الاحزاب : يتلون ابو خالد : يتبعون أبا خالد وهو الامير محمد بن عبد الرحمن أخو الملك عبد العزيز مدرب مهيبه : مروض الجبناء على الكر والفر .

(٥) ايلى اهوى : اذاكر . عمشى : فرسه . كنه عقاب : كأنه عقاب . طير الوحوش . الخ : بدل منه .

ولحمد الوائلي مع المشنق ـ وكلاهما من أهل حرمة في سدير ـ مناقضة مبعثها أَن رجلا يدعى سيف الغنيمى الشمري من سكان بلد حرمة ، كانت له مزرعة في ناحية البلد ، وكان حمد الوائلي ذا ولع بالرماية ، والقنص ، وكانت مزرعة الغنيمي في طريقه جيئة ، وذهاباً ، وكان أَحياناً يتزود منها بالماء ، وذات يوم جاء ومعه صيده ، وعرج على المزرعة ليشرب ، فلم يجد بها إلا بنيات الغنيمي ، فشرب واستظل في ظل كرمة كانت هنالك ، وتناول منها عنقوداً ، ثم ترك من صيده شيئاً لأَهل المزرعة ، لأَنه من عادة القناص أَن ينيل من صيده ، لا سيما من استشرف لذلك ، أَو أَسدي إليه معروفا ولو يسيراً ، ولما وجد أَبو البنيات الصيد عندهن قال : أَنى لكن هذا ؟ قلن تركه قانص مر بنا وشرب ونال من هذه الكرمة شيئاً .. فشك والدهن في القضية ، وظن أَنه أَراد بأَهله سوءاً فاجتث الكرمة من أَصلها ، وسحبها على حمار له ، حتى أَلقاها عند باب المسجد في يوم جمعة ، فتساءل الناس ما الخبر ؟ فقال إن هذا الوائلي قد ابتلاني في محارمي ، بحجة الاستظلال في ظل هذه الكرمة ، فعسى أَن يكون تصرفي هذا ما نعاله . فداك أَهالي حرمة يومهم ذلك ، ثم أَجمعوا على ضرب الوائلي ، رغم أَنه من سراتهم وشجعانهم ، ومن حصون البلاد الحصينة ضد أَعدائها ، ولكنهم

آثروا اكرام الجار ، على الابن البار . فضربوه ، ولكنه ربأ بنفسه عن دار اهانته بدون ذنب ، فنزح إلى حوران من أطراف الشام ، ومن هناك بعث بقصيدة يبدي فيها عتبه ، ويلوم صحبه ، منها :

الى حيث بان العيب لى من كبارنا
بيـــان لكل العـالمين شهير[١]

على بالهم ما عيش في غير دارهم
ولا من سدي خيط الكلام أنير[٢]

قد شفت مغموز البنانين عنـــدهم
كبير وكساب الجميل حقير[٣]

وسيف الغنيمى عندهم رأس مغنم
من عقب ما ينقل سقاه خضير[٤]

---

(١) الى حيث : حتى . بان العيب : ظهر الجفاء . كبارنا : روؤسائنا .

(٢) على بالهم : يظنون انني لا اعيش في غير دارهم .

(٣) قد شفت : قد رايت . مغموز البنانين : الرجل التافه .

(٤) سيف الغنيمي : صاحب الكرمة . راس مغنم : غنيمة كبيرة . من عقب : من بعد . سقاه خضير : من بعد ان كان راعيا ينقل لبنه الممزوج بالماء الكثير في سقائه على ظهره .

فكم نثرت يمناي من ساخن الدما
الى ثار من عين الضبوح ذخير(١)

قومي عن العليا بعـــاد وشبرهم
عن الجود عند الملزمات قصير(٢)

انا اظن من قد باعني غير رابح
الى طق في بعض المواقف زير(٣)

فلا بد في يوم الوغى تذكروني
الى شب في حرب الرفاقة كير(٤)

فأثار ما جاء في هذه القصيدة من غمز وتنديد ، حفائظ بعضهم فانتدب المشنق لمناقضته ، فقال من قصيدة طويلة :

وقد هاض ما كنيت طرس مورخ
لفاني كما كتف الغزال هجير(٥)

---

(١) الضبوح : بندقية اسمها هكذا . ذخير ؛ ما يحشى به مضرب الزناد من البارود .

(٢) الملزمات : الازمات . شبرهم : المراد جهدهم كما يقال : قصير الباع .

(٣) الى طق : اذا دق . زير : طبل وكانوا يضربونها في الحروب .

(٤) الى شب : اذا أوقد . الرفاقة : العصبة . والمراد إذا اشتعلت نار الحرب .

(٥) هاض : اثار . كنيت : اكننت.طرس : رسالة.لفاني : وصلني . كما :كأنه .

ولكن كافانا بالانكار والهجـــاء

وهو تايه ما له قـــدا ومشير[١]

فما ذكر قبله واحـــد سب قومـه

لو كان سعبوب يسوق حمير[٢]

وقولك في يوم الوغى تذكرونى

الى طق في بعض المواقف زير[٣]

عليت وهذي منك يا شيخ وهمة

وتصوير مالا كان ، كيف يصير[٤]

فما بان لك فيما عندنا الا سلامتك

زمان انت تغذى كاهل وصغير[٥]

فما يستحق المـــدح الا مجرب

حسامه الى حق الزحام طرير[٦]

---

(١) تايه : تائه . ماله قدا ومشير : ليس له معقول ولا ذو راى يهديه .

(٢) واحد : احد . لو كان : ولو انه . سعبوب : تافه .

(٣) وقولك .. الخ : يحكى قوله .

(٤) عليت : دعاء تهكم وسخرية . وهمه ، خطأ . كيف يصير : استفهام انكاري .

(٥) الا سلامتك : لم يسبق لك فعل يذكر .

(٦) الى حق الزحام : اذا قامت الحرب على قدم وساق . طرير : قاطع .

وان كان للاجناب حق وحشمة
ترى جارنا في الملزمات يجير[1]

ومن عافنا زعلان عفنا قباله
لو كان قدره قبل ذاك كبير[2]

وما بين قبيلتي قحطان وعتيبة ، من حروب ، وثارات ، هو ما حدا بشيخي القبيلتين ، تركي بن حميد شيخ عتيبة ، ومحمد بن هادي شيخ قحطان ، للمناقضة ، والتهاجي ، فيقول تركي بن حميد في ابن هادي من قصيدة :

الشايب الى ينقل الكبر والزوم
يقرا الكتاب ولا يهاب المضلة[3]

اهديت له خمس وسادسهن التوم
وقعود زبن عندهم ما حصل له[4]

---

(١) حشمة : كرامة . الملزمات : الازمات :

(٢) عافنا : تنكر لنا وصدعنا . قباله : مواجهته .

(٣) الشايب : الشيخ الطاعن في السن . الزوم : الغطرسة . ولا يهاب المضلة : ولا يخشى الموبقة :

(٤) خمس : من الخيل . التوم : لعله حصان ، قعود زبن : جمل زبن رغم ذلك لم يحصل له منهم .

انتم كما ضلع على الخد مزموم
والله خلقنـــا له نجوم تهله[1]

وانتم كما حوت من البحر لاهوم
والله خلقنـــا للواهيم عـــلة[2]

انا برمحى في هل الخيـــل مرسوم
يوم ان رمحك عند سارة تشله [3]

فيجيبه ابن هادي بقصيدة منها :

ما خلقت الدنيا ولا الدين في يوم
واللى تمنى حربنـــا مضحي له

حريبنا لو جض ما هوب مليوم
اللي وراه يجض من جضـــــة له

ان كان رمحك في هل الخيل مرسوم
فانا برمحى حامى نجـــد كله[4]

(١) مرسوم : مغلب : سارة : لعلها حليلته . تشله : تنقله .

(٢) كما ضلع : كجبل . الخد : الارض . مزموم : مرتفع . تهله : تدكه .

(٣) لاهوم : يلتهم ما حوله . ونحن علة ذلك الحوت .

(٤) إن كان رمحك . الخ : يحكي قوله . حامي : حام .

أَما شالح بن هدلان ، أَحد فرسان قبيلة قحطان ، فكان له أَخ اسمه (الفديع) قتلته عتيبة ، فطواها شالح في نفسه يترقب الفرصة المؤاتية ، وفي جولة من جولات قحطان مع عتيبة قتل قحطان عبيد بن حميد أَحد فرسان القبيلة ومشائخها ، فرفع ضيف الله بن حميد عقيرته ، بقصيدة مشجية مبكية ، قال منها :

يا ونتى ونة مريض الحـــرارة
والى وقف ما احتال والى قعدون(١)

عليك يا شباب ضـــو المنارة
عليه ترفات الصبايا ينـــو حن(٢)

تبكيــــه قطعان رعت بالزبارة
والى بغن يم خايـــع ما يردن(٣)

الخيل عقب عبيد جاها غتـــارة
حتيش لى راحن وحتيش لى جن(٤)

---

(١) يا ونتى : يالله من انتى . ما احتال : ما اطاق . والى قعدون : وين اذا قعد .

(٢) شباب ضو المنارة : موقد النار كثيرة الرماد . ترفات الصبايا : اللطيفات الكواعب . ينوحن : ينحن .

(٣) قطعان : جمع قطيع . الزبارة : موضع . الى بغن : اذا ارادن . خايع : نبت ملتف .

(٤) غتارة : أصابها كلال وانحلال . حتيش : ثم ماذا ذهابها وإيابها بعده .

كم شيخ قـــوم فيه نطفى بنـــاره
ميرالجروح الى وزن كيف يبرن[1]

فيجيبه شالح بنقيضة ، منها :

ضيف الله اشرب ما شربنا كداره
فجروحي الى خافيـــــات تداون[2]

من طرثوب الناس شقوا وزاره
ومن ضحك بالدقمان يضحك بلاسن[3]

عسى يمينه ما تجيهـــــا الجبارة
اللي رماه بقطر هن يوم هجن[4]

من صلب ابوي وضاري بالشطارة
رمحه دريع يوم الارماح يخطن[5]

---

(١) فيه : من أجله . نطفى بناره : سوف نقضي عليه . مير الجروح : لكن الجروح . وزن : تغلغلن والمراد الحزن .

(٢) ضيف الله : ياضيف الله . كداره : عكره . تداون : اندملت .

(٣) طر : شق . الدقمان : من لا أسنان لهم . والمراد الجزاء من جنس العمل .

(٤) عسي يمينه : لتسلم يمينه من الجبيرة . بقطرهن : بجانبها . يوم هجن : لما نكصت . مسرعة .

(٥) من صلب ابوي : من لحمتي وعشيرتي . ضاري بالشطارة : آلف للشجاعة : دريع : مصيب .

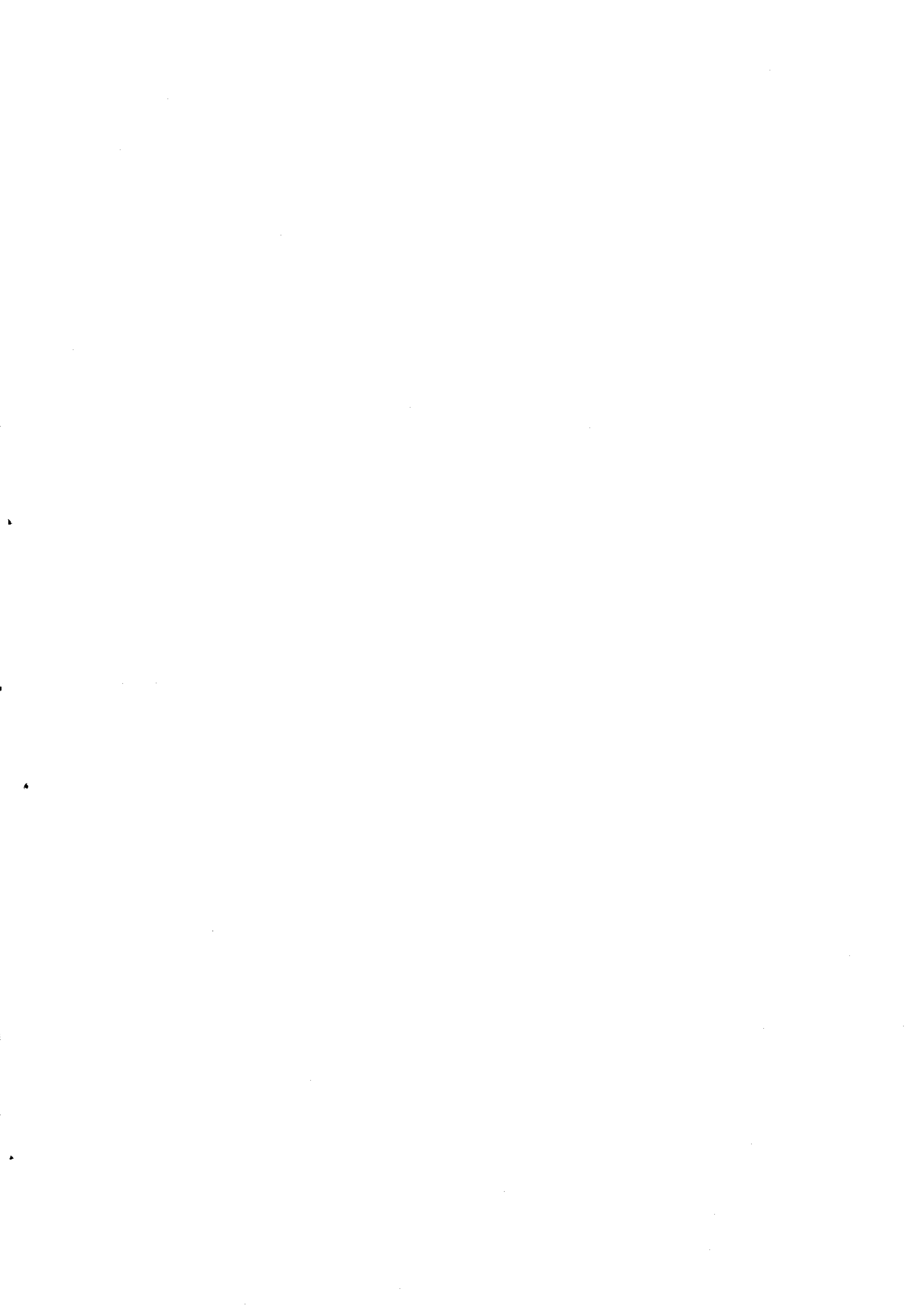
يا قاطع الحسنى تري العلم شارة
لابد دورات الليـــالى يدورن[1]

ما اخبلك يا راقد يجوف الخبارة
الا ان تنادي باسم ربك وتامن[2]

وهذا باب واسع وميدان رحب نكتفى منه بما أوردنا .

(١) ترى العلم شارة : ان العلم اشارة . والمراد لا تتفوه بكلام متهور بأن ستأخذ به رجالا كثيرين فنحن لك أيضاً بالمرصاد .

(٢) ما اخبلك : ما اشد جنونك بجوف الخبارة : وسط منطقة الخطر .



أدوار شعـــــر النبـــــط

ولا أراك تشك في أن هذا الشعر ، الذي ولج كل مولج ، وذهب كل مذهب ، وعني به الملوك ، والسادة ، والقادة ، كما عنى به سواد الناس ، ودهماؤهم ، وبالجملة حل محل الشعر الفصيح ، أيام ازدهاره ، وانتشاره .. ما أراك تشك في أن له أدواراً ، وأنغاما ، وأصواتاً ، مختلفة العرض ، ومتباينة التلحين ، والمقاطع ، والأهزاج .. تبعا لرغبة العربي ، ومشياً وراء دواعى الشعر ، ومقتضياته ..

فمجالس القوم ، وانديتهم ، حيث السمر ، والتحدث ، وعرض المدائح ، والمفاخر ، والقصص ، ومنادمة الملوك .. هذه الناحية يناسبها عرض خاص على صفة خاصة ، يتخذ فيها المنشد احدي طريقتين :

١ ـ أن يعرضه بتلحين خاص ، يمد به صوته ، بقدر ما يسمع الحاضرين ، ويحاول أن يعرضه بصوت مشج ، مؤثر ، ذي نغمات ، ومقاطع لها أكبر الأثر على القلوب ، والقوم مع هذا كأن على رؤوسهم الطير ، مصيخين لانشاد المنشد ..

٢ ـ عرضه على طريقة السرد ، والقراءة البطيئة ، مع شيء من أَسلوب التهويل والتعجب ، يدخلها المنشد في إنشاده ، ليظهر الشعر بمظهر القوة والسمو ..

وهذا اللون من الشعر هو ما يسمى (بالديواني) ولعله نسبة إلى الديوان للملك ، أَو لغيره ، وما يعرض فيه ، وهو قريب ـ ويسمى أَيضاً (بالمسحوب) ولعل للتسمية أَصلا ، في طبيعة انشاد هذا اللون من الشعر ، لأَن منشده في تمديده لحروفه ، وانينه عند بعض مقاطعه ، كأَنه يسحبه سحباً !!

والديواني ، أَو المسحوب ، قد استبد بأَكثر الشعر النبطى ، لأَن المطولات من المدائح ، والمراثي ، والوطنيات ، والقوميات ، والوجدانيات .. كلها أَو معظمها ، من هذا الدور ، وإِن كان منه ما يصلح أَن ينشد ، في أَدوار أَخرى ، كالحرب ، أَو كنشيد الأَعمال ، أَو الهجينى ، وهذا لسعة دائرته ، وخصوبته .. ومن هذا الدور جاءت الملقبات ، كخلوج العوني ، وعروس العرينى ، واستغاثة محسن ، وفلكية القاضى ، ودالية الخلاوي ، وكافية بركات .. الخ .

الحربي :

هو أَحد الأَدوار الشهيرة في الشعر الشعبى ، وهو نشيد رقصة الحرب ، أَو ما نسميه عندنا (بالعرضة) ولابد له من جوقة ، تتجاذبه ، على شكل صفين ، أَو فريقين ، وتردد أَهازيجها به ، وتتمايل على نغمات الطبول ، وتكاد لا تخرج معانيه عن الشجاعة ، والفروسية ، وبيع الأَعمار ، وحماية الذمار ، والذب عن الديار ، مما يلهب نفوس القوم ، ويهزهم إلى الشجاعة والفداء ، ولا تنس ما لإيقاعات الطبول هنالك ، من الأَثر السحري في نفوس القوم ، وهذا الدور ينقسم إلى مقاطع منها الطويل ، مثل قول العرينى :

راكب حر كما الربدي خبيبـــه
مثل سبق الطير خرجه لى عدابه(١)

نصه ابن سعود شباب الحريبة
راية أَهل الدين دون اللي لجابه(٢)

---

(١) راكب حر : ياراكبا نجيبا حرا . كما الربدي .. كأنه في عدوه ربد النعام . سبق الطير : سيور توضع في رجلى الصقر لربطه بها عند القبض عليه وارسالها معه عند ارساله . خرجه : مزود كبير يوضع فوق بث الراحلة ويزود بهدب وعثاكيل من الابريسم الملون ، فهو يصف ذلك عند عدو هذه الراحلة ، بسبق الطير ، وقت طيرانه .

(٢) نصه : أقصد به . الحريبة : الحرب . دون اللي لجابه : معهم .

شيخ جهال يبوجون الضريبــــة

من مناشيهم يشبون الحرابة(١)

أهل وادينا على العايل مصيبـــة

من مشى عقناه من عصر الصحابة(٢)

كم صبى في نحاهم طن ذيبــــه

في مداس الطير ينعونه حبابه(٣)

ومنها القصير مثل :

ساعتين يشيب اللي حضرهـــــــا

يمــة الجدي عن روضة مهنــا(٤)

كـــــن ربي على الدنيـــا حشرها

يوم ثار الدخن منهـــــم ومنــا(٥)

* * *

(١) جهال : شبان فيهم فورة الشباب وقوته . يبوجون الضريبة : يوسعون الضرب. من مناشيهم : من نشأتهم .

(٢) أهل وادينا : أهل وادي حنيفة . على العايل : على المعتدى . من مشى : من اعتدى . من عصر الصحابة : منذ ذلك العصر .

(٣) كم صبي : كم شاب فتى . في نحاهم : في معتركهم . طن ذيبه : صوت للداته . في مداس الطير . في محاله . حبابه : أحبابه .

(٤) يمة الجدى : شطره . روضة مهنا : قرب القصيم .

(٥) كن ربي : كأن ربي حشر الدنيا .

كله لعين من هلت عبرهـــــا
جادل خضبت بالكف حنـــا[1]

وهذا دور ثالث :

يا نديبى ترحـــــل وافتهم منــــا
راعى القيــل لاقواله نقاضيها[2]

حن هل الحرب لى منــــا تبينا
والحرايب نولعهـــــــا ونطفيها[3]

كل ما ثار حرب ولعتــــــه حنــــا
نوقد النار تاكل من يصاليها[4]

ورابع :

روح الرايح من ديرة العوجا يخيلونه
بارقه لايح وبله كما درج يصبونه[5]

(١) لعين : لاجل . عبرها : عبراتها . جادل : ذات جديلة .

(٢) ياندیبي : يا رسولي . ترحل : اركب راحلة . راعي القيل : صاحب الشعر .

(٣) حن : نحن . لي مناتبينا : اذا دعت الحاجة .

(٤) ولعته حنا : أصحاب الشرارة الأولى فيه نحن .

(٥) روح الرايح : نشأ السحاب عشية . ديرة العوجاء : هى الرياض وما جاورها. يخيلونه : يشيمونه . كما درج يصبونه : كأنه رصاص البنادق يصب في القوالب ويخرج بشكل ململوم .

صافي الجوهر عادة هل الضيرين يروونه
من تولينا ما عودوا ربعه يشيلونه[1]

ناحوا احبابه عند الركايب حيل من دونه
الله الخابر دوك ابن متعب ما ثنوا دونه[2]

وله مقاطع وأَصوات كثيرة :

الهجيني :

نسبة إلى الهجن ، وهى عندهم مطلق الابل المذللة ، وهذا الدور يرفعون به عقائرهم ، على ظهور الإبل ، ويتجاوبون أَدواره بينهم ، بصوت مرتفع مشج ، يبدأه الشاعر بشطر البيت ، وربما بكل البيت ، وأَحياناً بتكرار شطر البيت ، ليجاوبه الفريق الآخر ، على نحو ما بدأ ، مجتمعاً ان كانوا جماعة ، ومفرداً إن كان واحداً ، ثم يعود الشاعر مع فريقه ، ان كان له فريق ، وإلا منفرداً بتكرار ما بدأ به ، ليرد شطر

---

(١) صافي الجوهر : السيوف الصقيلة : عادة هل الضيرين : من عادة أهل الرياض إرواؤها . تولينا : ولينا . ما عودوا ربعه يشيلونه : مارجع قومه يحملونه .

(٢) ناحوا أحبابه : بكوا . حيل من دونه : استولى عليه . الله الخابر : الله شهيد على ما أقول . دوك : انظر . ثنوا دونه : ما حالوا بينه وبيننا .

البيت إن كان بدأ به ، أو البيت كله مرتين ، أو ثلاثاً ، ثم ينتقل إلى الشطر الثاني ، أو البيت بتلقينه لفريقه إن كان له فريق ، وهكذا حتى نهاية القصيدة ، والحربي مثله في كيفية التغنى به ..

غير أن هناك ظاهرة تستحق التسجيل ، تلك أن الإبل تهتز لهذا الغناء ، وتأخذها نشوة عجيبة ، تستغرب أن توجد في الحيوان ، ولولا اننى شاهدت هذا الشيء وعرفته أيام كانت لى على ظهورها ، أطوار ، وأدوار ، لما صدقت ذلك . فمثلا يأخذ السرى من الركب مأخذه ، وتتراقص أعناقهم على ظهور المطى نعاسا ، ومن ثم ينفرط عقد الركب ، ويتباعد ما بين حباته ثم يمد أحدهم صوته مغنيا ، فيجاوبه آخر ، وآخرون ، وسرعان ما تجد هذه الإبل ، المنبثة هنا وهناك ، تأزر إلى هذا الصوت ، وتسيل أعناقها نحوه ، شاء راكبوها أم أبوا ، حتى تلتئم ، وتأخذ تطس الأرض بمشافرها وتلعب بأعناقها ، حتى ليشعر الراكب ـ وقد تلامست جنوب هذه الإبل ، ودنا كل من صاحبه ـ ليشعر أنه فوق سفينة ، يحركها النسيم رخاء !!

وله أصوات مختلفة :

صوت (١)

يا راكب اللي بعيـــد الخـــد يطونه

بواطن من ضرايب جيش ابن ثاني[١]

ومن الثميلة لدار الشـــوق يمسنه

لى روحن بالوصايف جول غزلان[٢]

تكفون ياهل النضـــا سجوا عليهنه

سجوا ولجـــوا وسيور العمر فاني[٣]

لابد من خرقة بيضا على السنة

والموت من قبلنا ماعاف راكان[٤]

---

(١) ياراكب اللي : ياراكبا التى . بعيد الخد يطونه : بعيد المدى يطوينه بسرعة مشيهن وصلابتهن . بواطن : من بطين عمان . من ضرايب جيش ابن ثاني : انجبتها فحول ابل ابن ثاني وكان ينتقي الابل ويصطفي سلالاتها العريقة كالمهريات ونحوها .

(٢) من الثميلة : تسرح من مكان يقال له (الثميلة) . ديار الشوق : ديار المحبوب . يمسنه : يأتينه مساء : لي روحن : اذا مشت رواحا بالوصايف : فوصفهن وصف جول الظباء .

(٣) تكفون : هذا دعاء بأن يكفي المرء كل شر ولكنه يأتي في كلامهم بصيغة الندبة . ياهل النضا : يا اهل الابل . سجوا عليهنه : أمعنوا في السير . لجوا : ارفعوا أصواتكم بالحداء والغناء : سيور العمر فانى : لابد ان يفني .

(٤) خرقة بيضاء : المراد الكفن . على السنة : على الشريعة . ما عاف راكان : لم يعف عن راكان بن حثلين الزعيم والشاعر المشهور .

صـــوت (٢)

يا حمـــــود انا بكرتي غضة

والجيش جافيـــــه خفخاف[١]

جا للربـــع فوقهن جضة

جنك مع الحـــزم زلاف [٢]

ترى الذي جيـــــد حضه

ممساه منبـــــوز الارداف[٣]

راعى جديـــــل الى قضة

ساف تعـــلى على ساف [٤]

صوت (٣) للشاعر دبيان السبيعى

ارفع الصوت ما هاضنى طرب

والاجاويـــــد مثلى يعذرونه[٥]

---

(١) بكرتي : ناقتي . غضة : فتية لا تتحمل العنف : الجيش : الابل جافيه خفخافي : طفق يغذ السير ويشتد فيه .

(٢) للربع : للجماعة . جضة . أصوات . زلاف : منحدرات .

(٣) ترى : ان . ممساه منبوز الأرداف : يمسي لدى محبوبته نابية الردفين .

(٤) راعي : صاحب . جديل : فرع : قضه : نقض ظفائره . ساف تعلى . الخ أصبح سبحات على منكبيه .

(٥) هاضني : شجاني . الاجاويد : الأجواد ، الكرام .

لا تقـــولون مجنـــون يا عرب
راعي الحب يا ناس ذالـــونه(١)

يابس الكبـــد عطشان ما شرب
كود اهل داعج العين يسقونه(٢)

غصن مـــوز لحوض اللزا قرب
واحـــلالاه يا هزعة غصونه(٣)

صوت (٤) لدبيان ايضاً

والله اني على الهزعة غليل الضماير
لو ذلولي من المطراش وان جهدها(٤)

يا عشيري تري لولا العيـــون النظاير
كان جيتك على الوجنا الوحيدة وحدها(٥)

---

(١) راعى : صاحب . ذا لونه : هذا شأنه .

(٢) كوداهل داعج العين : الا أن يسقيه أهل محبوبته ذات العيون الدعج ، الواسعة .

(٣) حوض اللزا : مجمع الماء تخرجه الساقية . واحلالاه : ما أشد وجدي .

(٤) الهزعة : التعريجة . لو ذلولى من المطراش : لو كانت ناقتى من وعثاء السفر وانية .

(٥) ياعشيري ترى : ياحبيبي انه . النظاير : المراقبة . الوحيدة وحدها : لا يعلم بي ولا بها احد .

مشته مرتك لو كان بيـعى خساير

من حسب فايت الدنيا يبـذه عددها[(١)]

يا وجودي على هرجـة خفى السراير

وجد خطوى العجوز اللي توفى ولدها[(٢)]

كل ما حل له طاري تهل العبايـر

وكل ما قيل يا مرحوم تصفق بيدها[(٣)]

القلطة .. أو الرد :

وربما يدور بخلدك ، ان تسألنى عن بديهة ابن الصحراء ، وحفيد ذاك الذي تجبهه المشكلة ، ويبلى بالشاعر ، يتربص به الفرص ، ويلزه في مأزق ضنك ، بهجو ، أو لغز ، او امتحان ملكة .. فيلتفت إلى قريحته ، ليجدها معينا ، صافيا ، لا تكدره الدلاء ، فيخرج من مأزقه ، ظافراً منصوراً .. كما حدث لحسان إذ يأتي شاعر تميم مفاخرا ، أمام رسول الله عليه الصلاة والسلام ، مدلا بقصيدته ، التى أمعن في تنقيحها ، وتهذيبها ، ولم يكن من الرسول إلا أن أصدر أمره إلى حسان ،

---

(١) مرتك : المرور بك . يبذه : يؤذيه .

(٢) وجودي : ما أشد وجدي . هرجة : حديث . وجد : ان وجدي بها مثل وجد احدى العجائز مات وحيدها .

(٣) طاري : ذكر . العبايـر : العبرات .

بأن يجيبه وأمامه هذا الحشد الحاشد ، ويتحتم عليه طاعة الرسول ، والشعر شموس لا يدين لأيما حال ، ما لم تكن خاضعة لقوانينه الخاصة .. ولكن بداهة حسان انطلقت ، بشعر مهذب ، رصين :

ان الذوائب من فهر واخوتهم
قد بينوا سننا للناس تتبع

قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم
أو حاولوا النفع في اشياعهم نفعوا

سجية تلك فيهم غير محدثة
ان الخلائق فاعلم شرها البدع

لا يرقع الناس ما أوهت اكفهم
عند الدفاع ولا يوهون ما رقعوا

ان كان في الناس سباقون بعدهم
فكل سبق لادني سبقهم تبع

اعفة ذكرت في الوحى عفتهم
لا يطبعون ولا يزري بهم طمع

لا يفرحون إذا نالوا عدوهم
وان اصيبوا فلا خور ولا جزع

وأَظنها لا تعزب عنك قصة أَبي تمام . حينما أَنشد أَحمد بن المعتصم قصيدته التى مطلعها :

ما في وقوفك ساعة من باس
نقضى ذمـــام الاربع الادراس

وحينما وصل إلى قوله :

اقدام عمرو في سماحة حـــاتم
في حلم أَحنف في ذكاء اياس

ما كان من الكندي الفيلسوف إلا أَن استوقفه أَمام الممدوح ، وفي ناديه المزدحم ، قائلا له : ما زدت على أَن شبهت الأَمير بجلف من أَجلاف العرب ، وهو فوق من ذكرت ، ولم يثقل على سرعة خاطر أَبي تمام ، وقرب بديهته ، أَن يقول على الفور :

لا تنكروا ضربي له من دونـــــه
مثلا شروداً في النـــــدى والباس

فالله قـــد ضرب الاقل لنـــوره
مثلا من المشكاة والنبـــــراس

هكذا كان العربي قديما . ولم تكن هذه الملكة لتموت فيه ، بل هومحتفظ بها ، احتفاظه بعاداته الكريمه ، وخصائصه المثلى .

وهذا الدور ، من أدوار الشعر النبطي ـ القلطة ـ يكشف لنا عن هذه الملكة ، العجيبة في العربي .. ففى سمرهم في البادية ، أو في مجالس الأمراء ، يجيء شاعرهم ، لا يدري أي ناد قدم عليه ، ولا أي مجتمع سيقف فيه ، ولا أي شاعر سيبارزه ، فينحاز إلى صف ، والشاعر المبارز إلى صف آخر ، وكل من الصفين وقوف ، يريد شعراً يستهلكه ، والشعر لم يولد بعد ، فيبدأ أحد الشاعرين دوره ، على وزن مخصوص ، وقافية مخصوصة ، ومعنى مخصوص ، فيتلقفه منه صفه ليتلقفه منه الصف المقابل ، بصوت واحد ، ونغمة واحدة ، وربما صحبه صفق بالأيدي ، موقعا على نغمة الصوت ، وليس من حق الشاعر المقابل للباديء أن يتركهم يهزجون ، ببيت الأول ، فوق ثلاث مرات ، دون أن ينقلهم إلى بيت آخر ، موافق للأول ، في الوزن والقافية ، وفي حدود معنى الأول ، بالموافقة أو الرد ..

فأي خاطر هذا الذي في مدة انشاد البيت مرتين ، أو ثلاثاً ، يستحضر وزنه ، وقافيته ، وتهجينه ، أو تحسينه ، وقد كان أجنبياً من كل هذا ؟ !

ويتفرع من هذا الدور أدوار أيضاً .

فهاهما ذان ابن دويرج والغرمول الشاعران النبطيان يقف كل منهما في صف فيبدأ :

صوت (١)

ابن دويرج :

سلام يا الشاعر الى كل ما شفته صقرني
مثل الحبارى ايلى من شافت الصارم صقرها[١]

الغرمول :

تعيش يا الشاعر اللي عند حقى ما حقرني
أنا لك ارنب سلف وعيونها للى بحرها[٢]

ابن دويرج :

لا تحسبنى (جريف) كل من جاني طمرني
تراي غبة بحر ماكل من جاها عبرها[٣]

---

(١) سلام يالشاعر : سلامى عليك : شفته : رأيته . صقرني : أراعنى وداخلتني الهيبة منه . ايلى من : اذا ما . الصارم : الجارح الجرىء .

(٢) تعيش : دعاء له . أنا لك : انا من اجلك . ارنب سلف : الأرنب تقفز من مجثمها على صوت الركب وقد أحاط بها ، فتظل تعدو هنا وهناك ، حتى يقبض عليها . للي بحرها : للذي قنصها ، ولهم طريقة في (بحر) الارنب يطول شرحها .

(٣) (جريف) تصغير جرف وهو جانب ما يخده السيل ونحوه في الارض وفيه الطويل والقصير . طمرني . تجاوزني . تراى : انى .

الغرمول :

والله لخاطر بنفسي وان عجزت الله عذرني

كلش ولا قولة الغرمول عود عنخطرها (١)

ولم يطب لشاعر قبيلة أن يسمع شاعر قبيلة أخري ، يتغزل بحسان قبيلته ، ثم لا يقف منه موقف المنافح ، والساخر ، لذا كان نصيب الشاعر العتيبي ، حينما وقف في أَحد صفى قبيلة حرب ، متغزلا بفاتنة منها ، كان نصيبه أن سلقه الحربي ، بأَبيات ، مرة ، لاذعة ، فلقد قال العتيبي :

صوت (٢)

كل ما قلت ارجهن القلب (ردعة) جاته

جادل تمشط مقاديمه بورس وحنا(٢)

---

(١) لا خاطر : لا غامر . كلش : : كل شيء اقبله إلا ان يقال كذا وكذا . عود : نكص .

(٢) ارجهن القلب : هدأ وسكن . (ردعة) اسم معشوقته : جادل : ذات جدائل وهي الظفائر من الشعر . تمشط مقاديمه : تظفر مقدمة شعرها . بورس وحنا : الورس أخلاط من الافاوية والرياحين والاصباغ يضمخ به الجسم ، والحنا معروف ولكن لا يعزب عن ذهن القارىء أن هنا حذفا ، والتقدير : وتخصب يديها بالحنا .

بنت شيخ مايحيد الطير عن منداته

له مقاديم الظعن قحص المهارتعنا[1]

فأجابه الحربي :

ما تريد اللي كما خشم جبلة جمهاته

والحمص واللي ثمه منا ايلى اذنه منا[2]

دونها الى ما يسد الهرس وسع هواته

من سلايل عوف حامي بالطراد الدنا

ويحصل مثل هذه القصة ، بين جذمى قبيلة عتيبة برقا ، والروقة ، وكان السمر للروقة ، ولم يشعروا أن فيهم أحداً من برقا ، حتى رفع الشاعر البرقاوي عقيرته مشببا :

صوت (٣)

يا غزيـــــل مـــــدري عرنـــــوق

مـــدري ! ! أو حمامة ورقا[3]

---

(١) المنداة : مضيفة ومكان نحر جزره . قحص المهار : الفتى من الخيل الكريم الاصل . تعن : تقاد .

(٢) اللى كما خشم جبلة جمهاته : لا تريد من هامته كبيرة كأنها أنف (جبلة) — جبل مشهور في وسط نجد . الحمص : فاقد شعر العينين . واللي ثمه . الخ : يصف فمه بالسعة وأنه يمتد ما بين أذنيه .

(٣) غزيل : تصغير غزال . مدرى غرنوق : او غرنوق وهو طائر أبيض معروف مدري : لا أدري .

كل الحى هـــذا مـــن روق

وانا وحـــدي مـــن برقا[١]

فيجيبه الشاعر الروقي لتوه قائلا :

خيـــل تطمر المشقـــوق

واهلهـــا طـــوال الزرقا[٢]

والله مـــا تذوقـــه ذوق

فرقا ياقثـــا مي فرقـــا[٣]

صوت (٤)

وأَحيانا يستقل الشاعر - في هذا الدور - بمعنى يقول فيه البيتين ، والثلاثة ، والأَكثر ، فيأَتي الشاعر الثاني ، فيناقضه ، كما وقع لأَحد الأَمراء الكبار المتأَخرين ، مع أَمير آخر ، قال هذا الأَمير الكبير .

الا يامل قلب كل ماجا الليل جاه خلاج

يلوج ويلتجى في الصدروالعربان ممسين[٤]

---

(١) روق : قبيلة الروقة . برقا : قبيلة برقا ، ومنهما تتألف عتيبة .

(٢) المشقوق : الاخدود : الزرقا : قذف الرماح للطعن .

(٣) فرقا : اسم فعل أمروكرر للتأكيد. قثامي : نسبةإلى القثمة وهم حي من قبيلةبرقا.

(٤) يامل قلب : يامن لقلب هذه صفته ينقذه . خلاج : اضطراب وتوتر ؛ يلوج ويلتجي : يضطرب ويسكن .

انا متحير مدري عن المدخال والمنهاج

الا ياعمس رايي مالقيت الى يقدينى(١)

الا يامجيب دعوة من تصافق فوقه الامواج

انا بحماك يا وال الخلايق لا تخلينى(٢)

فيجيبه الأَمير الآخر :

أَلا يا صاحبي دنياك ما تحتاج ما تحتاج

ترى الى سالم منها تعادل فيه رمحين(٣)

تعبر بالهجين الى يضدنه ظلاف العاج

تودي حملها الجاير ويصبح خاطره زين(٤)

---

(١) أنا متحير مدري : أنا حائر لا أدري . ياعمس رايي : يالتفكيري المضطرب يقديني : يرشدني ويبصرني .

(٢) من تصافق فوقه الامواج : المراد ذو النون – يونس – في الآية : (فنادى في الظلمات ألا اله إلا انت .. الخ) لا تخليني : لا تكلني الى نفسي ولا الى احد من خلقك .

(٣) ما تحتاج : ليست بذات بال حتّى تتألم منها هذا الالم . ترى اللي : ان الذي . تعادل فيه رمحين : ضرب برمحين فكيف بغير السالم .

(٤) تعبر بالهجين : اقض حاجتك بالناقة المرنة الدارب . اللي : التى . يضدنه ظلاف العاج : تؤلمها عضادات القتب . الجاير : الثقيل .

تري بعض العرب عمله بروحه مثل وصف سراج
ينور للعرب والنار في جوف المسيكين[1]

صوت (٥)

ولم يكن لابن عمير ، وهو الشاعر النبطى المجيد ، ان يتخاذل أمام أي شاعر ، يريد مبارزته ، وكان قد ندب له أحد الشعراء في الكويت نفسه ، ولأمر ما ، تخلف ابن عمير عن الموعد ، حيث الحشد الكبير ، لينظروا لمن الغلبة ، ومن ثم اتهم بالاحجام ، ثم يجىء في الليلة الثانية ، لطلب المبارزة ونفى الاحجام ، فيقول :

الليلة الليلة الليلة علينـــــا القصص
والبارحة فايته ونقوص مابه نقوص[2]

الى يقول العميري عن مكانه ملص
يقيف قدام عينى حيث يلقى الملوص[3]

---

(١) ترى : ان . بروحه : بنفسه . وهذا المعنى قد طرقه شاعر عربي ، هو مروان بن ابي حفصة بقوله :

أحرم منكم بما أقول وقــد نال به العاشقون من عشقوا
صرت كأني ذبالة نصبت تضيء للناس وهى تحترق

(٢) تكرار هذا اللفظ للتنبيه والاهتمام . علينا القصص : نحن المعنيون . ما به نقوص : ليس ثمة نقص .

(٣) ملص : خذل واختفى. يقيف : يقف . قدام عيني : أمامي . الملوص : الجبان .

ان سلم راسى لصيدك يافحيل القبص

لى صادتك حقة الحبال فرفش وصوص[1]

كبريتنا ما يشب الاقفص عن قفص

كل بذنبه تراه مفند ومخصوص[2]

صوت (٦)

ومن أكبر من اشتهر ، من شعراء هذا الدور ، (الازوري) ، (ولو يحان) ، ولم يتحاش الاول ، أن يسف في بعض شعره ، اسفافا ، ننأى بأنفسنا وبالقراء عن إيراده ، لكنا نورد ما أجابه به لويحان ، لما فيه من جزالة ، وقوة ، ومنطق ، رغم أنه على البديهة ، قال :

انت ياحمد يا محمد يا حمد يا حمود

اتبع السهلات والوعرات لاترقاها[3]

---

(١) ان سلم راسي : ان بقيت . فحيل القبص : تصغير فحل . للتحقير ، والقبص نوع من الجخدب الكبير . لى صادتك اذا صادتك حقه الحبال : فخ الصياد . وصوص : من الوصوصة وهي صوت لضعاف الطيور وفيه القلب .

(٢) كبريتنا : عود الثقاب . الاقفص عن قفص : الا في ما طاب من مولعات الكبريت : والمراد اننا لا نتلقف كل من هب ودب لننتطح معه . تراه مفند : انه بذنبه معين .

(٣) يا محمد .. الخ . لعله شك من الشاعر او من باب تجاهل العارف للاحتقار . السهلات : الطرق السهلة .

لا تهوش بحربة دجما بليا عـــود
مثل من عالج عيونه بالدوى واعماها[1]

انت ما تلقى وانا القى لي بغيت شهود
والمكاوي لو يطول الصوف ماغطاها[2]

صوت (٧)

ويقل من عاشقي هذا الدور ، من يورد هذه القطعة للويحان لطول بيتها ، والتوائه ، على النحو الذي ينبغي أن تورد به ، فلا بد أن لها نغما ، خاصاً ، مطرباً ، يقول :

العدم بالقدم والجامع الله بينا منك الجفوّة خطية
عقب فرقا وغربة تسعة اشهر صابر واليوم ضاق الفضابي[3]

ما اقدر انساك يا عجاب يانهاب للقلب لو مالك دعية
كوديرحل جبل ذهلان ولاينبت الشيب بريش الغراب[4]

---

(١) لا تهوش : لا تقاتل . دجما بليا عود : مدقوقة الرأس لا عود فيها .

(٢) المكاوي : جمع كي على غير قياس . لو يطول الصوف : مهما يطل الصوف أو الشعر على اثر الكى فهو باق .

(٣) العدم بالقدم : إذا لم تحصل الزيارة بيننا فذلك شبه العدم لوجودنا . الجفوة : الجفاء . خطية : ذنب . عقب : بعد . فرقا : فراق .

(٤) عجاب : صاحب الدلال والظرف . نهاب للقلب : السالب له بجماله . لو مالك دعية : وان كان نهبك له بغير داع . كود يرحل : الا ان يرحل . ذهلان : جبل في وسط نجد وهو الذي تغنت به الشعراء قديما .

كل فن نشيله عدل اعوج طويل مروبعات طرية
حربي سامري مجرور مرفوع على الهجن للركاب[1]

وله أَصوات ومقاطع كثيرة جداً نكتفى منها بهذا .

السامري :

نسبة إلى السمر ، لأَنه لا يكون - غالبا - إلا ليلا . وربما لا يدور معناه إلا حول الغزل ، والتشبيب ، والوجد ، والنسيب وله أَلحان ، وأَدوار عدة وفي حالة غنائه ، يتقابل فريقان ، جثوا على الركب ، وينطلق الصوت الأَول ، من أَحد أَفراد الفريقين ، بشطر البيت ، أَو بالبيت ، أَو بالشطر مرتين ، أَو بالبيت كذلك ، أَو بالشطر وإعادة جزء منه ، ليتلقفه الفريق الثانى على نحو ما بدأ هذا الفرد ثم يتلقفة الفريق البـــاديء وهكذا مرتين ، أَو ثلاثاً ، لينقلهم هذا البادىء ، إلى آخر ، بتلقينه لفريقه ، في حالة أَداء أَولئك للبيت ، الذي معهم .. والطبول هنا لها المكان الأَول ، فلا بد من إيقاعاتها ، على نغمات كل دور ، ولابد أَن يكون في يد كل فريق جزء منها ، وقد تأَخذهم نشوة الطرب ، وثمل الإيقاع ، فينحنون إلى الأَرض ، في ميلان واهتزاز .

---

(١) نشيله : نتغنى به . وكل مبتدأ . ونشيله خبره . وعدل اعوج .. الخ أحوال صاحبها (فن) والعامل فيها (نشيله) .

وممن اشتهر بتغذية هذا الدور ، والتفنن في ضروبه ، وابتكار ألحانه ، الشاعر الوجداني . محمد بن لعبون ، فهو يعتبر الزعيم فيه ، وكل من جاء بعده عالة عليه ، من حيث ابتكار الأدوار المرقصة ، وجودة الغزل ، ورقته ، وسلاسته . ويأتي بعد ابن لعبون ، ابن فرج ، وهو وإن لم يبلغ درجة ابن لعبون ، إلا أنه امتاز بابتكار الألحان ، الخفيفة ، التى وجدها أصحاب المزاهر ، مرنة عند لمسات الاوتار ، فذهبوا يوقعون عليها ، أنغاما شغفت بها العامة ، وشاعت ، وذاعت ، في الخليج العربي ، وغيره ، ووجدت فيها الاذاعات ، مجالا لجلب أكبر عدد من المستمعين ، وتعرف عندهم بـ (أغاني جنوب الجزيرة والخليج العربي) ومن أدوار السامري :

صوت (١) لابن لعبون

سقى صـــــوب الحيا مزن تهامى
على قبر بتلعـــــات الحجاز (١)

---

(١) تهامي : يهمى . على قبر : متعلق بتهامى . يعط : يتضوع . البختری والخزامی . نبتان طيبا الرائحة : طفـلات الجوازی : بنـات الظباء تجزیء عن المـاء تترکه .

يعط به البختري والخـــــزامى
وترفع فيه طفلات الجوازي[1]

أَبو زرق على خـــده عـلاما
تـحلاها كما نقش بغـــازي[2]

عليــــه قلوب عشاقه تــرامى
تكسر مثـــل تكسير القزاز[3]

الا يا ويل من جفنه على مـــا
مضى له عن لذيذ النــوم جازي

ومن قلبـــه إلى هب النعـــامى
يجرونه على مثل الخـــزاز[4]

صوت (٢) لابن لعبون أيضاً

يا الورق عطنى هــواك وشاح
واعطيك طـــوقي ومسباحى[5]

---

(١) أبو زرق : صاحب وشم نجده أزرق صائراً علامة له . تحلاها : تمعن النظر بها . نقش بغاي : كأنها نقش في عملة .

(٢) ترامى : تترامى . القزاز : الزجاج .

(٣) جازى : عازف .

(٤) النعامى : ريح الجنوب . الخزاز : الشوك يجعل حظيرة على الزرع أو الغنم .

(٥) الورق : جمع ورقاء وهى الحمامة الصداحة . عطنى : اعطني .

لى عاد وصل الغريم سفـــــاح

ودمـــــوع الاعيـــان سفاح [1]

خـــذ ما صفا لك ترى الارواح

يسرى عليهـــــــا وينـراح [2]

عمهوجـــة جيـــــدها وضـــــاح

والخـــــد مثـــل القمر صاح [3]

ضيف عنالك يريـــــــد مـــــراح

يا عنــق ريميــة الضـــــاحى [4]

قالت : ما الاوي على مــــــا راح

يا مـــال سلال الارواح [5]

صوت (٣) له أيضاً

زل دهــــرك يا محمد بالغـــــزل

والغزال الى تهـــــزا بالغزال [6]

---

(١) لى عاد : إذا كان . الغريم : المراد به هنا العاشق الولهان . الاعيان : العيون .

(٢) ترى : ان . وينراح : يراح والمراد تخطف المنون لها .

(٣) عمهوجة : جميلة متمائلة في مشيتها . صاح : ليس دونه سحاب .

(٤) عنالك : قصدك . مراح : مبيت . ياعنق : فيه تعبير بالبعض عن الكل أو حذف ايجاز ، والمراد ياذات عنق يشابه عنق ظبية الرمل .

(٥) ما الاوي : ما أتمسك . ما راح : ما ذهب . ياما ل : يالعلك .

(٦) اللي تهزا : التى تسخر .

والخدود الى كمـــا وصف السجل

ناكساتك بالسقم نكس الهلال (١)

والجبين الى بروقـــــــه تشتعل

مع زلوف كنهن داجى الليـــال (٢)

رنت الخلخـــال تحدث بك وجــل

مع كمالك ما استحيت من الرجـــال (٣)

عاطلات الريم وادمي الرمـــــــل

مع نبات ظلهن عندي ظلال (٤)

صوت (٤) لابن سبيل

قلت آه واجرحاه من علتى آه

وان حملوني حمل غى قويته (٥)

قالوا سفيه الحال ويش اللي أَغـــواه

قلت آه ويش المنكر الى وطيته (٦)

---

(١) الى كما : التي كأنها . وصف السجل : كأنها السجل : ناكساتك : مقوسات بك مثل تقويس الهلال .

(٢) زلوف : غدائر .

(٣) رنة الخلخال : كناية عن مشى محبوبته .

(٤) ادمى الرمل : ظباء الرمل .

(٥) قويته : حملته .

(٦) سفيه الحال : سفيه العقل . ويش اللى : ما هو الذي . الى وطيته : جئته .

قالوا ندور لك من البيض حلياه
قلت آه لو غيره بكفى رميته[1]

قالوا تزوج كود تدله وتنساه
قلت آه لو خذت اربع ما نسيته[2]

قالوا كثر شيبك وقلبك بعمياه
قلت آه لو قلبى غرير نهيته[3]

يا ناس خلوا كل وادي ومجراه
قلتوا كثير وقوالكم مالقيتـــــه[4]

صوت (٥) للقاضى

والله والله والرب الذي نــــــزل
صحايف الكتب والفرقان للتالى[5]

ان لك بقلبى محــل حــل ما ينحل
لو حل بالخد رجاف وزلزال[6]

---

(١) ندور لك : نبحث لك . حلياه : مثله .
(٢) كود : عسى : لو خذت اربع : لو تزوجت اربعا .
(٣) بعمياه : بغيه وسفاهه . غرير . جاهل .
(٤) كل وادي ومجراه : كل انسان وطبيعته .
(٥) للتالي : لخاتم النبيين محمد عليه الصلاة والسلام .
(٦) محل : موقع كبير من المحبة .

حملتني يالغظي حملين من جندل
لو شلت واحد فلا الآخر بمنشال (١)

الحداء :

هذا الدور خاص بصهوات الجياد تلتئم وتمشى الخيزلى ويجعل راكبوها يتجاذبون أصواتهم به .. وهو لا يكون إلا في الفخر والحماسة وحيث الكر والفر وعرضه على هذه الصفة يشكل منظراً بديعاً مطرباً كان له في ربوع الجزيرة شأن وأي شأن .. ولكن ذلك المظهر اختفى في ما اختفى من تلك المظاهر المجيدة .. ولا أدري هل سيبعث من مرقده أم هو الوداع الأخير!

ومن أمثلة هذا الدور قول راكان بن حثلين :

يا ربنــــا ما من صـــديق
جمعين والثـــالث بحـــر (٢)

والله لبـــوج لهــا الطريق
لعيـــون براق النحـــر (٣)

---

(١) يالغضى : ياجميل . شلت : حملت . بمنشال : بمحمول .

(٢) جمعين : جمع خلف جمع تألبوا لقتالنا وثالثهم البحر يحول بيننا وبين الفرار

(٣) أبوج : أشق والمراد فرسه . لعيون : من أجل . براق النحر : ذي اللبة البيضاء .

وقول ناصر بن عمر أحد شيوخ قحطان :

في شف أبو تركى نقود الخيـل
في كنة الجوزا مــــع المظماة[١]

نسهج قوايلهـــا ونسري الليـــل
والى تهيـــد ما نبى نتنـــاه[٢]

والضد عدلنـــاه عقب الميـــل
والبيـــه حدرناه من مبناه[٣]

أغاني العمل :

وأغنية العمل [٤] ذات عراقة ، وجذور بعيدة المدي ، لافي جزيرة العرب فحسب بل في جميع أمم العالم ، حتى قيل : إنها نشأت مع الإنسان الأول ، وتولدت من أصوات آلاته الأولى ، وقعت عليها ، ومن ثم تجدها إلى يومنا هذا تواكب حركة العمل في امتدادها إذا كانت الحركة مستأنية ، وتلاحقها إذا كانت الحركة سريعة ، وتركيزها في ما بين ذلك .

---

(١) في شف : في رغبة . أبو تركي : عبد العزيز آل سعود . كنة الجوزاء . قبيل طلوعها وهو نهاية شدة الحر : المظماة : المفازة .

(٢) نسهج قوايلها : نطأ الرمضاء . اللى تهيد : الذي تأتى . مانبي نتناه . لا نريد انتظاره .

(٣) الضد : العدو . عقب الميل : بعده . البيه : لقب تركي . حدرناه : انزلناه .

(٤) أغنية : كأمنيّة بتشديد الياء لا ما اعتاد كثير من الناس ان ينطقه بالتخفيف .

ولا شك أَن لها أَثراً كبيراً في تخفيف وطأَة العمل ، وتلهية العامل عما ينتابه من تعب ووصب ، ولربما كانت عوناً على السير بالعمل مراحل كبيرة تمر والعمال في نشوة الأَغنية اللذيذة المحببة إليهم .

وقل أَن يوجد عمل إلا وله أَغاني خاصة كلها تندرج تحت مسمى واحد ، وإن كان لها أَدوار كثيرة .. فالعزيق له أَغاني ، والحصاد ، والدياس ، وكم النخل ، والنضح ، وسقاية الإبل ، والبناء .. الخ كل هذه لها أَغاني خاصة معروفة ..

فأَغاني العزيق تبدأ عندما يأَخذ العمال صفهم المنتظم وبأَيديهم المساحى ترتفع من الأَرض وتردها بصورة منتظمة وحركة واحدة ليتم لهم انسجام الصوت ورتابة الإيقاع بدون أَن يخالف هذه الحركة واحد منهم مهما كثروا وبدون أَن يتوقف ، حتى بلوغ المدى الذي يقف عنده اتجاههم ، وهم على انحناءة واحدة في مثل انحناءة الراكعين . ولربما غيروا الاتجاه ، وأَخذوا مسلكا آخر محاذياً لما انتهوا منه بدون أَن يرفعوا رؤوسهم أَو ترتبك حركتهم .. ومن أَدوار العزيق قول حميدان :

احترس من سهوم القدر بالحذر

وانت مالك عن اللي لك مقادر [١]

يوم قامت وشاف الذي تلهـــــا

ومن وراها زما الردف ومزبر [٢]

يا صبى استمع من عـــويد قضى

الدهر مـــــد به لين ما قصر [٣]

أصل البيت هكذا :

احترس من سهوم القـــدر بالحذر

وانت مالك عن اللي لك مقـــدر

ولكن تدارك حركة العمل لا تمكنهم من أداء شطر البيت بتمامه فيقتسمونه بينهم يأخذ الفريق الأول نصف الشطر ، والثاني نصفه الآخر ، حتى إذا أرادوا الانتقال إلى الشطر الثاني من البيت أو إلى بيت آخر يبدأ الفريق الأول بنصف الشطر الجديد وحينئذ لم يكن نصفه الثاني يخاف على الفريق الثاني

---

(١) سهوم : سهام . مالك : ليس لك .

(٢) وشاف الذي تلها : ورأى الذي اثقلها والمراد روادفها . زمى : ارتفع : مزبر : مرتفع .

(٣) ياصبي : ياشاب . عويد : تصغير عود وهو الشيخ الطاعن في السن . قضى : خارت قواه . لين ما قصر : حتى عجز .

لكثرة ما مر على أسماعهم أو انه أشبه ما يكون بالارصاد في فن البديع تسمع صدر البيت فلا يعز عليك ان تتمه بقرينة ما فهمته من صدره كقول بعضهم :

اذا لم تستطع شيئاً فدعـــــه

وجاوزه الى مـــا تستطيـــع

فان صدر البيت أرهص لمعرفة آخره .

وهناك أدوار أخري للعزيق تختلف باختلاف المناطق واصطلاحاتهم في ذلك .

أما الحصاد فينتظمون له في صف كعملهم في العزيق إلا أنهم هنا قعود يحبون على اقدامهم ، وبأيديهم المناجل ، وحركتهم هنا أهدأ من حركة العزيق ، ولذا تجدهم يؤدون شطر البيت الطويل في مد وانسجام ، ويجاوبهم الفريق الثاني بالمثل وهكذا .

مثال أغاني الحصاد في بعض أدوارها :

دور (١)

حمامة لا جزاك الله بالاحسان

منتيب منى بنو الخير مذكورة (١)

---

(١) حمامة : ياحمامة . منتيب : لست . بنو الخير : بسبيل الخير .

ذكرتنى يا الحمام الورق خـــــلاني

واودعت لى دمعة بالخد منثورة [١]

والله يمين القطع عهـــد بعد ثاني

يا سكر الشام بين اشفاك يا نورة [٢]

دور (٢)

ناح الحمـــــام بعاليـــات المقاصير

واهل الهوي طربين ما يسمعونه [٣]

ذكرتنى يا لورق لاذكرك خيـــــر

غرو كما لدن المطارق قرونه [٤]

باكر ضحى العيـــــد لى دقوا الزير

ما عندهم من غـــالي يلبسونه [٥]

---

(١) الورق : جمع ورقاء . أودعت : تركت . بالخد : بالارض .

(٢) يمين القطع : اليمين البات . عهد : اليمين . يا : ان . شفاك : شفتيك .

(٣) المقاصير : البروج الطويلة .

(٤) لاذكرك خير : لا ذكرك الله خيرا . غرو : فتاة . لدن المطارق : مائسات الاغصان . قرونه : ظفائره .

(٥) باكر : غدا . ضحي : بالياء المشددة تصغير ضحى . الزير : الدف .

يظهر عشيري كالخلاصة من الكير

عيذه برب النــــاس لا ينحتونه [1]

وكما يكون للعزيق وللحصاد أغاني فكذلك للدياس . من هذه الأَعمال البدائية التى تعتمد على يد العامل ، وليس للآلة إذ ذاك فيها نصيب . مما يجعلهم يلجأون إلى هذه الأَغاني الجماعية ليكون لها أَثرها في انجاز العمل واتقانه ..

وأَغاني الدياس اشبه ما تكون بأَغاني الحرب (العرضة) إلا أَنها في الغالب أَخف من تلك .

ولهم في الدياس طريقة عجيبة تلفت النظر . تلك أَنهم يلتفون على أَكداس حصيد الحنطة المبسوط في مكان مخصوص على شكل دائرة ربما يبلغ قطرها مائة وخمسين متراً ، ويبلغ ارتفاع القصب حوالى المتر – في المتوسط – ويتوسط هذه الدائرة ، – وهى البيدر ، أَو الجرن في العرف الفقهى – يتوسطها ركيزة من الخشب تثبت في الأَرض ، وترتفع حوالى المترين ، وهى بمثابة نقطة الدائرة ، ويؤتي بالدواب – البقر والحمير – فتوضع جميعها في قرن يبدأ من هذه الركيزة وينتهى عند حرف

(١) عشيري : حبيبي . الخلاصة : الحديدة يحمى عليها حتّى تكون حمراء بصفار من شدة حموها . عيذه : أعيذه . ينحتونه : يزلقونه بابصارهم – يعينونه .

الدائرة ، ويربط هذا القرن في الركيزة . ربطاً يمكنه من الدوران مع اتجاه الدواب ، ثم تساق هذه الدواب على اتجاه واحد ويمشى الرجال خلفها على شكل زاوية قائمة قاعدتها محاذية لأَول الدواب ، ورأَسها عند آخر الدواب . وبيد كل واحد من هؤلاء الرجال هراوة في طول المتر والنصف تقريبا وقطر ٤ سم تقريباً من الخشب القوي ، وعندما تبدأ الأَغنية يتلقفها من فم المنشد نصف الفرقة ليأَخذها النصف الآخر منهم شطراً شطراً ، أَما العصي فتأَخذ شكلا منتظماً ترتفع فوق الرؤوس دفعة واحدة وتهوي على القصب مثلها وسرعان ما يذهب هذا القصب رميما تحت ضرب هذه الهراوات وأَرجل الدواب والرجال . ومن أَغاني الدياس :

الصوت (١)

يا الله اليـــــوم يا غفار الزلة
يا عليم بخصـــــات القبايل [١]
أَرحـــــــم الى بصـــــدره ضيقة له
ان رقى الرجم وان ركب الرحايل [٢]

---

(١) يالله اليوم : أدعوك ياالله في هذا اليوم . خصات القبايل : حاجاتها .
(٢) ضيقة له : ضيقة تنتابه . رقى الرجم : الرجم بنية من الحجارة تجعل على رأس جبل . الرحايل : الابل .

صابرين وحنـــا في ممــلة
مثل صبر الجمل والشد مايل[1]

في الخلا فاح قلبى فـــــوح دلة
تزعج البن من حــــر الملايل[2]

صوت (٢)

راقي رجـــم العنـــا طلعة الشمس
ليتنى ما اشرفت عالى مراقيبه[3]

يا سقى الله اليوم وامس وقبل امس
يوم شفت اللي من الناس ودي به[4]

طق حفل الى حديثـــه لنـــار مس
ليتهم بالدفع ردوا منـــا ديبه[5]

(١) وحنا : ونحن . في مملة : في مضايقة . والشد مايل : والحمل مائل .

(٢) الخلا : الفلاة . فوح : مثل فوح اناء القهوة بها . تزعج البن : تريقه . حر الملايل : حر النار .

(٣) رجم العنا . رجم التعب والهم . طلعة الشمس : وقت طلوعها . أشرفت : اعتليت مراقيبه : أعلامه .

(٤) ياسقى الله : فليسق الله . شفت : رأيته . ودى به : أتمناه .

(٥) طق حفل : ضرب الدف في عرسه . رمس : همس . الدفع : المهر . مناديبه : جمع مندوب الرسول .



الشعر الشعبى فى الأقطار العربية

لا يوجد اختلاف بين الشعر الشعبى في الجزيرة العربية ، وبينه في الأَقطار العربية الأَخرى ، من حيث الأَغراض ، والاتجاهات . ذلك أَن كلا من الشعرين لا يعدو أَن يكون امتدادا لشعرنا العربي الفصيح ، واتجاه هذا الشعر معروف ، ذلك أَن العرب درجوا على منهج خاص في شعرهم ، قسمه – أَول من قسمه – أَبو تمام في كتابه (الحماسة) الى أَقسام منها : الغزل ، والمدح ، والهجاء ، والرثاء والحماسة .. الخ.

اما الافرنج فمذاهب الشعر عندهم تنقسم الى اقسام ثلاثة هى الغنائى ، وشعر الملاحم ، وشعر التمثيل .

وإذا أَردنا معرفة الاتجاه الذي يسلكه الشعر النبطى عامة ، وجدناه لا يخرج عن محيط الشعر الغنائى – كما يسميه الافرنج – أَو الفنون المتقدمة – كما يسميها العرب . اللهم الا ما كان من بعض قصائد جاءت على صفة الملاحم ، كقصيدة العوني ،

في واقعة البكيرية ، وعلى صفة التمثيل كعروس شعر العريني ، وعروس الحبيشي .

أَما النواحي التي يختلف فيها الشعر الشعبي في الجزيرة ، عنه في الاقطار الأَخرى ، فمن حيث الصياغة ، واللهجة ، والاوزان .

وقد كان في الامكان ان نوقفك – عن طريق هذا المصدر – على شيء من لهجات أَقطار العروبة الأُخرى لو توفر لنا عاملان :

العامل الأَول : هو الاحتكاك بعوام هذه الاقطار ، والاختلاط بسوادها ، حتى نقف على شيء منها ونلم ولو بظواهرها ، وهذا ليس في الامكان أَن يقوم به فرد ، يسكن جزءاً من وطن العروبة الكبير . بل ليس في إمكان أَي فرد أَن يتجاوز حدود قطره ، ليتحدث عن عامية القطر المجاور له باحاطة وشمول ، عن طريق التقاطها من شعرهم الشعبي الا وسوف يوجد له سقطات ،

وزلات ، ما دمنا نجد هذا التباين الكبير بين لهجات الاقطار العربية .. فمثلا لغة اليمن الشعبية – وهو الجزء من الجزيرة العربية – لا نكاد نتبين بعض مفردات عاميته .

يقولون في بعض أَفعال الأَمر : (تقنبر) و (هش) و (انشق) والمراد بالأَول : اقعد ، وبالثاني ، امش ، وبالثالث : اطفیء ..

ويقولون لبعض الاسماء : صميل ، وصعدة ، وهان .. والمراد بالأَول والثاني : العصا ، والثالث : السراج .

ويقولون في مراحل سنى الطفل : صبا (بالأَلف) للصبى ، ثم مجهف : للمراهق ثم مجحش : للبالغ وهكذا .

العامل الثاني ـ وهو جزء متمم للأَول ـ الحصول على حصيلة طيبة من نصوص شعر كل قطر على اختلاف معانيها ، ومبانيها ، وأَغراضها ، وأَوزانها .

وهذا أَيضاً ليس بميسور لقلة عناية الأَديب العربي بهذه الناحية ، وعدم تدوينه ، وتعذر الحصول عليه ، إلا عن طريق الرواة ، الذين هم بروايته غير مكلفين ، ولنصه غير مجودين..

اللهم إلا ما كان عن الأَدب الشعبى في (مصر) فقد الف فيه مؤلفات كثيرة من بينها مؤلف طريف اسمه (فنون الأَدب الشعبى) للدكتور أَحمد رشدي صالح ، أَلم فيه بشيء عن هذه الناحية ، وان كنا لا نعفيه مما أَراح نفسه من تطلبه وتحصيله

وهو تطعيم كتابه بشيء من الشعر الشعبى في الاقطار العربية الأَخري ، ولو عن طريق المقارنة والاستشهاد . .

وإلا ما كان ــ أَيضا عن الزجل اللبناني ، والادب الشعبى فيه ، فقد أَلف فيه أَيضاً كثيرون من بينهم (منير الياس وهيبه) صاحب كتاب (الزجل اللبناني ــ تاريخه ــ أَدبه ــ أَعلامه قديماً وحديثاً) وهو وان كان قد تكلم عن الزجل من حيث هو ، وعن بعض الفنون التى وجدت مع الزجل ، وعن الفنون التى جدت في الأَدب الشعبى الشامى إلى يومنا هذا ــ إلا أَنه هو الآخر لم يتعرض للآداب الشعبية العربية الأَخرى .

وكل ما أَلف في مصر والشام ، لا يتجاوز حدودها إلا القليل وهذا القليل على كثرة أَغلاطه نصيب الشعر العامى منه قليل .

نموذج من الشعر العامى في مصر :

ينقسم الشعر الشعبى المصري إلى ثلاثة أَقسام : قسم الأَغنية البكائية ، وقسم الموال ، وقسم الزجل والموشح .

فالأَغنية هى التى تجدها دائما على أَفواه العمال ، على اختلاف أَعمالهم ، وتباين مهنهم ، يخففون بها من آلامهم ، ويستعينون بأَلحانها المطربة ، وترجيعاتها المشجية على ازجاء الوقت ، وتخفيف وطأَة العمل .

وهذا أنموذج منها :

مدي خطاك يا أم الجرس رنان

مـــدي خطاك وقربي المكان[1]

هجرتنى يا زين وطــــال الهجر

حرمتنى نــــوم العشا والفجر[2]

يا عين ما تبكيش على اللى مات

ابكى على الى خلف البنـــــات[3]

يامــــــا الــــــــتراب لمـــــام

لم الصبايا والجدع عمود الزان[4]

وهذا نموذج آخر في الخطبة :

ضيعت مالك على الجمال يهنالك

---

(١) يا ام الجرس : يا صاحبة الجرس ولعلها البغلة . قربى المكان : اى قربى الهدف الذي نقصده .

(٢) يازين : ياجميل . حرمتني نوم العشا والفجر : المراد السهر طوال الليل .

(٣) ماتبكيش : لا تبكين .

(٤) ياما التراب لمام : كم يضم التراب من أناس فيهم الاحبة وغيرهم . الصبايا : الشبان والشابات . الجدع عمود الزان : الحاذق الكيس الذي بمنزلة عمود الرمح .

ثلاثين صباح وهى في الديوان قعداللك (١)

جالوا لنا عليك يا عريس يا غالى

جالوا لنا عليك دا ابو زيد الهلالى (٢)

يابت يالى الجنينة فرج مجصوصك

الى معـــاه مال يتجدم ويحوشك (٣)

أَما الموال فهو فن قديم ، سبق أَن تحدثنا عن نشأَته ، وأَين نشأَ .. الخ وهذا نموج من الموال المصري :

لو كانت الناس تجبل عذر بعضيها

كنت اوهب الروح والجنة لبعضيها (٤)

أَمـــا الزمــــن دا زمــــن غش

ما تعرفشى للراجــــل جفا من وش

---

(١) يهنالك : يهنيك . ثلاثين صباح : ثلاثين يوما . قعداللك : قاعدة تنتظرك .

(٢) جالوا لنا عليك : قالوا لنا عنك . يا عريس يا غالى : مدحوك لدينا . دا : ذا . ابو زيد الهلالي : بطل بنى هلال المشهور .

(٣) يابت : يابنت . فرج مجصوصك : الجنينة في مفرق شعرك . معاه : معه . يتجدم : يتقدم . يحوشك : يأخذك .

(٤) تجبل : تقبل . بعضيها : بعضها . أوهب : أهب .

علشان ربع كلمة تفوت الناس بعضيها (١)

ومن الموشح المصري :

يطمع بالخلاص قلبى وقـــد فاتو
وقـــــد ضمو عشقـو بسها ماتو
نراه قـــــد حصل مسكين حمالاتو
فقلق ولذلك أمر عظيم صـــاباتو (٢)

أما الأغاني الشعبية في السودان ، فهى قريبة من أغاني مصر ، لا سيما أغاني الصعيد ، وبلاد النوبة ، وهذا نموذج من شعرهم الشعبى :

الحال العلى حـــال العدو المسكين
وحال من كتفوه وسالين ع السكين
وحال من في البحر حاوشنه تمساحين

(١) دا : ذا . ماتعرفشى : ماتعرف شيئاً . للراجل : للرجل . جفا من وش : قفا من وجه . علشان : لأجل ربع كلمة : كلام طفيف . تفوت الناس بعضيها : تحصل العداوة .

(٢) فاتو : فاته . ضمو : ضمه . عشقو : عشقه بسها ماتو : بسهامه . حمالاتو : تحمل مالا يطيق . صاباتو : اصابه .

وخال أَم الفتى وكتين جناها يببين (١)

نموذج من الشعر العامى في لبنان وسائر بلدان الشام :

ينهج الأَدب الشعبى في لبنان وما جاورها ، منهج الأَدب الشعبى العربي القديم ، من الزجل والموشح ، والدوبيت ، والمواليا ، والكان وكان ، والقوما ، وغير ذلك ، ويعنون بفنون أَخرى من الشعر الشعبى ، لم يكن لها من الرواج والشهرة ماكان لما أَسلفنا ، وبعضها لم يخرج إلا من لبنان نفسها ، ولم يسبق أَن تكلمنا عليها ، حينما تكلمنا على فنون الشعر الاخرى في صدر الكتاب ، فمن ذلك :

١ ـ الأَبوذية :

ومعنى هذه الكلمة ، صاحب الأَذية . أَي ان هذا النظم لا يقال ـ غالبا ـ إلا عند الأَذية أَي الرثاء أَو البكاء ، أَو الوجد ، مثاله :

اهلن يا نسيم الروح يا المـــاس
على اللي شبهوا خـــده الورد بالماس

(١) الحال العلى : حالي . كتفوه : أَوثقوه . وسالني ع السكين : جردين عليه مجردين عليه السكين لقتله . حاوشنه : احتوشسه . تمساحين : واحدهما تمساح وهي من هوام البحر ، التى تفتك بالبشر .

والورد يذبل يصاحب حين يلماس
وذا مهما تقبله احتمر ميـــه[1]

٢ ـ الميمر :

يقال إن أَول من اخترع هذا الوزن السريان ، وأَول من نظم عليه ابن ديصان ، وهو يشابه الأَبوذية في الوزن ، مثاله من شعر حسن العذاري العراقي :

قلبى بغيرك يا الوطن ما يلهـــــه
انتـــل الذي دوم اعدلت ما يلهــه
الناس من تلهج شرب ما يلهـــــه
ونتـــه شربت منل عده دم احمر[2]

٣ ـ المعنى :

وهو من اختراع سريان لبنان الأَقدمين ، ويقال ان أَوزانه مشتقة من الأَناشيد ، والميامر ، والمداريش ، والقصائد السريانية وأَنواعه كثيرة منها : أَ ـ المعنى العادي ، ب ـ المعنى القصيد ،

(١) الماس الاول اسم فاعل من (مس) والثاني الجوهر المعروف ، والثالث فعل مضارع من (لمس) احتمرميه : احمر ماؤه .

(٢) ما يلهه : ما يلهو . انتل لذي : انت الذي . أعدلت : عدلت . ما يلهه : سائله . من تلهج : اذ تعطش . شرب ما يلهه : تشرب الماء . وانته : وأنت.مثل عده : من العداء .

ـ ج المعنى الجناس ـ د ـ المعنى الموشح ، هـ ـ المعنى المخرج ، و ـ الردف المطول ، ز ـ المعنى المذيل المقلوب ، ح ـ ومنه البدالى . الخ . مثاله من المعنى القصيد لاسعد السبعلى :

طــــل الصباح وتكتك العصفور
سهرنا وطـــــــولنـــا بنومتنا [1]

شوفي الشفق فرق علينـــــا النور
والشمس منشــــــور عاخيمتنا [2]

والكون غاشى والفـــلك مسحــــور
من سقسقة ميـــــات نبعتنا [3]

٤ ـ القرادي :

وهو قديم ، ووارد في اللغات العبرية ، والآرامية ، والاشورية ، والعربية ، وله فنون أيضا وهى كما يلى :

أَ ـ القرادي العادي ، ب ـ القرادي المهمل ، ج ـ القرادي المنقط ، د ـ القرادي المخمس المردود ، هـ ـ القرادي المخمس

---

(١) تكتك العصفور : صوت . طولنا بنومتنا . اطلنا النوم .

(٢) شوفي : انظري . عاخيمتنا . على خيمتنا .

(٣) غاشى : سادر . الفلك مسحور : منظره ساحر بديع ولعله من باب (حجابا مستورا) و (عيشة راضية) . سقسقة . خرير . ميات نبعتنا : ماء جدولنا .

المقلوب ، و ـ القرادي الموشح ، ز ـ القرادي المرصود .. الخ .

مثاله من القرادي المخمس ، لنصيف اليازجى :

شابهت بدر النـــــور بالخلقـــة
لما لبست الجبـــــة الزرقـــة[1]

أَنت القمر والبـــدر يا غندور
لكن من أَين للبدر هالمشقة[2]

(٥) الحداء (٦) الزلغطة أَو الزغردة (٧) الندب (٨) العتابا (٩) الميجانا(أَبو الزلف) (١١) الشروقي (١٢) البغدادي .

كل هذه الفنون يعنى بها الشعب اللبناني وما جاوره ، وهذه الناحية من الوطن العربي هى أَكثر رغبة في هذه الفنون ، وتغذية لها إلى يومنا هذا .

نموذج من الشعر الشعبى في العراق :

لانجد فارقا كبيراً بين الشعر الشعبى في العراق وبينه في لبنان ما عدا ملامح يسيرة ، تتبينها إذا أَنعمت النظر ، وقارنت بين الشعرين ، وإليك هذا النموذج :

---

(١) الزرقة : الزرقاء .

(٢) غندور : جميل ظريف . هالمشقة : هذا القوام الفارع اللدن . فأنت شبيه له بالنور ولكن فاته من جمالك حسن القوام ولدانة القد .

أسمـــر سمارك حــــلو

والعين عين الطيــــــر

وش بان منى خطايا الله

عجل وتعاشرون الغيـــر

ويلى ويلى . . يا ويل قلبى (١)

وهذا نوع آخر مما يسميه اللبنانيون الابوذيه ، للحاج زاير العراقي :

يا ناري حيل اضرمى وشعلينه

او من حكي الحواسد وش علينـــه (٢)

عسل حوبه وره للى وش شعلينه

فرقك روحين بلجـا من سويه (٣)

على أنه يوجد في العراق ـ لا سيما جنوبيه وشرقية ـ من يعنون بالشعر النبطى على نحو ما عليه أهل الجزيرة .

---

(١) وشى بان مني خطا : أى خطأ تبين منى .

(٢) ياناري حيل : أيها النار اشتعلي جدا . أشعلينه : أحرقينا . حكي الحواسد : كلام الحساد . وش علينه : أى شيء يصيبنا منه .

(٣) عسل حوبه : لعل البلاء والضرر ينزل بالذي وشى علينا . فرقك : فرق بين روحين كانتا متفقتين .

شىء من شعر اليمن الشعبى :

كثيرة هى أنواع الشعر الشعبى في اليمن ، وأبرز ما هنالك النوع المسمى لديهم ـ (الدلع) ـ بكسر الدال وسكون اللام ، وهو ما يشبه ـ رقصة الحرب ـ الحربي عند أهل نجد ، لما تعج به تلك البلاد من فتن ، ولما بين قبائلها من ثارات وإحن ..

وها هى قصة أحدهم فتك بعدوه ، والتجأ إلى (حوطان أم جنادي) أحد زعمائهم ، ليحميه من أبناء المقتول ففعل ، غير أن الأبناء لم يحل بينهم وبين الأخذ بثأر أبيهم حائل ، فهجموا على قاتل أبيهم في بيت مجيره فقتلوه . وعز على المجير أن تخفر ذمته ، وينتهك جواره ، فقتل قتلة من استجار به ، وهنا رفع شاعره عقيرته :

راية البيضا لحوطان ام جنـــادي

الف طاقة نشرت في كل وادي

والف في سوق الخميس (١)

(١) راية البيضاء : الراية البيضاء تنصب للرجل عمل عملا جميلا ينادى ببياض وجهه في مجامع الناس . فيقال ـ مثلا ـ (اسمعوا كلكم يالفية الاجناب منكم والآهلية بيض الله وجه فلان بن فلان في خوية) والتسويد في مجال الذم يقال بدل (بيض) (سود) . ام جنادي : الجنادي : لان لغة اليمن تعتاض عن (أل) بـ (أم) . طاقة : قدر معلوم من القماش قبل تفصيله. سوق الخميس : من أكبر الاسواق في اليمن .

قد حلف بام رب و . . . .

ما يا خـــــذ فيهـــم طمـــع

انتصر لام جار وام ثاني بروحه (١)

وعيشة السلب ، والنهب ، والتلصص ، هجيري أَهل هذه النواحى ، ولن يعدم اللص أَحياناً مفاجأَة تودي بحياته ، كما حدث لأَحمد ام حبة ، وابن خنية ، الذين يتلصصان لسرقة الأَبقار فلقيا حتفهما هنالك ، وقال شاعر القبيلة المتلصص عليها معتزاً ..

قولوا لسعدي بن جخيرة يقلب النية

أَحمد ام حبة قتيل وابن خنيــة

طمـــــــاعــة ام بقـــــــــر

صـــــادف رجـــــال محــــدة

اهـــل نبــــوت وعـــــدة

(١) ما يأخذ فيهم طمع : أى في من استجار به . أم ثاني : والثاني بروحه : لنفسه .

يشربــــــون العنقريــــــز (١)

ذوق يا . . واطعم سم ساعـــة

أَحمد ام حبة شريت الموت مشترى

كب دوحه وانتقل يجيب منكرا

هـــــو وابن خنيـــــــه (٢)

شبت الفتنة وشبت الغطـــــارف

كل يـــــــوم فايـــــــدة

واعقب المـــــدة معابر ام دحيقى (٣)

من شعر حضرموت الشعبى :

ووجه الشبه قريب بين شعر حضرموت الشعبى وبين شعر اليمن للجوار والمماثلة في العادات الاجتماعية ، والخلقية ، يقول أَحدهم مفتخراً بقومه :

---

(١) سعد بن جخيرة : شيخ القبيلة التي منها القتيلان . يقلب النية : يغير نيته نحو نا كيفما شاء ، وهو ما يسمى في عرف اهل نجد بـ (رد البراء) والنية في بيته مخفقة كما هى عاميتهم . محدة : حاملة الحديد والسلاح . نبوت : نوع من البنادق جيد . العنقريز : البارود .

(٢) سم ساعة : القاتل بوقته . كب دوحه : ترك خبزه . يجيب منكرا : يأتي به .

(٣) الغطارف : الرجال الشجعان الكرام . معابر ام دحيقي : رصاصها .

نحن سفينة من طلع فينا نجى
ومن تخلف بايجى في الداهية [١]

قروشى في خزنتى وارجالى معى
ما نختفى مثل الشموس الظاهرة [٢]

والله لوما الهام دوبه محتـــوي
يشرح على الصفرا شبام العالية [٣]

ان كان بقعا صافية قدهـا معى
بالسيف ما باها تجى بالعـافية [٤]

وها هو الآخر يرثي ، ويقدم لرثائه بمقدمة فيها صلوات ، وتوسلات شأن القدامى :

---

(١) طلع : ركب . بايجى : سيأتي : و (با) هذه علامة فارقة في لغة الحضرمى ، وهى في الافعال بمعني السين ، أو سوف في التسويف أو التنفيس . وفي الاسماء تأتى عوضا عن – (ابن) فيقولون لمحمد بن احمد : محمد با أحمد .

(٢) خزنتى : خزينتى . رجالى معي : تحت امري .

(٣) لوما : لولا . الهام : يقصد الانجليز ويكني عنه بكذا خشية المحذور السياسي . دوبه محتوي : توما تولى . شبام العالية : بدل من الصفرا وهى اسم مكان .

(٤) بقعا : اسم للدنيا . قدها معي : فهى معي . ما باها : لا أريدها ، ويشاركهم في هذا الاستعمال بعض قبائل نجد كعتيبة .

يا الله يا من طلع باسرار علامه
المنفرد بالبقاء الواحد المعبود(١)

لولاه ما لبرق يسري في تبسامه
يبات راعده يرعد والخليق رقود(٢)

قال الكثيري حرام النوم ما نامـه
من يوم جانا خبر بن طالب المعدود(٣)

قالوا لى الجد عايض قصرت ايامـه
عليت يا مروي النمشة وذلق العود(٤)

وفي الكرم مثل حاتم طى في اكرامه
للضيف يكرم الى غابي ولى موجود(٥)

---

(١) طلع بأسرار علامه : المطلع على الأسرار عالمها . وفي هذا البيت من الشاعر وحدانية صادقة .

(٢) ما البرق : ما كان البرق . يسري في تبسامه : والغالب في روئية البروق ان ترى ليلا ولذا وصفه بالسرى ، وفي تبسامه استعارة تبعية . يبات : يبيت . والخليق : والخلائق .

(٣) الكثيري : نسبة إلى قبيلة الشاعر : من يوم : منذ . المعدود : المشهور .

(٤) قصرت ايامه : توفي . عليت : بوركت ورحمت : النمشة : نوع من السيوف ذو حدين . ذلق العود : رأس الرمح :

(٥) اللى غابي واللي موجود : الذي خاف والذي ظاهر .

من شعر عمان الشعبى :

وينهج الشعر الشعبى في عمان نهجه في سائر الأقطار العربية من صرف معظمه في الناحية الحماسية ، وشئون الحرب ، لما لهذه الناحية من أَثر في مجتمعاتهم العربية ، استمع إلى العماني ماذا يقول :

الا يا ويل من كان سبقه ردية
لى جت الخيل مثل القطا الموردات[1]

الا يا عنز ريم تعرض عليـــه
الا حرم على الطرب في حياتي[2]

ويقول الآخر :

يا ربعتى خلو النظر واحـــــد
واتكوا على ســور يذريكم[3]

بجواركم لا تهدروا الخاطـــــر
وخصم يعـــادينا يعـــاديكم[4]

---

(١) سبقه : سابقه – فرسه – ردية : بليد . لى جت الخيل : حينما تجيء الخيل . الموردات : الواردات .

(٢) عنزريم : انثى الظبي . عليه : علي والهاء للسكت . في حياتي : مدة حياتي .

(٣) ربعتي : قومي وصحبي . خلو النظر واحد : اجعلوا كلمتكم واحدة . سور : ملجأ يمنعكم .

(٤) لا تهدروا : لا تتركوا . الخاطر : الضيف .

ترف الشعر النبطي

للعلوم والفنون أدوار وأعمار ، كما للأمم كذلك ، فهى تجد في أول حياتها من يخلص لها ، ويعمل - جاهدا - من أجل ترقيتها ، وتحسينها وبروزها . حتى إذا بلغت أشدها ، واستوت على سوقها ، وقفت عملية البناء ، وبدأت عملية الهدم .. - وكل شيء بلغ الحد انتهى - .

وهكذا وجدنا الشعر العربي في جميع أدواره وأطواره ، بدأ في أفق ضيق ، ونطاق محدود ، ثم أخذ في الشيوع والذيوع ، حتى بلغ فتوته وعظمة شبابه ، في العصر الأموي ، وصدر العصر العباسى ، فهنالك بدأ الترف الشعري يجوس خلاله ، ويقتحم حصونه ، وذاك نذير شيبه ، وبدء شيخوخته ، ولم يزل به حتى تركه هرما يهذي بما يعرف ، وما لا يعرف .. فلقد أصبحت القصيدة المتينة ذات الطابع الشعري الأصيل ، لا تجد لها مكانا في الأوساط الأدبية ، وأصبح البديع وما يحويه ، والتزويق ، والتمويه ، هى هجيرى كل شاعر ، وحلية كل قريض ، وأصبح كل شعر خاليا من - لزوم مالا يلزم - (والتشريع) (والتفويف) (والتسميط) (والاجازة) (والتشطير) (والتخميس)

(والموشح) (والدوبيت) (والزجل والموال) (والكان وكان) (والقوما) .. كل شعر خاليا من هذا فهو عاطل ، وكل ما لم يمعن فيه فهو ساذج .

وهكذا نجد الشعر النبطى يتسم بهذه السمة ، ويترسم هذه الخطى ، فبينما نجد شعر الخلاوي ، وبركات الشريف ، وحميدان الشويعر ، ورميزان ، وغيرهم .. يعطى صورة عن شعر النبط في فتوته وشبابه ، ويمثل لنا المجتمع العربي في صفائه ونقائه .. إذا بنا نجد الصنعة تأخذ طريقها إلى شعر ابن لعبون وابن جعيثن وابن ربيعة وغيرهم ..

على أن الصنعة والتحلية هنا ليست كمثلها في العربي فالأول ألصق بهذه الناحية ، وأقرب منها وأقل تأثراً بها لقرب مسافة الخلف بينهما . والثاني أنأى ، وأشد تنكرا لها ، ومن هنا كبرت في العربي وهانت في النبطى .. ! !

وما جد على الشعر النبطى ليس هو من نوع ماجد على العربي ، فما جد على الثاني يعنى ببناء القصيدة ، وتركيبها ، وما يتصل بهيكلها ، وما جد على الأول يتجه إلى المعاني والأغراض واخضاع الشعر لنواحى ما كان منها في قبيل ولا دبير .

فمثلا حروف الهجاء ثمانية وعشرون حرفاً ، وقد اعتاد غالب شعراء النبط أَن يخصوا كل حرف ببيت ثنائى أَو رباعى أَو رباعى إلى آخر الحروف الثمانية والعشرين ، في قصيدة واحدة ، يسمونها (الأَلفية) وهذه القصيدة ــ غالباً ــ تكون من النسيب . .

وهاك نموذجا لطريقتهم في نظم هذه الأَلفيات ، يقول (العوني) في أَلفيته الرباعية :

والزا زعجت الصوت من شد مابي

عليك يا المجمول لا واعـــذابي

يا بو نهـــود شولعـــن الثيابي

حمر ثمرهن شالهـــن ثوب قزا[1]

إلى أَن قال :

اللام لاما عذب الانيـــاب جنـــة

ابشر برضوان من الله وجنـــــة

---

(١) زعجت الصوت : رفعت عقيرتي به . المجمول : الجميل ويكثر استعمالهم لهذه اللفظة . لا واعذابي : لشد ما اعذب من اجله والمراد التضجر . يابو : ياذا النواهد. شولعن الثياب : تركنها بارزة . يشكل بروزها حجم البيض . حمر ثمرهن : قد احمرت رؤوسها كأكمام الزهر شارف التفتق . شالهن : ارتفع بها . ثوب قز : ثوب خز .

ياليت لى من سيد جيله مضنـــة

من سلسبيل بين اشافيه مزا [١]

ومن ألفية) للعرينى) رباعية أيضاً :

العين ، كن العين يجري بها عين

تسقى مسير الحول في ظرف يومين

يا زارعينـــــــه لا تهابون مدين

لو هو مثل دين الزبيري وفى به [٢]

أما ألفية (محسن الهزاني) فثنائية : منها :

والميم ، ما والله لقينـــــا حلاياه

لا في البدو يذكر ولا في المباني [٣]

---

(١) لاما : معاشرة . عذب الانياب : عذب المقبل . وكثيراً ما يصفون الاسنان بالانياب في شعرهم ، وهو اصطلاح ، ولا مشاحة في الاصطلاح . جنة : لعلها في الأولى الردء وهنا يكون في البيت الجناس غير التام ولعل هذا انسب للمعنى . مضنة : ذخر . اشافيه : شفتيها .

(٢) العين الأولى : الحرف ، والثانية الباصرة ، والثالثة الجارية . كن : كأن . يازارعينه : يازارعى ارض هذه العين . لا تهابون مدين : لا تخشوا الدين . لو هو : لو انه . الزبيري : اشارة إلى قصة الزبير ودينه .

(٣) لقينا : وجدنا . حلاياه : اشباهه . ولا في المباني : اى ولا في الحضر .

وليس الأَمر يقف عند هذا الحد بل انهم يمعنون بالتلاعب بالأَلفا ظ في هذه الأَلفيات حتى أَنهم يبدأون كل بيت يختص بحرف ما ، بذلك الحرف ويختمون به كل شعر سواء كان البيت رباعى أَو غيره إقرأَ لسليم بن عبد الحى في حرف الثاء :

الثا ثمان عذاب شوقي بهن ديث
سلسال معسول النحل بينهن ميث

واهل الهوى في نار هجره مما كيث
وانا لشوقي في دجا الليل عسيت (١)

وأَحياناً يلتزم الشاعر بدء كل شطر من أَشطر البيت بذلك الحرف نفسه ، إقرأَ لحمد المغلوث في حرف الأَلف :

أَللهْ يا وقت تقضى بالافـــــراح
أَقفى وظليت أَصفق الراح بالراح

ابدا واجيب من التماثيل واقول
آه على ذاك الزمان الذي راح (٢)

---

(١) ثمان عذاب : الثنايا . شوقي : حبيبي . ديث وميث : مزج . مما كيث : ما كثين عسيت : طرقت .

(٢) الله : لله ذلك الوقت . أقفى : أدبر . التماثيل : الأمثال والمراد الشعر . راح : ذهب .

ومن أَلفية ابن شريم في حرف الجيم :

الجيم جاني جيـــــة بانسراقـــــة
جاهل ومجهول بوسط الرفاقـــــة
جاف لغيري ما يوري صداقة
جاني خلوج وجيت له تقل مفرود [(١)]

وقد يلتزم في الرباعية قافية للشطرين الأَولين وأَخرى للثالث مع القافية الأَصلية اقرأ لابن دويرج من حرف الباء :

البا بليت بحب وضاح الجبين
بو نهـــود ما لهج منها الجنين
كنهن بيض الولـــــع لو الثمر
بيض ناشعهن من الحمرة يسير [(٢)]

وهكذا ينسجون على هذا المنوال .. ولم أَقف لأَحد من شعراء الفصيح على مثل هذا النوع في تصرفاتهم في الأَلفيات .

---

(١) بانسراقة : بخفيه . جاهل ومجهول : لا يعرف ولا يعرف . الرفاقة : الحى . ما يوري : ما يرى . جالي : جاء الى . خلوج : الناقة الفاقدة لولدها . مفرود : هو فصيل الناقة التى فقدته . والمراد أنها شبه الخلوج في بحثها عنه . ولا أدري عن مدى مدى رضا النقاد عن هذه الصورة من صور الحب .

(٢) وضاح الجبين : مشرقه . بونهود : صاحبها . مالهج منها الجنين : لم يلتقمها الطفل . كنهن : كأنهن . الولع : الحمام القمري . ناشعهن : مشرب بهن .

أَما العرائس ، فهى التوصل إلى غرض من الأَغراض - ومعظمها المدح - بوساطة تخيل فتاة فتانة ، استبدت بنصيب كبير من الحسن ، فاصبح لها مطلق الاختيار في الملوك والزعماء ، والأَمراء ، ولها رائد لا يكذبها ، له دراية ومعرفة بأَحوال هذه الطبقة ، وما لكل منها وما عليه ، فيسيرها عليهم فرداً فرداً ، فيذم من يستحق الذم على لسانها ، ويظهر عدم ميلها إليه ، ويتخلص من آخرين تخلصا حسناً ، حتى يصل بغيتها ومنتهى أَملها ، فتلقى لديه عصا التسيار ، ويقع عليه الاختيار !!

وما هذا إلا ضرباً من ضروب التحايل على أَقصى مراتب المدح ، والتأَثير على الممدوح ، وإن كان على حساب الآخرين..

وممن أَعرفه طرق هذا النوع الشاعر النبطى (ناصر العرينى) في قصيدة رباعية أَراد بها مدح الأَمير محمد بن عبد الرحمن آل فيصل آل سعود أَخو الملك عبد العزيز وساعده الأَقوى في تأَسيس هذه المملكة ، ولم يكن في متناولى الآن ادراك كامل نص هذه القصيدة مدونة ، وإنما سوف أَورد منها ما يصلح أَن يكون شاهداً مما اختزنته الذاكرة بعد الصغر ..

وهذا هو مطلعها :

امس الضحى في لايح طويق ونيت
ون الحجر من ونتي يوم ونيت

من شوفتى غرو على شوفه اشفيت
انا مصد مير الاقدار ميلات (١)

تقول يا المنعور انا لك تعنيت
عروس شعر دور اللي تمنيت

بين النهـــــود مفصلات اليواقيت
والخد من نور القمر فيه شارات (٢)

قلت ابعدي عنى سقى الله ديارك
واضفي على غر الثنايا خمارك

(١) لايح طويق : صفحته وهو جبل اليمامة الشهير . من ونتى : بسببها ، من شوفتى : من أجل رؤيتى : غرو : غادة . شوفه : رؤيته . اشفيت : اشرأبيت واستشرفت . مصد : معرض . مير : لكن . ميلات : حاكمات .

(٢) المنعور : الشجاع . تعنيت : قصدت من مكان بعيد . عروس شعر : هى عروس شعر . دور : ابحث اللى تمنيت : الذي اريده . بين النهود : تقول هذاويطالعني من بين نواهدها عقود اللؤلؤ والياقوت . شارات : امارات .

ياليت ربي لدعنى نهـــــارك
تلقين غيري دارب في الديارات[1]

ويمضى معها في تمنع الراغب إلى أن قال :

اسليك باللى في السما فرج الضيق
اللى غطا رزقه جميـــع المخاليق
ابـــــوك من هو يا عذاب العشاشيق
واسمك ترا كل العـذاري مسمات[2]

فتجيبه :

ابوي اللى لرست الخيـــل منـــاع
الشيخ ابن هندي للاسلاف فراع
واسمى (شعاع) النور في البادية شاع
من مترفات في المقاصر مخباة[2]

---

(١) ياليت ربي : ياليت ان ربي . لدعنى : صرف عني . نهارك : اليوم الذي لقيتك فيه . تلقين : تجدين : دارب : ذا خبرة . في الديارات : في البلدان .

(٢) اسليك : اسألك . باللي : بالذي . المخاليق : المخلوقات . العشاشيق : العشاق . واسمك . وما اسمك . ترى : ان . مسمات : مسميات .

(٣) ابوى : أبي . اللي : الذي . لارست الخيل : اذا صفنت تنتظر الاغارة . ابن هندي : من آل حميد امراء (برقا) أحد جذمى قبيلة عتيبة الشهيرة . الاسلاف : جمع سلف وهو الحى من الاعراب ينتقل من مكان لآخر . فراع : مفترع . المقاصر : جمع مقصر . وهو ما تختبيء فيه الاعرابية .

ويأخذ الحوار طريقه ، حتى يخضع الشاعر لرغبتها ، ويجيب طلبتها ، ويبدأ معها في استعراض ملوك الجزيرة وأمرائها وزعمائها ، وكل تخاطبه بما يليق به ، فمثلا أمير عنيزة إذ ذاك صالح آل سليم لم تحاول أن تجرح شعوره بل تخلصت بأنها بدوية لا تطيق سكنى المدن يقول :

هذي عنيزة شيخها فايــح الراس
صالح من الفرسان لباسة الطاس

اللي عديم في زمانه من النــاس
بني عمر لى جا نهار الملاقاة (١)

فتجيبه :

تقول نعم بالفهـــد ماله امثال
وبالدار ما نقعد ولو شرب فنجال

---

(١) فايح الراس : كناية عن الكرم والشجاعة . صالح : هو صالح بن سليم أحد أفراد أسرة آل سليم أمراء عنيز خلفا عن سلف . لباسة الطاس : يلبسون الطاسات في الحروب وهي البيض . اللى عديم : الذي هو نادر . بني عمر : أى هو من بنى عمر فآل سليم من أحد شقى قبيلة سبيع وهم بنو عمر ، والجذم الآخر بنو عامر ، وهؤلاء هم سبيع نجد ومنهم بنو ثور وهم أهل اودية (رنية) و (الخرمة) وما جاورهما : لى جا : إذا جاء . الملاقاة : الاغارة .

طرد الهوى يا بادع القيـــل غربال

مضنون عيني ما نويته بجيات [1]

ولم يزل في حل وترحال ، إلى أن وصل بها سدة الملك عبد العزيز ، وصور لها بعض جوانب شخصيته ، ولكنها تنصلت بعذر لبق ، هو أنه لا يمكن أن يكتفى بجمالها ، وبهائها ، عن غيرها ، فهى تضن بهذا الجمال البارع على الضرائر :

انتى زعـــاع تشمخين العراضي

والا فانا ممـــا جري منك قاضى

فان جاد حظك ما تعدى (الرياض)

ما شوف لك عن ديرة العزنوهـات [2]

هذا عريب الجد والخال واعمـــام

اللي كسا عقب العرى ماكر دهام

(١) الفهد : اى شبيه الفهد . ولو شرب فنجال : ولو مقدار شرب فنجال القهوة طرد الهوى : التعلق به . بادع القيل : قارض الشعر . مضنون عيني . ذخرها وحبيبها . مانويته بجيات : لم انو زيارته .

(٢) زعاع : شرود غير مروضة : تشمخين : تتسلقين : العراضي : صفحات الجبال وهو يشبهها بالظبية . قاضي : منته . ما شوف : ما ارى . ديرة : بلاد . نوهات : نيات وطواريء .

وعشى وحوش البر من عسكر الشام
واهل الشهر من حربته راحو اشتات[1]

ويسترسل في مدحه ، فتقابله في صمت ووجوم ، ثم يستفهم عن مصدر هذا الصمت فتجيبه :

تقول لو يقود عمشا وريمـــــة
ماهوب كبر ولا عن الشيخ شيمة
لا شك قالوا لى يبور حريمـــــه
اللي تجوز في السنة خمس مرات[2]

وأخيراً ينتهى بها إلى الممدوح ، ويخلع عليه من ثياب الثناء ، وصور المديح ، ما جعلها تنقاد نحوه انقياد الذلول ، وتستسلم استسلام المقتنع :

يا اللي طغت بالزين هذا محمـــــد
كم جادل نجلا لشوفه توجد

---

(١) ماكر دهام : داره والمراد مدينة (الرياض) عشى : اطعم عشاء من عسكر الشام : المراد عساكر الاتراك في واقعة (البكيرية) و (الاحساء) وغيرهما وكانوا اذ ذاك يجلبونهم عن طريق الشام . اهل الشهر : أهل الرئاسات وموقدو الحروب .

(٢) عمشا : فرسه . ريمه : ناقته . ماهو : ليس الأمر . شيمة : المره من شام اذا أنف واستنكف . لا شك : لكن . يبور حريمه : لا يطيل العشرة مع زوجاته يأخذ ويطلق ، وتسمي المرأة المطلقة بائراً . اللي تزوج : قدر ما يتزوج .

اللي الى من ارست الخيل ورد

وهدم طوابير الجموع المبناة [1]

ضد الضديد الى دنى له ضـــــديد

يروي نهار الكون صافي الحديد

ما كنه الا خالد بن الوليـــــد

والا علي بمبارز اهل الطياسات [2]

وأخيرا :

تقول هيد للشجاع أبو خالـــد

السوق دنه والمطـــوع وشاهد

والسوق لك يا الى علينا مجاهد

والكيف طاب وبي نسوق البشارات [3]

---

(١) يا اللي طغت بالزين : يا ايتها المدلة بجمالها . جادل : ذات جديلة وهي الظفيرة المسترسلة من الشعر وهو تعبير مجازي . نجلا : نجلاء العينين . لشوفه توجد : لرؤيته . تتوجد . اللى الذي . اللي من ارست الخيل : الذي اذا صفت الخيل تنتظر الاغارة . ورد : بوزان جرد والمعنى غامر واندفع . المبناة : المتراكمة .

(٢) الضديد : المضاد . نهار الكون : يوم اللقاء . صافي الحديد : السيوف ونحوها . ماكنه : ما كأنه . اهل الطياسات : اهل البيض .

(٣) هيد : قف . ابو خالد : كنية الممدوح . السوق : المهر . دنه : قدمه . المطوع المأذون : السوق لك : المهر لك أيها الساهر في طلب من أريد . الكيف طاب : تم المنى وعثرنا على الضالة المنشودة . بي نسوق : نريد دفع البشائر على بلوغ الأرب .

ورغم أَن هذه القصيدة ذات مغزي عادى ، إلا أَننا نستطيع أَن نلحقها بالشعر التمثيلى ، لأَسلوبها الحواري الشيق ، ! وتجسيمها للصور والأَخيلة في ذهن القاريء على نمط الشعر التمثيلى النادر وجوده في الفصيح ، وإن كان هذا غير مقصود للشاعر ، ولا يخرج هذه القصيدة عن نطاق ترف الشعر النبطى ، إلا أَن ما أَتى بمجرد المصادفة له قيمته ووزنه !!

ولم أَقف أَيضاً لأَحد من شعراء الفصيح على شيء من هذا النوع ، إلا أَن هناك قصيدة نونية ، لخالد بن صفوان القناص ، تسمى العروس ، وهى إحدى القصائد التسع ، المسماة الفرائد ، ولكن هذه القصيدة ليست من هذا الباب الذي طرقه شعراء النبط ، فقد يكون جمال هذه القصيدة ، هو الباعث على تسميتها بذلك .

والشاعر النبطى يرى أَن معشوقته التى يتغنى بجمالها ، ويهيم بحبها ، ويتوله لهجرها .. لابد وأَن تكون معروفة ، وان يظهر للناس أَن هذا الحنين والأَنين ليس من أَجل نكرة لايعرفها إلا عاشقها ، وإنما هى قتالة العشاق ، وفتانة النساك ، فكلهن كأَنما عناهن أَبو فراس :

فقلت كما شاءت وشاء لها الهوى :
قتيلك ، قالت : أَيهم فهم ، كثر ؟ !

ولكن هناك ما يمنع الشاعر من التصريح باسم محبوبته ، فالتقاليد والعادات تردان ذلك ، وإذا فما هو الطريق الذي يجمع به بين هذا التعارض ؟ !

إن هناك اصطلاحاً تواطأً عليه المتأَخرون ، وجروا على سننه ، وقل من يعنى به ، أَو يشغل نفسه بمعرفته ، إلا شاعرا أَو راوية للشعر ، أَو ذا ولع به ، هؤلاء – في نظرهم – ينضوون تحت لواء واحد ، ويندرجون في طريق واحدة ، فلا مانع من اطلاعهم على هذا السر واحاطتهم به .. إن هذا ما يسمونه – الريحاني – و (الدرسعى) ويلحق بهما (الأَبجدي) .

فالريحاني : هو توزيع حروف الهجاء الثمانية والعشرين على فصائل الحيوانات والنباتات ونحوها ، فكل حرف يستقل بفصيلة منها ، ومتى جاء اسم نوع من جنس من هذه الأَجناس أنصرف الذهن إلى ذلك الحرف ، وهكذا يتجمع ما يستقل باسم محبوبته ، من الحروف ، وكلما كان الشاعر أَعمق معنى ، وأَبعد ادراكا في هذه الناحية ، كانت امارة جودته وقوة شاعريته

كما أَنه يريد التعمية عن قارئيه ، وانبهام هذا الطلسم عليهم ، ليكدوا ، أذهانهم في كشفه .

فمثلا اسم (هند) يتأَلف من ثلاثة أَحرف، هى (هـ ، ن ، د) فالهاء – عندهم – من الهوام ، والنون من النجوم ، والدال من الدواب ، فالهوام أَجناس وأَنواع كثيرة قل من يحيط بها ، فاذا أَراد الشاعر استعمال هذا الحرف – وكان قصد التعمية – ذهب يفتش عن اسم (هامة) بعيدة معرفتها على من حوله ، وهكذا في أَسماء النجوم والدواب ، حتى لا يستعصى هذا الاسم إلا على النادر ، أَما إذا أَراده قريب المتناول ، فما عليه إلا أَن يقول : اسم حبيبته (ثعبان ، سهيل ، بقرة) فالثعبان من الهوام ، وسهيل من النجوم والبقرة من الدواب !

وهذا أَنموذج مما قاله أَحد شعراء النبط ، وكان يعمي عن اسم معشوقة له اسمها (منيرة) .

يا ليت زحله تجينـــــا يرجع القلب
من عقب مادش في غبات ميدانه [1]

(١) تجينا : تأتينا . من عقب : من بعد . دش . خاض . غبات : جمع غبة . ميدانه : مضطربه .

يا ريف دور المودة خذتنى غلب
طاوعت بي بهرج التنين بلسانه [1]

فزحلة من المدن ، تـأَخذها على أَنها (م) والقلب من النجوم (ن) والدال ، والأَلف ، والنون ، والهاء ، من (ميدانه) تشكل دانه ، وهى اللؤلؤة (ي) وريف دور من الرياحين (ر) والتنين من الهوام (ه) .

وفي هذين البيتين التورية أَيضاً ، فكل من زحلة ، والقلب ، وريف دور ، له معنيان ، يصدق بهما معنى التورية ، كما قد سبق في مكانه .

ويقول العرينى في محبوبة له اسمها (هيا) :

سمي خلى في (سويقة) يبـــاع
مرزوق والياقوت مع كل بياع [2]

المراد بـ (مرزوق) اسم عبد وهو عندهم من الهوام ، والمراد بالياقوت أَحد الأَحجار الكريمة المعروفة .. وإِذا فالدينا (ه) لأَنها مأَخوذة من الهوام و(ي) لأَنها مأَخوذة من اليواقيت .

---

(١) خذتني : اخذتني . طاوعت بي : اطعت في . بهرج : تزييف : التنين الثعبان .

(٢) خلي : حبيبي . في (سويقة) أحد اسواق مكة المكرمة المفعم بالبضائع والسلع ومنها ما ذكره من العبيد والجواهر . مرزوق : اسم عبد .

والشواهد والأمثلة على هذا كثيرة

الدرسعى :

أما الدرسعى فهو قرن كل حرفين من حروف الهجاء ، بحيث يتكون منهما كلمة غير ذات معنى ، لا لشيء سوي مناوبة هذه الحروف ، بحيث إذا كان المراد حرفاً معلوماً في الاسم يعدل عن هذا الحرف إلى قرينه بقصد التعمية ، وصفة هذا الاصطلاع هكذا : (كم ، او حط ، صضى ، لد ، في ، در ، سع ، بز ، خش ، تذ ، نق ، ثج ، ظع) .

فمثلا إذا أردت اسم (دعد) قلت : (رسر) وإذا أردت اسم (سعاد) قلت : (عسور) وهكذا .

الابجدي :

هو معروف من كثرة استعمال الكتاب والمؤرخين له عند خشية الالتباس في الأرقام ، حينما يكون المؤلف أو الكاتب ، أو الحاسب ، سائراً في شرح مادة ، أو عملية مرقمة ، وعرض له في أثنائها ما يقتضى الـعد ، أو التفقير ، فهنا يلجأ إلى الحروف الأبجدية ، وربما تنفد معه الحروف الثمانية والعشرون فيعيدوها من أولها مزدوجة .

كما أن الأَشكال الهندسية مبنية على هذا ، وصيغة الأَبجدي هكذا : (أَبجد ، هوز ، حطى ، كلمن ، سعفص ، قرشت ، ثخذ ، ضظغ) وعلى هذا الترتيب ، رتبوا الأَعداد من واحد إلى الف ، بحيث تنتهى الآحاد عند الياء ، والعشرات عند القاف ، والمئات عند الغين ، فاذا أَراد الرامز أَن يرمز إلى اسم أَو غيره ، أَخذ أَعداد كل حرف ينبنى منه ذلك الاسم مجزأَة أَو مجتمعة ، وبعد إجراء عملية حسابية تتبين له جميع الحروف أَو بعضها ، ويدرك البعض الآخر بالقرائن وهكذا ..

وربما عكسوا لا سيما في حساب التواريخ ، فيستدلون بالحروف على الأَرقام ، مثاله قول بعضهم مشيراً إلى نكبة (الدرعية) على يدي المصريين عام ١٢٣٣ بكلمة (غربال) قال :

عام به الناس جالوا حسبما جالوا
ونال منا الاعادي فيه ما نالوا

قال الاخلاء ارخه فقلت لهـــم
ارخت قالوا بماذا قلت (غربال)

وهكذا يتخذ شعراء النبط هذه الوسائل لأَلغازهم ومخبئاتهم ،

يقول الشاعر النبطى ناصر العرينى رامزاً إلى محبوبة له اسمها (هيا) :

اسمه في الابجد عندنا في حسابه
خمسة عشر ياللي جدوده عريبة[1]
وفي الدرسعى (لام) و (ف) يعتنى به
مع (حصة) في مفرق له غريبة[2]

ويقول ابن جعيثن :

اسمهـــا روض الخضـــاري بالمروج
فوق عشر في شفى وادي العقيق[3]
يزرع الليمـــون في بخشة بـــلوج
عبدنا محبوب يازين الرفيـــق[4]

ويقول محمد بن عرفج :

ضب سمي صويحبى به جبـــاره
وفصيص ياقوت صمى لام صاميه[5]

---

(١) اللى جدوده : ياأيها الذي .
(٢) حصة : لؤلؤة . غريبة : نادرة .
(٣) الخضاري : نوع من الحمام .
(٤) بخشة : بستان . يازين الرفيق : ما احسن الرفيق .
(٥) ضب : حيوان بري من الزواحف . صويحبي : تصغير صاحبي : اي صاحبتى – وهو تصغير تمليح . ومثله فصيص ياقوت .

قفل القصيدة :

ومن تصرفاتهم عندما يريد بعضهم ـ أَحياناً ـ انهاء قصيدته ، يحاول أَن يكون آخر شطر منها هو أَول شطر بالذات ويسمونه (القفل) بمعنى انه أَغلق هذه القصيدة ، فلا يستطيع أَحد الزيادة فيها ، وهو عندهم من قدرة الشاعر وتفوقه . مثاله قول ابن جعيثن في مطلع قصيدة له :

عن الدار يا اهـــل الهجن بالله ودوني
عن الشوم والادبار والماقف الهوني

ويـأْتي عند نهايتها فيقول :

الى نلت صافي الود منهم فغايتى
عن الدار يا اهل الهجن بالله ودوني (١)

المهمل :

وهو اغفال القصيدة من النقط ضد الاعجام ، وقد طرقه قلة منهم ، وهو أَيضاً مطروق في الشعر العربي كما جاء في مقامات الحريري ، وممن طرقه من النبطيين العوني ، قيل إِنه أَراد به

(١) الهجن : الابل القوية السريعة . ودوني : ابعدوني . الشوم : الشئوم . الماقف الهون : الموقف الادنى . الى نلت : اذا أدركت .

تعجيز بعض شعراء الحجاز أمام أَحد أَشراف مكة ، فانقطعوا في محفل كبير وها هو جزء من قصيدته .

هل الهلال وهامل الدمع مدرار
لاهل واهمل ما طره كالهلل هل[1]

* * *

أَول صدود مواصله والهوى حار
لما الدهر رده على حاله اول[2]

عسى عسى ما كمل الدمر للدار
عاد الرحا دوره على روس وحلل[3]

وكذا ابن لعبون قال من قصيدة طويلة :

أَحمد المحمود ما دمع همل
او عدد ما حال واد له وسال[4]

او عدد ما ورد وراد الدحل
او رمى دلوه وما صدر ومال[5]

---

(١) لاهل : اذا هل . ماطره : مطره . الهلل : قطع نقدية تساوي واحدتها ربع قرش دارج .

(٢) حار : تحير . لما الدهر : حتى الدهر . حاله اول : حالته الاولى .

(٣) الدمر : الدمار . روس : رؤوس . حلل : جمع حلة وهو الحى .

(٤) مادمع همل : عدد ما همل الدمع . حال واد : اجدب .

(٥) الدحل: جمعه دحول وهى انفاق وتجاويف طبيعية تحت الارض تحتفظ بالماء .

او حدا حاد لسلمى او رحـــــل
سار هاك الدار او داس المحال(١)

بناء البيت على أكثر من قافية :

وكما مر لنا أنهم قد بنو البيت على قافيتين بما يسمى التشريع في البديع .. فانهم لم يكتفوا بهذا بل بنوا البيت على ثلاث قواف وأربع ، اقرأ لعبد الرحمن الربيعي من قصيدة بعث بها للشاعر ابن دويرج مبنية على أربع قواف :

راكب الى يوم احلي مثل وصف الضاري
وان غـــــدا بالغـــــدرا

شايف زول الفريسة وانتحى كالسيل
مـــــن ضـــــفاف جبـــــاله(٢)

لنتوى ما بان في خد وطاه اثاري
لـــــو عليـــــه يـــــزرا

(١) سارهاك الدار : سار في تلك الارض . داس المحال : سلك الفيافي القفر التى لا ماء فيها .

(٢) راكب : ياراكبا . اللي يوم احلي الذى حينما اشبه . مثل .وصف الضارى : كالذئب في الخفة والسرعة . الغدرا : الليلة المظلمة شايف زول الفريسة : رائياً شبح فريسته . انتحى : انقض .

من يقول انه مشى ممشى الشهر في ليل

مـــــا يسمى زالـــــــه[1]

ويجيبه ابن دويرج على نحو قوله :

يا هلا بالنظم ماهبت هبوب الذاري

والنـــــــديب الصقـــــــرا

يوم جاني فوق مسلوب المقاد رويلى

والسعــــد يبـــــري لـــــه[2]

إلى أن يقول :

غير عمهوج نهوده تقل بيض خضاري

والـــــــذوايب شـــــــقرا

بس كتف وردف الوسط فيه عسيلى

كنــــــه السيــــــاله[3]

---

(١) لنتوى : اذا نوى . اثاري : أثر . يزر : يربط . زاله : زالا .

(٢) ياهلا : تحية . النديب : الرسول . الصقرا : كناية عن الشجاع الجريء . مسلوب المقاد : حسنه . رويلى نسبة الى قبيلة الرولة . يبرى له : يتبعه .

(٣) عمهوج : لين الأعطاف . تقل : مثل . خضاري : نوع من الحمام . الذوايب : الضفائر . بس : فقط .

وهناك ما يبنى على ثلاث قواف ، اقرأ لسليمان بن شريم :

الا يا راكب حـــــــــرة
مـــن العــــيرات مصطورة
صبور بالمساري ما تمل الفنتق الخالى (١)

لفت مـــن يمـــــة الحـــرة
وهي مـــن قبـــل مذكـــورة
جلبها واحد ماقط باع ولاشري بالغالى (٢)

واحيانا يفقرون البيت فقرات يلتزم فيها سجعة واحدة مثل قول مخلد القثامى :

يامل قلب تاق من عقب الفراق يومى كماالمسباق
بين المعــاليق (٣)

بين عليه سهيل مــع تالى الليل ياويل عينىويل
حــلو المذاويق (٤)

---

(١) حرة : ناقة أصيل . العيرات : الشديدات . مصطورة : مضطربة . المسارى : جمع مسرى وهو السرى ليلا . الفنتق : الموماة .

(٢) لفت : قدمت . يمة : من جهة .

(٣) تاق : اشرأب . كما المسباق : كمثله . المعاليق : الاحشاء .

(٤) بين : خرج . سهيل : النجم المعروف . المذاويق : جمع مذاق .

ولابن دويرج :

قال المشقى ـ بالمعـــــاسر ترقى

في راس مبري طويل الشخانيب[1]

متهيض باشكال ـ عـدلات الامثال

الذ واحلى من نوايع مراطيب[2]

وهذا شيء كثير نكتفي منه بما أوردناه من نماذج .

(١) المشقى : المغني . المعاسر : المصاعب . مبرى : جبل طويل . الشخانيب : الشماريخ .

(٢) متهيض : متذكر . اشكال : ألوان . نوايع مراطيب : طيبة الطعم واللون .

ملح وطرائف

لا شك أن الأَدب الشعبى غنى بالنوادر الظريفة ، والنكت الطريفة ، وإن مجال القول هنا ذو سعة ، ولكننا سوف نقتصر على إيراد ما اتفق لنا إيراده ، عفو المصادفة ، وطوع الذاكرة :

مطوع نفى (*) وابن سبيل :

كلاهما شاعر ، واتجاههما متقارب ، وبيئتهما واحدة ، ويتنازعان الزعامة الشعرية ، وصرف قلوب الناس ، وإن كان الواقع أَثبت أَن المطوع لا يلز في قرن مع ابن سبيل ، ولكن النقائض ، والملاحاة الشعرية ، وقعت بينهما بالفعل ..

كان لدى المطوع هاون (نجر) ، لسحق القهوة ، وكان له صوت ندي ، وشهرة في بلد نفى ، وقد حاول بعض مشائخ البادية ، ومنهم دغيليب ابن خنيصر ، شراءه منه ، فأَبى وأَنشد :

(*) هو سعد بن مساعد ، إمام وخطيب بلد نفى في زمنه ، كان شاعراً حلو القريض ، رقيق العبارة ، سلس الأسلوب ، مقلا ، قد استبد الغزل بغالب شعره ، ولولا ما وقع بينه وبين ابن سبيل من ملاحاة شعرية ، لما خرجت قريحته عما كلف به من غزل ونسيب ، وحب وتشبيب .

نجر المطوع يوم سامه دغيليب

قالوا تبيعه قلت والله مبيعه [1]

ابغى الى جونا هل الفطر الشيب

اجواد مرفقهم عدو الشريعة [2]

اول قــــراهم دلتين وتـــرحيب

ترحيبة سهلة ونفس رفيعـــة [3]

لعل رجل ما يعرف المواجيب

تجيـــه ليعات الليالي سريعة [4]

فيناقضه ابن سبيل قائلا :

اللى يجى يمه هل الفطر الشيب

شرق عن الهيشة يسار الرفيعـــة

والا المطوع كل هرجه تكاذيب

والى بغى مهيب (ترفة) تطيعه

---

(١) نجر : هاون . سامه : طلب شراءه . تبيعه : أتبيعه . مبيعه : لا أبيعه .

(٢) أبي : أريد . الى جونا : : إذا جاءنا . هل الفطر الشيب : اهل الابل السمينة الاصيلة . مرفقهم : مصاحبهم . عدو الشريعة : الجوع .

(٣) دلتين : انائى قهوة . نفس رفيعة : طيبة كريمة .

(٤) المواجيب : واجبات الرجال . تجيه : تأتيه . ليعات : مفاجآت الليالي .

وتلعب عين المطوع على إحدي الكواعب . لمّا تعتزل الصبيان وألعابهم ، – بعد – لصغر سنها ، فيقول :

هيض علي جـــويدل ما تغطى
يلعب مع الصبيان بام الخطوط [(١)]

يا شبه غرنوق معـــا فرق بطا
توه وحش نزل البحر والشطوطى [(٢)]

كنه على شوك الهراس يتوطـــا
والا الميابر يوم بالرجل يوطى [(٣)]

فيحرك بهذا كامنا لدي ابن سبيل فيقول :

امطوع يا مـــال كشف المغطـــا
ياخذ على رقي المنابر شروطى [(٤)]

---

(١) هيض : آثار . جويدل : ذات جديلة والتصغير للتمليح . ما تغطا : ما احتجب ام الخطوط : لعبة للاطفال .

(٢) غرنوق : تقدم تفسيره . فرق بط : سربه . توه وحش : لا يزال متوحشاً . نزل البحر : جاء من جهته .

(٣) كنه : كأنه . الهراس : نبت شائك. يتوطا : يطأ . الميابر : الابر . يوطى : يطأ .

(٤) مطوع : من لديه مباديء في علوم الشريعة . يا مال : يالعله . كشف المغطا : كشف الستر . شروط : اجور مقابل خطبه .

شره على ورع وهـــو ما تغطى

(يلعب مع الصبيان بام الخطوطى)[1]

ويدل المطوع بكرمه وتقديمه القهوة لضيوفه فيقول :

لي ضاق صدري قمت اصـــوت لنورة

هاتي حطب وارميه للجار والضيف[2]

من قبل ولد اللاش يبدي بشوره

حمست من حب اليمن غاية الكيف[3]

فيتـأثر ابن سبيل بما قال فينشد :

امطوع ما كبر هو له وجــــوره

مشراه في دور السنة مد ونصيف[4]

---

(١) ورع : طفل . وهو .. الخ والحال انه كذلك .

(٢) قمت اصوت : جعلت انادى . نورة : زوجته . هاتي حطب : ايت بحطب . وارميه : القى به .

(٣) ولد اللاش : ابن النذل . شوره : مشورته . حمست : قليت . حب اليمن : القهوة لانها تجلب من هنالك غالباً . غاية الكيف : منتهاه .

(٤) هوله وجوره : تهوره وكذبه . مشراه : ما يبتاعه في دور السنة : مدتها . مد ونصيف : ربع الصاع وثمنه .

وادلالهم دب الليـــــال مهجـــوره
وخطارهم مغير ابو زيد وحنيف(١)

ولد الخطيب وخشيره :

كان ابن المطوع قد اشترك مع رجل يقال له الفريح في فلاحة بالمذنب فمر بهما ابن شريم فقدما له تمراً في شن ولما ذهب إلى عنيزة أَخبر المطوع بحال ابنه وشريكه وكان الشريك قد غاضب زوجته ففرت منه فانشأَ المطوع يقول :

يذكر لنا ولد الخطيب وخشيره
انه يقلط فوق شن هجوره(٢)

ولا ظنتى فيهـــا عليهم معيرة
لا شك يا شين الزمان ودبوره(٣)

غرس فرق بين العشير وعشيره
ينعاف لو الطلع مـــال حجوره(٤)

---

(١) دلالهم : أواني قهوتهم . دب الليال : طيلتها . خطارهم : ضيوفهم . أبو زيد وحنيف : هذان الرجلان وهما ليسا بذي خطر .

(٢) ولد الخطيب ولد المطوع . خشيره . شريكه . يقلط : يقدم . هجوره : أكله ظهراً .

(٣) ظنّتى : ظني . معيره . سبة . لا شك : لكن . ياشـــين : ما أقبح . ودبورة إذا أدبر .

(٤) غرس : نخل . ينعاف : يترك . الطلع : الثمر . حجوره : فروعه .

جعله لورعات السيوف الشطيرة
ما قيظ العصفور عقب مخسوره(١)

من لا يميز قبل ورد صدوره
ترا جواده لو ينير معثـــوره(٢)

حنيف بن سعيدان (*) وابن سبيل :

كان حنيف بن سعيدان في غزو مطير ، حينما أغاروا على عتيبة ، فنهبوا منهم ما نهبوا ، وكان كسب حنيف حماراً ، جاء به إلى بلد (نفى) ليبيعه ، فعلم ابن سبيل فقال :

العير عير حنيف عيـــا يبيعه
ما كنه الا كاسب غوج عرهان(٣)

---

(١) جعله : لعله . اورعات السيوف : حدادها . قيظ : اطعم صاحبه في القيظ . مخسورة : ما خسر عليه .

(٢) ترى : إن . ينير : يفر . معثورة : معوقة .

(*) حنيف بن سعيدان ، شاعر هجاء ، أدركته ، وحضرت له مجلساً واحداً عند بعض الامراء ، في روضة التنهات ، وما مرت خلقته يوما على ذهني ، إلا تذكرت بشار بن برد ، خلقا — وخلقا ، فهو ضرير ، جاحظ العينين ، ضخم الجثة ، خامل في زيه ، معجب بنفسه ، له شعر قوى ، وديباجة رصينة وصياغة متينة . .

(٣) العير : الحمار . عيا : أبى . ماكنه : ماكأنه . غوج عرهان : حصانه .

اخذت عير مقومين الشريعـــــــة
عساه تال الفود يابن سعيدان[1]

فأجابه حنيف :

قالوا تبيع العير قلنـــــا نبيعه
هات الثمن وانته لك العير (...)[2]

لانته بامير ولا نت راعى شريعة
قمرية تلعي على روس عيدان[3]

ولم يكتف حنيف بذلك ، بل أراد أن يستعدي ابن رشيد على ابن سبيل ، وكانت لابن رشيد إذ ذاك سلطة في نجد فألحق بقصيدة ابن سبيل بيتاً ، ليوهم ابن رشيد أنه قائله ، ليفتك به ، فقال :

يا عل حاكمكم بتـــــالي ربيعـــــة
ياعل حكمه من ورا الحيد وابان[4]

---

(١) مقومين الشريعة : المراد عتيبة بعد انتفاضتهم الدينية الماضية . تال الفود : آخر الغنم .

(٢) هات الثمن : ايت بثمنه . وانته : وأنت .

(٣) لانته : لا أنت . راعي شريعة : صاحبها . تلعى : تنوح . عيدان : أعواد . والمراد انك لست من هذا في قبيل ولا دبير وانما انت شاعر فقط .

(٤) بتالى ربيعة : بآخر جده . الحيدوابان : جبلان في عالية نجد .

فأوجعه ابن رشيد ضربا ، حتى قيل إن يديه قد تكسرت من شدة الضرب ، وفي مناسبة أخرى . قال ابن سبيل معرضاً بحنيف :

يا طاردين الغى خلوه خلوه
خلوه يوم انه سمج لاتبونه (١)

خلوا حذافيره لناس تبلوه
هو مقفى عنهم وهم يطردونه (٢)

فيجيبه حنيف ملصقاً به تهمة أخلاقية فيقول :

يا هل الرمك حدوه حدوه حدوه
حدوه يا هل الخيل لا تطلقونه (٣)

العام برقا قادة الخيل هدوه
جاب الفليو اللى تزامر عيونه (٤)

---

(١) طاردين الغي : يامتبعي الهوى . خلوه : دعوه . سمج : يعني الهوى . لا تبونه : لا تقبلوه .

(٢) حذافيره : حثالته . تبلوه : ابتلوه . مقفي : معرض . يطردونه : يتبعونه .

(٣) الرمك : الخيل . حدوه : اطردوه وسدوا عليه منافذ الطريق وفيه تأكيد بعد تأكيد .

(٤) العام : السنة الفائتة . برقا : احد شطرى قبيلة عتيبة . هدوه : تركوه . الفليو : تصغير فلو وهو ولد الفرس الذكر . تزامر عيونه : تتماوج عيناه .

حنيف والحضري :

أَراد أَحد شعراء الحضر أَن يتندر على حنيف ، بعد أَن أَسقاه القهوة ، فقال :

خمسة عشر فنجال لحنيف صبيت
ولو هو يروي قربة قد ملاها[١]

فأَجابه حنيف :

لا تحسب اني من دلالك تقهويت
ما تنقه الشراب من كثر ماها[٢]

يا موصى الحرمة على صكة البيت
تقول ما هو فيه لو هو وراها[٣]

حنيف وابن غيام :

كان حنيف هجاء ، سليط اللسان ، فاحش القول ، وقليل أَن يعلق الهجاء بالشاعر ، لا سيما من هو على شاكله حنيف ،

---

(١) فنجال : فنجان قهوة . صبيت : صببت . لو هو : لو انه . يروى قربة : يصب في قربة لامتلأت .

(٢) دلالك : أواني قهوتك . تقهويت : أخذت حظي من القهوة . تنقه : لا تفيد. الشراب : صاحب القهوة .

(٣) الحرمة : المرأة . صكة البيت : اغلاقه . ما هو فيه : ليس في الدار . لو هو وراها : لو كان خلفها .

إلا أن حنيفا رمي بداهية ، أوقعه في الشراك ، وسلقه ببيتين ظلت ولا تزال تروي ما روي شعر نبطى ، قال فيه ابن غيام البيتين الشهيرين :

يا حنيف بذيت العرب بالضيافة
على الذلول اللي تحوف قصراها[1]
يا حنيف ما عندك من الله مخافة
سباب والعكة تجـود وكاهـا[2]

ولقد سمعته بنفسى يقول : ما آلمنى شىء من الشعر مثلما آلمنى هذان البيتان ! !

جمل تركى بن حميد :

لذ لتركى بن حميد ، ان يتخيل جملا ، ولا كالجمال المعروفة ، وإنما فيه وجه شبه من الطير من جهة ، وآخر من الجمال ، فهو بين ، بين .. ولم يكن لابن هادي ، وهو الذي يدأب على مناقضته ، إلا أن يستغل الفرصة ، ليتندر على تركى وجمله . قال تركى :

(١) بذيت : اتعبت . بالضيافة : بكثرة ما تأتيهم ضيفا . الذلول : الناقة المذللة . تحوف قصراها : تسرق جيرانها والمراد صاحبها .

(٢) سباب مبالغة في كثرة السب . العكة : اناء السمن . تجود وكاها : توثق وكاءها والمراد انك تكون ضيفا ولا تكون مضيفاً .

يا راكب اللي ما يدان الصفيري
هميلع من نقوة الهجن سرساح[1]

امه نعامة واضربوها بعـــــيري
جا مغلطاني على خف واجناح[2]

احبال كوره من سلوك الحريري
وسفايفه مثل الغرابين طفاح[3]

يسرح من الطايف ويضحى البصيري
والسوق والبصرة دهجهن بمرواح[4]

فأَجابه ابن هادي :

يا تركى بن حميد وش ذا البعيري
ما تجلبونه كان تبغون الارباح[5]

---

(١) ما يدان : لا يتحمل حتى ولو صوت الصفير . هميلع : سريع . نقوة . منتقا : سرساح : نادر .

(٢) أضربوها : أعلوها . مغلطانى : مشتبها بين ذات الخف وذات الجناح .

(٣) كوره : قتبه . سلوك : خيوط . سفايفه : حبال مزوده . طفاح : طائرين .

(٤) يسرح : يغدو . يضحي : يأتيها ضحى . السوق والبصرة : من مدن العراق . دهجهن : اتاهن . بمرواح : وقت الرواح .

(٥) وش ذا : ما هذا . ما تجلبونه : الا تجلبونه . كان : اذا .

لا عاد له خف وجنح يطيري

انا اذكر الله راكبه كيف ما طاح[1]

أنا لقيت الكذب في كل اميري

وياحلو كذب مخضبة علط الارماح[2]

البدوي في نظر الحضري :

رأى بعض شعراء الحضر زرافات البدو ، يقبلون ويدبرون على بيت أخيه ، فلامه على ذلك فلم ينته فأنشد :

البدو يا باغى من البـــــدو ثابة

البدو وان شافت معك شى تنهبك[3]

وان جو على زادك سواة الذيابة

تعدي مخالبهم عن الزاد مخلبك[4]

البدو من عصر النبى والصحابة

عيت مذاهبهم تطابق لمذهبك[5]

(١) لا عاد له : ما دام أن له . جنح : جناح . طاح : سقط .

(٢) مخضبة علط الا رماح : ما أحلى كذب الشجعان الذين يخضبون الرماح من دماء الاعداء .

(٣) يا باغى : يامريد . ثابة : مثوبة . شافت : رأوا .

(٤) زادك : طعامك. سواة : مثل. الذيابة : الذئاب . تعدي : تنحي . مخالبهم : أيديهم .

(٥) عيت : أبت أي منذ ذلك العصر ومسافة الخلف بينكما كبيرة .

هويشل وقحطان :

لم يشتهر الشاعر(هويشل) بشيء ، مثلما اشتهر بتحامله على قحطان ، وسخريته منهم ، ولابد أَنهم قد أَثاروا حفيظته . قال على لسان أَحدهم ، وبلهجتهم :

إيش بيع الذبوحة في القويعية
يوم قد ودي اجلب لى فحل ضاني(1)

مقنوي ولد نجـــدي ونجديـــة
كاسبه من عتيبة قبل دياني(2)

حايفه من قطين صوب سعدية
فت جيش الطلب وانكف وخلاني(3)

---

(1) أيش : اي شيء . بيع الذبوحة : ثمن الذبيحة . القويعية بلدة . قد ودى : اني أرغب .

(2) مقنوى : يصلح للقنية . ولد نجدى : امه وابوه من نجد . قبل دياني : قبل ان ادين أي أتوب وأترك النهب .

(3) حايفه : مختلسه ليلا . سعدية : منهل . انكف وخلاني : عاد وتركني .

قالوا ان طار تو الجيش سكنية

يحسبون الخبل للجن جنحاني[1]

يوم شليت عمري شلة حيـــة

كتم العــج من نبثات حذياني[2]

عازتي من ثمن كحــــلان مقضية

باشتري ما اشتهى من كل دكان[3]

باشتري كسوة وجراب بريــــة

واكتسى واكسى امى وام ورعاني[4]

ونشتري من ثمن كحــــلان زولية

ونلعب . . . يابنت قبــــلان[5]

---

(١) تو الجيش : أمامه . سكنية : جنية . الخبل : المغفل .

(٢) شليت عمري : انهزمت انهزامة قوية . كتم العج : ثار قتامه . نبثات حذياني : شدة نفى حذائي للتراب .

(٣) عازتي : حاجتي . كحلان : الكبش الذى اختلسه . مقضية : سوف تقضي . باشتري : سوف اشتري .

(٤) برية : قهوة برية . أم ورعانه : أم اطفاله وهى زوجته .

(٥) بنت قبلان : زوجته .

وهى طويلة وطريفة .

جمل بن لبدة و راكان بن حثلين :

في نزهة للامام فيصل بن تركى آل سعود ، كان من بين من معه جمل ابن لبدة ، وراكان بن حثلين ، وقد تجاولا أمامه على فرسيهما ، وبدأ جمل حداءه قائلا :

والله لــــولا فيصـــــل
وامــــر الامــــام مطـــاع
الــــن نشــــد وننــــزل
بين الحســــــا ونطـــاع[1]

فأجابه راكان لتوه :

انـــــه يكــــذب يا فيصـــل
مــا هــــــو لــــكم مطـــواع
نتافـــــة لحيـــــة مرشــــد
والشيـــــخ الاخــــر ضــاع[2]

(١) ألن نشد ونتزل : لنرتحلن ولننزلن في بلادكم الواقعة بين الاحساء وهى هجر المعروفة . ونطاع وهى قرية تقع شمالي الخط .

(٢) مطواع : طيع . نتافة لحية مرشد .. الخ يقال ان الامام فيصل بعث جباة يجبون زكاة قحطان وفيهم طلبة علم فضربوا الجباة بما فيهم المشائخ .

سيف العرفجية :

اسمها (هيا) . وقد قتل والدها . من قبل ابن حجيلان . فما كان منها إلا أَن جردت سيفها . وقتلت قاتل أَبيها . وفي ذلك يقول عبد الله بن رشيد . من قصيدة طويلة مطلعها :

يا هيـــه ياللي لي من الناس وداد
ما ترحمون الحال يا عزوتي ليه [١]

ما ترحمون اللي غــــدا دمعـــه ابداد
قد له زمان حرق الدمع خديه [٢]

إلى أَن يقول :

عيسى يقول الحرب للمال نفاد
انشد مسوي السيف هوليه حانيه [٣]

ان كان ما ترويه من دم الاضداد
فكزوه يم العرفجيـــــة ترويه [٤]

---

(١) ياهيه : ياهذا . وداد : مود . ياعزوتي : يامن أحب . ليه : لماذا .

(٢) اللي غدا : الذي صار . ابداد : بددا . قدله : قد مضى له .

(٣) نفاد : منفد . انشد : اسأل . هوليه حانيه : هو لأى شيء حناه .

(٤) كزه : أرسله . يم العرفجية : للعرفجية . ترويه : من الري بالتشديد .

ان كان ما مر يزغتر بالاولاد
ترى الموصى يذهـل إلى يوصيه[1]

شالح بن هدلان وابنه ذيب :

لا شيء يخشى عليه شالح إلا على ابنه البطل المغوار ، الذي لا تمضى فترة قصيرة ، إلا وتنعقد على رأسه غبرة الحرب ، والكر والفر ، ويخرج منها ظافراً منصوراً ، إلا أنه يعلم أن الحرب سجال ، ويتخوف انقلابها على ابنه ، فيقول :

لو ان حى قد بكى الحى يا ذيب
والله لا بكى وانت يا ذيب حيا[2]

تبكيـــه قطعان عليها الكلاليب
لي قيل جنب يمة الخوف عيـا[3]

(١) مر : المراد الغيرة والشمم . يزغتر : يفيض . بالاولاد : بالابناء . ترى الموصى : ان من يوصى : بفتح الصاد لابد وأن يذهل عنه من يوصيه ثم يعود لطبعه ، والتخلق يأتي دونه الخلق .

(٢) لو أن حيا قد بكى حيا قبلي مخافة موته لبكيت مخافة عليك لمجازفتك بحياتك .

(٣) عليها الكلاليب : تسم سمة كأنها الكلوب (ل) وهى سمة الخنافر قبيلة المذكور . لي قيل : اذا قيل . جنب يمة الحوف : تحاش جهة الحوف . عيا : أبى .

بارق خريف :

كان عجران بن شرفي ، ممن يؤمن بنظرية : إذا مت ظمآناً فلا نزل القطر وكان مكفوف البصر ، فرآي صاحبه برقا يلمع على دار ليست بدارهم ، إبان فصل الخريف ، فأَخبر عجران ، فأَنشأَ يقول :

حتيش يا ابن فهيد لو صار كشاف
بارق خريف في ديار مصده[1]

عسى الحيا يسقى لنا وادي الغاف
ومن روضة التنهاب لخريم حده[2]

الدلابحة ، وابن جعيثن :

كان لعرب الجزيرة ابان اختلال امنها ، وافتراق أَجزائها ، عادات هى عندهم بمثابة العهد والميثاق ، لا يتجاوزونها ، وإذا شذ من يقتحمها ركبته سبة الدهر ، وعار الأَجيال .. لذا لم يتورع الشاعر ابن جعيثن ، أَن ينبز مشعل الدلبحى من قبيلة

(١) حتيش : ثم ماذا . كشاف : مضيء . بارق خريف : وهو برق خلب في جهات بلاد الشاعر وما جاورها فليس موسما للمطر فيها . مصدة : منزوية .

(٢) وادي الغاف : وادي حنيفة . روضة التنهات وروضة خريم : هما روضتان طيبتان تنصب فيهما أودية (العرمة) فيشتبك عشبهما ويختلف نوارهما وتعبق أزهارهما وتغني أطيارهما وتريانك مفاتن الجزيرة بأجلى مظاهرها .

عتيبة . حينما خفرت ذمته . وفتك بأهل بلد شقراء الذين جعلوه ردئا معهم عن قبيلته ، عتيبة ولكنها قتلت منهم ابن هدلق . وكسرت يد آخر . فأرسلها ابن جعيثن مغلغلة . تسمهم إذا لم يوضحوا موقفهم بالعار والخزي .. قال :

خويكم ما توخذ فيه الأثمـــــان
فلا تصيروا بابن هدلق سماحى(١)

حجاجنا ما ثوروا كود بخصان
تخيروا مشعل قعـــود ضياحى(٢)

يبغون به زود وهو صار نقصان
وراحت قرايعهم سواة الاضاحى(٣)

اما حصل ما قيل مشعل بويضان
ما مثل ربعك ينقلون السلاحى(٤)

---

(١) خويكم : صاحبكم . توخذ : تؤخذ . الأثمان : الدية سماح : مسخين به .

(٢) ثوروا : ساروا . كودبخصان : الا عن علم . تخيروا : اختاروا . ضياحى : بين واضح .

(٣) زود : زيادة حماية . قرايعهم : خيارهم . سواة الاضاحي : مثلها .

(٤) اما حصل : اذا لم يحصل . ربعك : رهطك . ينقلون السلاح : لا يستحقون نقله .

ليت الرفق من عرنة أولاد شيبان
ضامن سلوم السيرة مثل ناحى(١)

ياكثر مثله بين لمـات الاظعان
كل على سالف اجدوده يناحى(٢)

تري الخوي ما يوخذ فيه حقـان
الا بضرب مذلقات الرماح(٣)

ان كنت عجز ولا مشيتا فالاقمان
ادخل على برقا يفكك مناحى(٤)

وابرك لحمل الذم في كل ديوان
وهزل مع الى يسكنون البطاحى(٥)

---

(١) الرفق : الرداء . سلوم : عادات . السّيرة : الركب .

(٢) ياكثر : ما أكثر . لمات : حشد يناحي : ينافح ويدافع ويتبع .

(٣) ترى الخوى : إن الرفيق . حقان : حقوق . مذلقات : محدودة الرؤوس .

(٤) مشيتا : مشيت . فالاقمان : فالاولى . ادخل : التجيء علي غير عشيرتك لينتصف لك شيخ العشيرة الملتجأ إليها .

(٥) ديوان : مجلس . هزل : انحدر . الى يسكنون البطاحي : الصلب والنور ومن على شاكلتهم .

ترى الدعث يقصر مشابر دهيمان

ويشري على السبقة حصان المناحى(1)

وان للتفق نيشان والخيل ميدان

هذي دروب اهل القضا والفلاحى(2)

شاعر الجوف :

ضاقت به طرق المعيشة في بلده ، فذهب إلى البلقاء، يلتمس رزقه هنالك ، وفي أَول ليلة قدمها ، قدم له أَميرها قراه ، واجتمع على هذا القرِي أَهل الحى ، يتزاحمون المناكب والأَكعب على هذا القرِي القليل فطواها الشاعر في نفسه ، وظل ليله يسامر النجوم ، ويشكو أَلم الغربة ، وقسوة الزمن .. وفي الهزيع الأَخير من الليل ، تناول ربابة معلقة حوله في كسر البيت ، وطفق يجر عليها :

الله على والشمس باد شعقهـــا

من حدر الزرقا على نقرة الجوف(3)

---

(1) تري الدعث : الارض اللينة . مشابر دهيمان : يعوق الحصان السابق . السبقة : الفوز في الحلبة . حصان المناحي : الحمار .

(2) التفق : البندقية . نيشان : هدف . وللخيل كذلك ميدان يعرف هذا أهل القضاء والفلاح .

(3) الله على : أتمني . شعقها : شعاعها . حدر الزرقا : اسال عين الزرقاء . نقرة الحوف : منخفض أرضه .

تسقى لنا غرس ظليل ورقهـــــا
الى ثمرها للمسايير وضيوف[1]

كم حايل للضيف نرمى شنقهـــــا
يقلط حشث ما هو على الزاد مردوف[2]

وبعد عن البلقا وحامى مرقهـــــا
ومقلطة للضيف ذرعان وكتوف[3]

فلم يعزب منها بيت واحد عن سمع صاحب البيت . فقام من توه وبعث برجلين أكفاء . إلى بلاد الشاعر لينظرا أهو صادق . أم هو من الكاذبين . وأبقاه لديه في بيته على عدة . ولم يشعره بما أضمر له . وبعد مدة من الزمن عاد الرسولان يحملان مزوداً مملوءاً بأظلاف الغنم التى ذبحت لهما . وهنا وصله . وأكرمه . وخلى سبيله !!

---

(١) غرس : نخل . المسايير : الزوار .

(٢) كم حايل : كم شاة سمينة لم يهزلها الحمل . نرمي شنقها : نلقي شقها : يقلط حشث للاكل في متسع ورحابة لا يضايقه أحد . مردوف : خلفه آخر .

(٣) مقلطة : مقدمة . ذرعان : جمع ذراع . وكتوف : جمع كتف .

كلمة لابد منها

في هذه الجزيرة آثار دارسة . وأمجاد مطمورة ، مثل ما فيها من المعادن ، والخيرات . وكلها في حاجة إلى رجال مخلصين ، وأبناء بررة ، يجددون الآثار الدارسة . ويصقلون الأمجاد المطمورة . ويستغلون المعادن والخيرات ، بكل ما يملكونه من إمكانيات فكرية ، أو مادية ، وما وهبوه من طاقات علمية ، أو جسمية .

وإذا كانت المجالات الفكرية في أي أمة من الأمم ، ينبغي أن تواكب المجالات المادية ـ إذا لم تتقدمها ـ ، لتكون الطاقة المادية ، مبنية على تفكير وعلم ولئلا يكون نفعها ضرراً ، وخيرها شراً ، ويصدق فيها المثل العربي : إن الهزيل إذا شبع مات . فما أحري هذه البلاد أن تستشعر هذه الناحية ، وتحقق هذا المبدأ ..

وإحياء الآثار القديمة ، ولم شعث ما تفرق منها ، وإبرازها في ثوب قشيب ، يتفق ومتطلبات العصر .. هدف أسمى ، وطريق لاحب ، تجد فيه ناشئة البلاد سننا تستنه ، ومهيعاً

تسلكه ، لشق طريقها في الحياة على ، هدي ما انحدر إليها من مآثر الآباء ، والأَجداد ، التى بذوا بها الأَمم ، وتسنموا ذرى المجد ..

لهذا لم يكن معالى (الشيخ عبد الله السليمان آل حمدان) ، ليسقط من اهتمامه هذا الجانب ، فلقد دأَب على احياء آثار الجزيرة ، وابراز معالمها إلى جانب ما تنطوي عليه شخصيته من جوانب ، عرفها له الناس فذكروها ، وشكروها ..

ومن هذه الآثار التى قدمها لأَمته ، طبع كتب العلامة ابن بليهد ، وأَهمها (صحيح الأَخبار عما في بلاد العرب من الآثار).

وطبع ديوان شاعر الجزيرة ابن عثيمين .

وهو أَول من وجه عنايته للأَدب الشعبى ، فقرب رواته ، وأَثاب عليه ، وجمع دواوينه ، ثم دفعها للأَستاذ خالد الفرج ، ليرتبها ، ويعلق عليها ثم طبعها على نفقته .

ولقد سمع معاليه بهذا الكتاب ، بعد أَن طبع منه (ملزمتان) فتبرع بطبعه ، على نفقته ..

وهذه الجهود التى يقوم بها معاليه ، في هذا المجال ، سوف تذكرها له الجزيرة بعاطر الذكر ، وخالد الشكر ، يوم تفنى

الملايين ، ومن جمعها ، وزخرف الحياة الدنيا ومن انغمس فيها.

وما المـــال والأَهلون إلا ودائـــــع
ولابد يوماً أَن ترد الودائـــــع

ولئن فاتنا أَن نتوج مقدمة هذا الكتاب بهذه الكلمة ، فلا يفوتنا هنا أَن نشيد بما لمعاليه من مآثر ، ومفاخر ، هو فيها مثال الابن البار بأَمته ، العارف كيف تبنى المكارم ، وتشاد المآثر ..

وإنمـــــا المـــــرء حديث بعـــده
فكن حديثاً حسناً لمـــــن وعى

المؤلف



مراجع الكتاب

رقم	مراجع الكتاب	اسم المؤلف
١	فنون الادب الشعبي جزآن	لأحمد رشدي صالح
٢	الحياة الأدبية في جزيرة العرب	لطه حسين
٣	أخبار الزمان	للمسعودي
٤	تاريخ الطبري	للطبري
٥	يتيمة الدهر	للثعالبي
٦	تاريخ الأدب العربي	للرافعي
٧	مناهل الأدب	سلسلة تصدرها إحدى دور النشر في لبنان
٨	ميزان الذهب	أحمد الهاشمي
٩	مقدمة ابن خلدون	ابن خلدون
١٠	تاريخ الأدب العربي	لأحمد حسن الزيات
١١	الكامل في اللغة والأدب	للمبرد
١٢	الوصف في الشعر العربي	عبد العظيم قناوي
١٣	زهر الربيع في المعاني والبيان والبديع	للحملاوي
١٤	لسان العرب	لابن منظور
١٥	القاموس	للفيروز ابادي
١٦	المنجد في اللغة	للاب لويس معلوف
١٧	الزجل اللبناني ــ تاريخه ــ أدبه ــ أعلامه قديماً وحديثاً .	لمنير الياس وهيبة
١٨	الأدب الشعبي	لأحمد رشدي صالح
١٩	روضة الشعر ــ نبطي وعربي منتخب ــ	أمر بجمعه عظمة حاكم البحرين
٢٠	المقامات	للحريري

رقم	مراجع الكتاب	اسم المؤلف
٢١	ديوان النبط (جزآن)	لخالد الفرج
٢٢	خيار ما يلتقط من شعر النبط (جزآن)	عبد الله الحاتم
٢٣	رسالة في شعر النبط « مجموع طريف »	لاصحاب السمو آل ثاني
٢٤	الازهار النادية في أشعار البادية	« نشر مكتبة المعارف بالطائف »
٢٥	الدرر اليتيمة في أشعار النبط القديمة	لناشر مجهول
٢٦	مجموع شعر العوني وابن جعيثن	للاستاذ محمد بن يحيي
٢٧	عقد المرجان مجموع القصائد الحسان « مخطوط ضخم جميل »	للاستاذ محمد بن يحيي
٢٨	مجموع آخر « مخطوط »	للاستاذ محمد بن يحيي
٢٩	تاريخ آل ماضي	لتركي بن محمد بن ماضى
٣٠	ديوان تركي بن حميد	جمع الاستاذ محمد العمري
٣١	ديوان المطوع	جمع الاستاذ محمد العمري
٣٢	سفر جامع بمكتبتي	
٣٣	مجلة الازهر	
٣٤	مجلة الآداب	
٣٥	مجلة المقتطف	

الفهرس